دَار المشرق ش م م
ص.ب: ٩٤٦ - بيروت، لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقية - ساحة النجمة
ص.ب: ١٩٨٦ - بيروت، لبنان

Tarikh alkanisa awal
1202 1108
4.00 USD
1 000000 029550

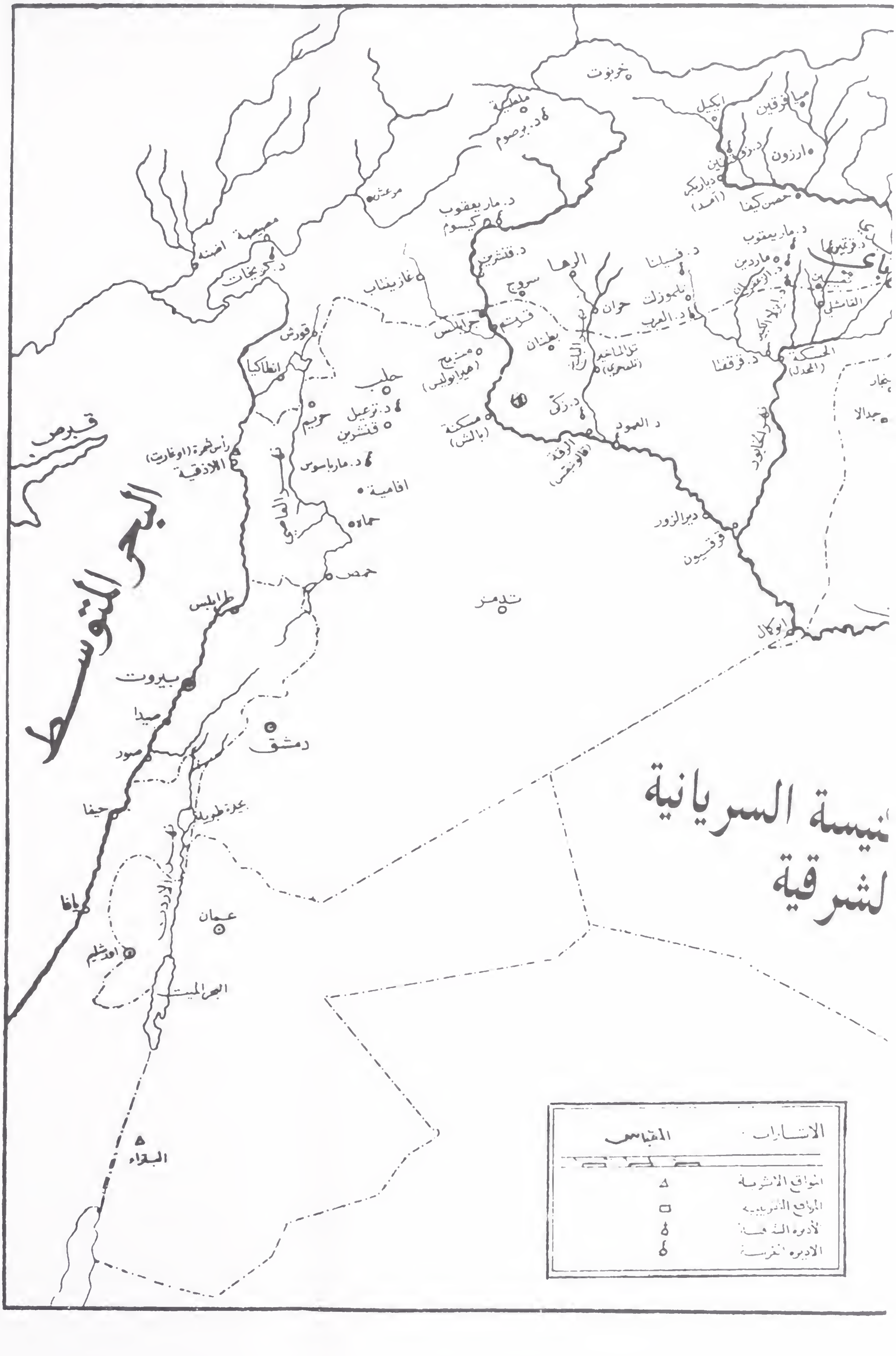
نيسة السريانية
لشرقية
البحر المتوسط
قبرص
خربوت
ملطية
د. برصوم
مرعش
مصيصة
اضنه
ميافرقين
ارزون
دياربكر
(آمد)
حصن كيفا
د. ماريعقوب
كيسوم
د. قنشرين
الرها
سروج
حران
ماردين
نصيبين
القامشلي
غازي عنتاب
جرابلس
قورش
انطاكيا
منبج
(هيرابوليس)
حلب
د. تزعيل
حوير
قنشرين
د. مارباسوس
افامية
حماه
حمص
راس شمرة (اوغاريت)
اللاذقية
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
حيفا
دمشق
تدمر
مسكنة
(بالس)
الرقة
د. العمود
ديرالزور
قرقيسيون
ابوكمال
الحسكة
عمان
اورشليم
البحر الميت
يافا
بحيرة طبرية
الاردن
العاصي
البتراء
الاشارات
المقياس

أنجزت المطبعة الكاثوليكية ش م ل
في عاريا - لبنان
طباعة هذا الكتاب في الخامس عشر
من كانون الأوّل ١٩٩٢

٠١٧٢٠٣ - ١,٥ - ٩٢/١٢/١٥

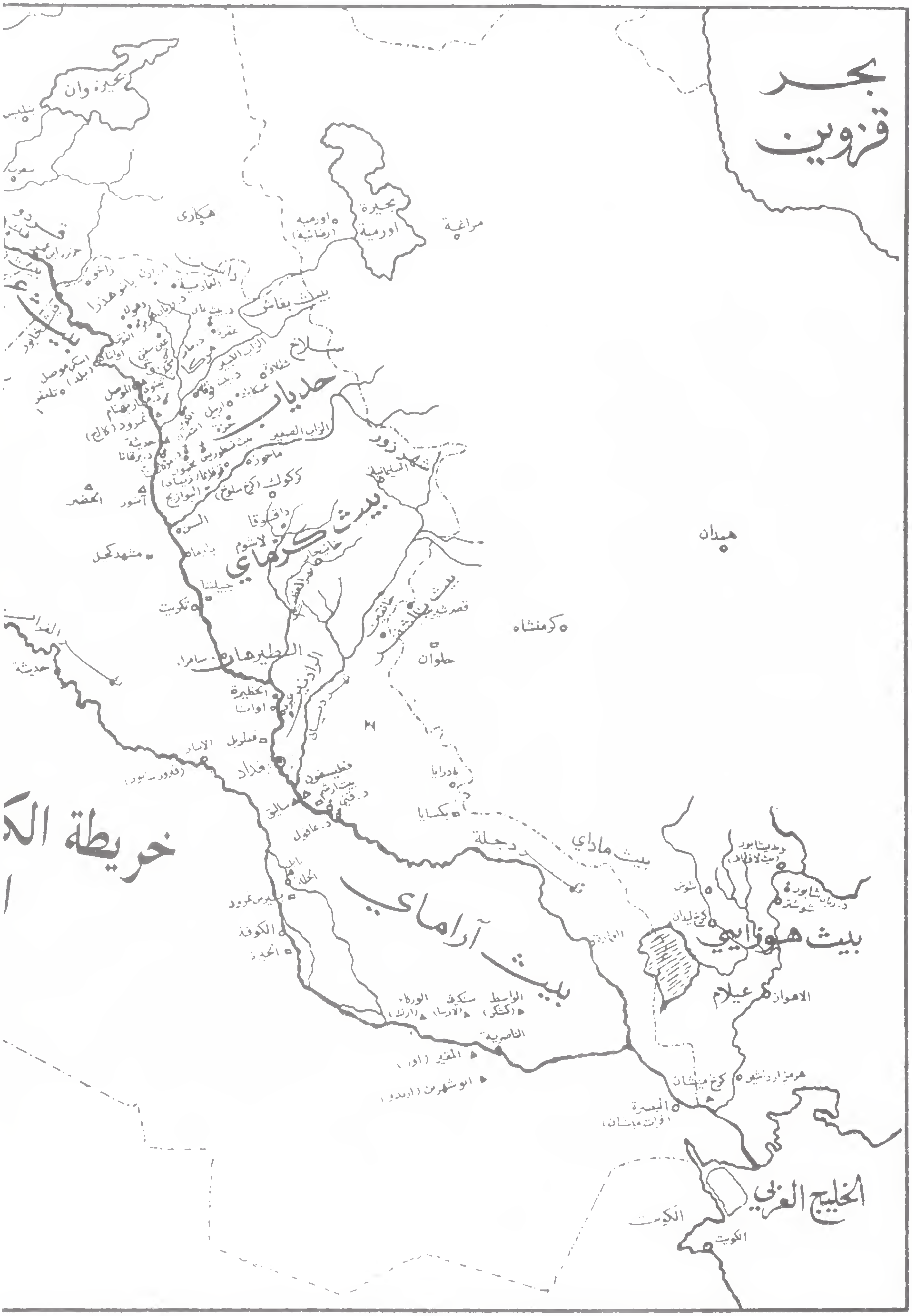

بحر قزوين
بحيرة وان
هكاري
بحيرة اورمية
مراغة
حدياب
شهرزور
بيث كرماي
همدان
كرمنشاه
حلوان
بيث ماداي
دجلة
خريطة الك
بيث آراماي
بيث هوزايي
عيلام
الاهواز
البصرة
الخليج العربي
الكويت

الفصل التاسع – النور والديجور ١٠٧
الجاثليق مار آبا واصلاحاته ١٠٧
الجاثليق يوسف ١١٠
حالة المسيحية في عهد الجاثليق يوسف ١١٣
آفات وكوارث ١١٣

الفصل العاشر – عهد الاستقرار ١١٧
الجاثليق حزقيال ١١٧
الملك هرمزد الرابع ١٢٠
الجاثليق ايشوعياب الأول الارزني ١٢١
الجاثليق سبريشوع ١٢٤
الجاثليق غريغور ١٢٦

الفصل الحادي عشر – تنظيم الكنيسة المنوفيزية في الشرق ١٢٩

الفصل الثاني عشر – الكنيسة الشرقية في نهاية العهد الساساني ١٣٣
الكنيسة الشرقية المترملة ١٣٣
حروب كسرى الثاني والروم ١٣٧
الجاثليق ايشوعياب الثاني الجدالي ١٤٠
تنظيم الكنيسة المنوفيزية في بلاد الفرس ١٤٣
انهيار الامبراطورية الفارسية ١٤٥
موقف المسيحيين ١٤٦

الفصل الثالث عشر – نشأة الحياة الرهبانية ١٤٧
الحياة المسيحية والحياة الرهبانية ١٤٧
نشأة الطريقة النسكية ١٥١
نشأة الحياة الرهبانية الجماعية ١٥٣

الفصل الرابع عشر – الرهبانية في الكنيسة الشرقية ١٥٧
بين الاسطورة والتاريخ ١٦١
ابراهيم الكشكري والدير الكبير ١٦٣
القانون الرهباني ١٦٥

مصادر الكتاب – ١ – المصادر الشرقية ١٦٧
مصادر الكتاب – ٢ – المصادر الغربية ١٦٩
فهرس اسماء الأشخاص ١٧١
فهرس البلدان والمواقع ١٨٣
فهرس الموضوعات ١٩١
فهرس محتويات الكتاب ١٩٥

بهرام الثالث ونرسي ٢٥
هرمزد الثاني ٢٥
الفصل الثالث – تنظيم الكنيسة الشرقية ٢٧
كرسي ساليق ٢٧
أنطاكية وساليق ٢٨
الجاثليق فافا وقضيته ٢٩
الفصل الرابع – الاضطهادات ٣٣
الأسباب ٣٣
شابور الثاني ٣٣
الاضطهاد الأربعيني ٣٥
سيَر الشهداء ٣٩
الجاثليق مار آحا ٤٠
مار ماروثا اسقف ميافرقين ٤٠
بعد الاضطهاد الكبير ٤١
ارداشير الثاني – شابور الثالث – بهرام الرابع ٤٢
اعادة تنظيم الكنيسة ٤٣
الفصل الخامس – الكنيسة الشرقية في القرن الخامس ٤٥
ماروثا الميافرقيني ٤٥
الجاثليق مار اسحق ٤٦
يزدجرد الأول ٤٧
مجمع ساليق (مار اسحق) ٤٧
الجاثليق آحا ٥٠
مجمع يهبالاها ٥١
اضطهاد يزدجرد الأول ٥٢
اضطهاد بهرام الخامس ٥٣
مجمع داد يشوع ٥٤
الفصل السادس – افسس وخلقيدونية ٥٩
نسطوريوس ٦٠

القديس قورلس ٦١
مجمع افسس ٦٢
التيار المعاكس ٦٤
اوطيخا ٦٥
مجمع افسس الثاني ٦٦
مجمع خلقيدونية ٦٧
الفصل السابع – انتشار المذهبين النسطوري والمنوفيزي في الشرق ٧٣
اضطهاد يزدجرد الثاني ٧٣
الملك فيروز ٧٥
الملك بالش ٧٥
مدرسة الفرس في الرها ٧٥
برصوما النصيبيني ونرساي الملفان ٧٧
برصوما والجاثليق بابوي ٧٧
برصوما المضطهد ٨١
مجمع بيث عذراي ٨٣
مجمع ساليق ٨٣
مجمع باباي ٨٧
فترة الركود ٨٩
الفصل الثامن – الكنيسة الأنطاكية بعد المجمع الخلقيدوني ٩٣
بطرس القصار ٩٣
مرسوم الاتحاد (هينوتيكون) ٩٤
الامبراطور انسطاس ٩٧
سويريوس الأنطاكي ٩٨
يوستينس الأول ١٠٠
يوستنيانس ١٠١
تيودورة ١٠١
يعقوب البرادعي ١٠٣
سمعان الأرشمي ١٠٤

فهرس محتويات الكتاب

المقدمة	٣
الفصل الأول – فجر المسيحية	٥
نشأة المسيحية في الرها ما بين النهرين	٦
جولة في الوثائق	٨
تعليم أدي	٩
الأساطير	١١
آحى	١٣
اجاي	١٣
ماري	١٤
شهادات المؤرخين	١٧
الفصل الثاني – العهد الساساني	٢١
ارداشير الأول	٢٢
شابور الأول	٢٢
السبايا	٢٣
هرمزد الأول	٢٤
بهرام الأول	٢٥
بهرام الثاني	٢٥

ص

الصليب (اكتشافه) ٩. ١١.

ع

العموديون ١٥٦.

ك

كرسي المشرق ٧. ٢٩. ٣٠. ٣١. ٣٢. ٣٨.
٣٩. ٤٢. ٤٣. ٤٦. ٤٨. ٤٩. ٥٤.
٥٥. ٥٦. ٨٤. ٨٦. ٨٨. ٨٩. ١٠٩.
١٢٥. ١٢٦. ١٢٧. ١٤١.

م

المجدل (كتاب) ٤٣. ٥٠. ٧٣. ٧٧. ٨١.
٨٢. ٨٧. ٨٨. ٩١. ١١٤. ١٢٣.
١٥٧. ١٦١.
المجمع (المجامع الشرقية) ٣٠. ٣١. ٤٦. ٤٧.
٤٨. ٤٩. ٥٠. ٥١. ٥٢. ٥٤. ٥٦.
٥٧. ٧٣. ٧٨. ٧٩. ٨١. ٨٣. ٨٤.
٨٦. ٨٧. ٨٨. ٨٩. ٩١. ١٠٣.
١٠٩. ١١١. ١١٩. ١٢٢. ١٢٥.
١٢٦. ١٢٧. ١٣٤. ١٦٣.
(المجامع المسكونية): نيقية ١٢. ٢٨. ٢٩.
٤٦. ٤٨. ٤٩. ٥٩. ٦٧. ٩٥. ٩٩.
١٤٣.
القسطنطينية: ٥٩. ٩٩.
افسس ٦١. ٦٢. ٦٣. ٦٥. ٦٦. ٩٥. ٩٩.
خلقيدونية ٣٢. ٦٣. ٦٧. ٦٨. ٦٩. ٧٠.
٧٦. ٩٣. ٩٤. ٩٥. ٩٦. ٩٧. ٩٩.
١٠٠. ١٠١. ١٠٢. ١٠٣. ١٥٦.
مجمع اللصوص ٦٦. ٧٦.
المجوس ٦. ٢٥. ٣٦. ٤٧. ٥٢. ٥٤. ٥٧.
٧٥. ٧٧. ٧٨. ٨٠. ٨٢. ٨٥. ٨٧.
٨٨. ١٠٨. ١٠٩. ١٢٠. ١٢٤. ١٣٥.
مدرسة: (الاسكندرية) ٥٩، ٦٠.
(انطاكية) ٥٩، ٦٠، ٦٤.
(ساليق) ٨٢. ٨٨. ١١٠. ١٢١. ١٢٦.
(الفرس) ٤١. ٧٥. ٧٦. ١١٥.
(نصيبين) ٧٦. ١٠٧. ١١٥. ١٢١. ١٢٢.
١٢٥. ١٣٠. ١٣٣. ١٤٠. ١٦٣.
مرسوم ميلانو ٣٣. ٤٧. ١٤٩.
المسيح (اسطورة صورته) ١١.
المصلّون ١١٩. ١٢٥. ١٢٧. ١٣٠. ١٣٦.
١٥٦.
المنوفيزيّون ٦٤. ٦٥. ٦٩. ٧١. ٧٨. ٨٢.
٨٤. ٨٧. ٩٤. ٩٦. ٩٨. ٩٩. ١٠١.
١٠٢. ١٠٣. ١٢٦. ١٢٧. ١٢٩.
١٣٠. ١٣٢. ١٣٥. ١٤٢. ١٤٣.
١٦٢. ١٦٥.

ن

النساطرة ٦٠. ٦١. ٦٢. ٦٣. ٦٩. ٧٠.
٧٣. ٧٤. ٧٦. ٧٩. ٨٧. ٩٥. ٩٧.
٩٨. ٩٩. ١٠٤. ١٠٥. ١٢٢. ١٢٣.
١٣٠. ١٣١. ١٣٤، ١٣٥، ١٤٢،
١٤٣. ١٥٨. ١٦٢. ١٦٥.
النسك ١٥٠. ١٥٢. ١٥٣. ١٥٤. ١٥٥.
١٥٩.

هـ

الهونيون (الهياطلة) ٤٢، ٧٥، ٨٢، ٩٠، ١١٩.
هينوتيكون (مرسوم الاتحاد) ٨٧، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٩.

ي

اليهود (وانتشار المسيحية) ٢٠.
(والاضطهاد) ٣٦، ٣٧، ١٠٨، ١٣٧.

فهرس الموضوعات

أ

الآباء الغربيون (انطاكيه) ٢٨. ٢٩. ٣١.
٤٦. ٤٧. ٤٨. ٥٥. ٥٦. ٥٧. ٨٨.
الآرامية (اللغة) ١٣. ١٨. ١٩. ١٤٦.
الارشاقيون (الفرثيون) ٢١. ٢٢.
الاسينيون ١٥٠.
الاضطهاد ٢٥. ٣٣. ٣٤. ٣٨. ٣٩. ٤٠.
٤١. ٤٢. ٤٣. ٥٢. ٥٣. ٥٤. ٥٦.
٥٧. ٧٣. ٧٤. ٨٠. ٨١. ١١٣.
١٣١. ١٣٥. ١٣٨. ١٤٩.
الاضطهاد (الأربعيني) ٢٧. ٣١. ٣٥. ٣٩.

ت

تاريخ (دانيال بر مريم) ٢٢.
تاريخ (الرها) ١٧.
تاريخ (سعرد) ٢١. ٢٢. ٢٣. ٥٠. ٧٣.
٧٩. ٨٠. ٨٨. ٩١. ١١٣. ١١٤.
١١٥. ١١٧. ١١٩. ١٤١. ١٤٤.
التجسس (تهمة) ٢٨. ٢٩. ٣٤. ٣٥. ٣٦.
٣٧. ٣٩. ١٤٣.
التسامح (لدى الساسانيين) ٢٢. ٢٣. ٢٥.
٤٢. ٤٧. ٤٨. ٧٥. ١١٣. ١٢٠.
١٢٢. ١٢٤. ١٢٦.
تعليم (أدي) ١٠. ١١. ١٢.

ح

الحبساء ١٥٦.
حنانيون (انصار حنانا الحديابي) ١٢٥. ١٢٦.
١٣٠. ١٣٥.

د

دياطسرون (الانجيل الموحّد) ١٨. ١٩.

س

الساسانيون (الفرس) ٢١. ٢٢. ١٤٥.

ك

كرخ سلوخ (كركوك) ٢٣. ٥٠. ٥٦. ٧٤. ٧٨. ١١٠. ١١٣. ١٣٤. ١٣٦. ١٤٢. ١٤٦.

كرخ ليدان ٢٤. ٣٦. ٣٧. ٣٨. ٥٢.

كركوك ٣٨. ٥٠.

الكرمل ١٥٩.

كرمى ٧٩. ٨١. ١٤٤.

كشكر ١٥. ٣٩. ٤٦. ٤٨. ٥٠. ٨٤. ٩١. ١١٢. ١٢٥. ١٣٣. ١٣٤. ١٦٣.

كلسيس (برية) ١٥٤.

كنزك ١٠٨. ١٣٨.

كوار ١٥.

كوخي (كنيسة) ١٥. ١٦. ٢٢. ٢٩. ٨٨. ١١٠.

كومل ١٤٤.

كونديشابور ٢٣. ٢٤. ٢٨.

ل

لازيق ١١٣.

لاشوم ١١٣. ١٢٤.

لحف (جبل) ١١٨.

لندن ١٦٠.

ليدان ٧٨. ٨٤.

م

ماجدو ٩٨.

ماجوج ١٣. ١٤.

ماحوزا اريون ١٦. ١٤٢.

ماحوزي (المداين) ١٤٦.

ماداي ١٤. ١٨. ٥٣. ١٣٥. ١٤٥.

ماردين ١١٨.

المداين ١٥. ١٦. ٢٧. ٢٨. ٢٩. ٣٠. ٣١. ٣٢. ٣٦. ٣٨. ٤٢. ٤٣. ٥١. ٥٣. ٥٧. ٧٨. ٨٠. ٨١. ٨٢. ٨٨. ١٠٥. ١٠٨. ١١٣. ١١٧. ١٢١. ١٢٣. ١٣٥. ١٣٨. ١٣٩. ١٤٢. ١٤٥. ١٤٦.

مراغا ٦.

المرج ١٦٤.

مركا (المرج) ١٤٤. ١٦٤.

مركبتا دطيايي ٥٦.

مرو ٢٢. ٥٦. ٩٠. ١١١.

مشمهغ ٤٩.

مصر ٧٠. ١٠٤. ١٥١. ١٥٣.

معلثا ١٤٤.

ملاطية ٦٤.

منبج ٩٧.

الموصل ٨. ١٣. ٨١. ٨٣. ١١٩. ١٤٠. ١٦١.

ميافرقين ٤٠. ٤٥. ٤٦. ١٢١.

ميركتا ١٣٥.

ميسان ١٤٥.

ميشان (فرات) ١٥. ٤٨. ٥٠. ٥٢. ٥٦. ٧٨. ١٠٨. ١١٠. ١١١. ١٢٦. ١٢٧. ١٤٥. ١٥٩.

ميلانو (مرسوم) ٣٣. ٤٧. ١٤٩.

ن

نصيبين ١٣. ١٥. ١٧. ٣٤. ٤١. ٤٨. ٥٠. ٥٢. ٥٦. ٥٧. ٧٥، ٧٧، ٨٢.

٨٤ . ٨٦ . ٨٧ ، ١٠٤ . ١٠٥ . ١٠٧ .
١٠٨ ، ١٠٩ . ١١٠ ، ١١١ . ١١٢ .
١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ . ١٢٢ .
١٢٤ ، ١٢٥ . ١٢٦ ، ١٤٢ . ١٥٨ .
١٦١ ، ١٦٣ .
النعمانية (انظر الزوابي)
نهاوند (واقعة) ١٤٥.
نهر كول ١٣٤.
نونا ١٧.
نيتريه ١٥٨.
نيقية ١٢، ٢٨. ٢٩. ٤٩. ٦٧. ٦٨. ٩٦.
١٢٣.
نينوى ٨١. ١١٨. ١٤٢. ١٦٤.

هـ

هراة ٨٤.
هرمزارداشير ٥٣. ٥٥. ٩٠. ٩١. ١٠٨.
الهند ٨. ١٤.
هوزستان ٢٤. ٤٦. ٧٨.

و

واسط (انظر كشكر).

ي

اليمامة ١١٧.
اليمن ١١٩.
اليهودية ٥. ١٣. ٢٠. ٨٤. ١٥٠.
اليونان ١٥٠. ١٥٥.

ر

رادان ١٠٧.
الرقة (قالونيقس) ١٠١. ١١٩.
الرها ٦. ٧. ٩. ١٠. ١١. ١٢. ١٣. ١٤. ١٧. ١٨. ١٩. ٢٠. ٤١. ٤٨. ٦٤. ٦٥. ٦٧. ٦٩. ٧٥. ٧٦. ٧٧. ٧٨. ٨٢. ٩٧. ١٠٠. ١٣٠. ١٣٧.
روارداشير ٢٤. ٥٦. ٧٥. ٧٨. ٨٧. ٨٩. ١٠٨. ١١١.
روما ٦. ٨. ١٠. ١٨. ٢٨. ٣٢. ٣٥. ٦٧. ٦٨. ٧٠. ٩٦. ١٠٠. ١٦٢.
روما (الجديدة) ٣٥.
ريشعينا ٩٠.

ز

الزاب (نهر) ١٦٤.
الزوابي ٧٨. ١١٢. ١١٧.
زوزان ١٥.

س

سافيت ٤٥.
ساليق ١٥. ١٦. ٢٧. ٢٨. ٢٩. ٣٨. ٤٤. ٤٥. ٤٧. ٤٩. ٥٠. ٥١. ٥٢. ٥٣. ٥٥. ٥٦. ٨٣. ٨٤. ٨٦. ٨٨. ٩١. ١٠٨. ١١٠. ١١١. ١١٢. ١١٣. ١٢١. ١٢٤. ١٢٦. ١٣٥. ١٣٦.
السامرة ٥.
سبسطية ١٥٤.
سجستان ١٠٨.
سلوقية سورية ٩٣.
سنجار ٢٤. ١٢٥. ١٣١. ١٤٣. ١٤٤.
السند ١٣.
سورية ٤٨. ٦٢. ٦٤. ٧٠. ٩٣. ٩٤. ١٠٠. ١٣٧. ١٥٣. ١٥٤. ١٥٥. ١٦٢. ١٦٣.
سوزوبوليس ٩٨.
السوس ١٤٥.
سوق التبن ١٣٥.
السويس ١٥٧.
سيناء (جبل) ١٦٤.

ش

الشام (انظر دمشق).
شنا ١٢٤.
شهرزور ١٣٢. ١٤٣. ١٤٤.
شهرقرد ١٥.
شوش ٢٤. ٢٩. ٤٩. ١٤٢.
شوشتر ١٠٨.

ص

صرصر (نهر) ٧٧.
الصعيد المصري ١٦٣.
صور ٩٩.
صيدا ٩٩.
الصين ١٤٣.

ط

طابور (جبل) ١٥٩.

طرابلس ١١٤. ١١٥.
طورعبدين ٨٢. ١٢٩. ١٥٧. ١٦١. ١٦٢.
طوس ٥٥.
طيبة ١٥٣.

ع

العاقولاء ١٤٦.
عانة ١٤٤.
العراق ٨. ٢٣.
العربة (جبل) ١٥٢.
العظيم (نهر) ١٠٧.
عمان ٥٦.
عيلام ٧٨.

غ

غزة ٩٨.
الغلاظة (جبل) ١٥٢.
غنغرة ٦٩.

ف

فارس ٦. ١٤. ١٥. ١٨. ٢٠. ٢١. ٢٤. ٣٩. ٤٠. ٥٢. ٥٥. ٧٠. ٧٨. ١١٢. ١٤٠.
الفرات (نهر) ١٧. ٥١. ١١٩.
فرات ميشان (انظر ميشان).
فرثية ١٦. ٢٤.
فلسطين ٩. ١١. ٩٩. ١٥٣. ١٥٤. ١٥٥.
فنك ٣٨.
فيروزاباد ١٢٤
فيروزشابور (الانبار) ٧٩. ١١١. ١٤٤. ١٤٥.
فيه ارداشير ١٦. ٥٢. ٧٤. ٧٥. ١٣٥. ١٣٩.

ق

القادسية ١٤٥.
القاهرة ١٥١.
قبدوقية ٩٤.
القدس (انظر اورشليم).
قردو ١٣. ٢٣. ٢٤. ١٤٤.
قزوين (بحر) ٢٥.
القسطنطينية ١١. ٥١. ٥٩. ٦٠. ٦١. ٦٣. ٦٤. ٦٥. ٦٦. ٦٨. ٦٩. ٧٠. ٨٦. ٩٣. ٩٤. ١٠٣. ١٠٤. ١٠٨. ١١٥. ١٢٣. ١٢٤. ١٣٣. ١٣٨.
قطر ١٤٥.
قطيسفون ١٥. ١٦. ٢٢. ٥٣. ١١١.
قلزوم ١٥٧.
قلعة سمعان ١٥٦.
قمران ١٥٠.
قمن (قيمان) ١٥١.
قني (دير) ١٥. ٥٠.
قورش ١٠١.
قوش ٨٣.
القوقاز ١٣٨.
قيساربه ١١٩.
قيصرية قبدوقية ١٣٧. ١٥٤.

ايزلا (جبل) ١٣٠ . ١٣٣ . ١٣٤ . ١٣٦ . ١٤٠ . ١٥٨ . ١٦١ . ١٦٤ .

ب

بابل ٨ . ١٣ . ١٤ . ١٥ . ٢٠ . ٢١ . ٢٣ .
باجرمي ١١٨ .
باريس ٥٠ .
باعربايا ١١٩ .
بانوهذرا ١٤٤ .
البتراء ٦٣ . ٩٩ .
البحرين ١١٧ . ١٤٤ . ١٤٥ .
برقيطي ١٢٥ .
برلين ١٦٠ .
البصرة ٥٠ . ١٥٩ .
البصرى ١٠٣ .
بغداد ١٤٤ .
بفلاغونية ٦٩ .
بلد (اسكي موصل) ١٤٠ .
بلشفر ٨٦ .
بنطس ١٥٤ .
بهرشير ١٦ .
بوازيج ١٤٤ .
البوسفور ٦٨ . ١٣٨ .
بيت لحم ٦ .
بيت ارامايي ٣٤ . ٧٥ . ٨٧ . ٨٨ . ١١١ .
بيت ارشم ١٠٥ .
بيت داراي ٧٩ .
بيت رادان ١٥ .
بيت رازيقايي ٥٣ .
بيت رمان ١٤٣ . ١٤٤ .
بيت زبدى (بازبدى) ١٣ . ٢٤ . ٣٨ . ٥٦ . ١٣٦ . ١٦٤ .
بيت سلوخ (انظر كرخ سلوخ او بيت كرماي) .
بيت عابي ١٢٤ . ١٦١ .
بيت عذراي ٨١ . ٨٣ .
بيت عربايي ٢٤ . ٥٠ . ١٢١ . ١٣٠ .
بيت عيناثا ١٣٦ .
بيت كرماي ١٥ . ٣٨ . ٤٢ . ٤٨ . ٥٢ . ٥٣ . ٧٨ . ٨٤ . ٩٧ . ١١٠ . ١١١ . ١٢٥ . ١٢٧ . ١٣٨ . ١٦٤ .
بيت لافاط ٢٣ . ٣٨ . ٥٠ . ٥٢ . ٥٣ . ٥٦ . ٧٧ . ٧٨ . ٧٩ . ٨١ . ٨٣ . ٨٥ . ٨٧ . ٨٨ . ٨٩ . ٩١ . ١٠٨ . ١٠٩ . ١١٠ .
بيت نرقوس (كنيسة) ١٤١ .
بيت نوهذرا ١٣٠ . ١٤٣ . ١٤٤ . ١٦٤ .
بيت هوزايي ١٤ . ٣٤ . ٤٨ . ١١١ . ١٥٨ .
بيروت ٦٥ . ٩٨ .
بيزنطية ٣٥ . ٦٠ . ٦١ . ٦٨ . ٨٣ .
بيزيدية ٩٨ .
بين النهرين ٦ . ٧ . ٨ . ١٠ . ١١ . ١٣ . ١٤ . ١٦ . ١٧ . ١٩ . ٢٠ . ٢١ . ٤٨ . ٥٦ . ١٥٤ . ١٥٩ . ١٦٣ .

ت

تبنسي ١٥٣ .
تحل ٢٢ .
تركية ١١٩ .
تكريت ٧٩ . ٨١ . ١٤٤ . ١٤٦ .
تل بسمي ١٢٦ .
تل فخاري ١٣٤ .
تلا ٤٨ . ٧٧ .
تلا (على نهر صرصر) ٧٧ .
تلموزلت ١٠٤ . ١٣٠ .

ج

جدالا ١٤٠ .
جرمانيقي ٦٠ .
الجزيرة ١٤٤ .
جنوى ١١ .
جوج ١٣ . ١٤ .
جيرابوليس ١٧ .
جيلان ١٤ . ٢٥ .

ح

حالا ١٠٧ .
الحبشة ١٠٥ .
حدياب ١١ . ١٥ . ٣٨ . ٤٢ . ٤٨ . ٥٠ . ٥٢ . ٥٣ . ١١٠ . ١١١ . ١٢٧ . ١٣٠ . ١٣٢ . ١٣٤ . ١٣٨ . ١٤٢ . ١٥٩ .
حطارا ١٨ .
حلب ٤٨ . ١٤٢ .
حلوان ٧٤ . ٩٠ . ١١٣ . ١٣٢ . ١٥٦ . ١٤٥ .
حمرين (جبال) ١٠٧ .
حنيثا ٣٩ .
الحيرة ٥٣ . ٥٦ . ٧٤ . ٧٨ . ٨٠ . ٩٠ . ١٠٥ . ١٢٣ . ١٢٥ . ١٣٣ . ١٤٠ . ١٤٥ . ١٦٣ .

خ

خراسان ٥٣ . ٥٥ . ٨٤ . ١٤٢ .
خربا ١٦٤ .
خلقيدونية ٣٢ . ٥٩ . ٦٣ . ٦٧ . ٦٨ . ٦٩ . ٩٣ . ٩٥ .
خنيوبوسكيون ١٥٣ .

د

دارا ١١٨ . ١١٩ . ١٢١ . ١٢٥ . ١٢٦ . ١٣٧ .
داراي (جزيرة) ١٢١ .
دارنجرد ١١٢ .
داسن ١٥ . ١٦٤ .
دجلة (نهر) ١٥ . ١٦ . ١٧ . ١٠٧ . ١٣٨ . ١٣٩ . ١٤٤ .
درار ١٥ .
دربند ١٣٨ .
دستكرد ١٣٨ . ١٣٩ . ١٤١ .
دمشق ١٣٧ . ١٤٣ .
دير مار اوجين ١٦١ . ١٦٢ .
دير ايزلا الكبير ١٣٣ . ١٣٦ . ١٥٩ . ١٦٤ .
دير برقيطي ١٢٥ .
دير بيث عابي ١٦١ . ١٦٤ .
دير الجص ١٥٩ .
دير رومانس ٩٨ .
دير الزعفران ١٦٢ .
دير سرجيس ١٣٥ .
دير شيرين ١٣٢ .
دير فثيون ١٣٢ .
دير القبوث ٥٦ .
دير قني ١٥ . ٥٠ .
دير مايوما ٩٨ .
دير مار متى ١٣٠ . ١٣٢ . ١٤٣ . ١٤٤ .
دير مار ميخائيل ١٦١ .
دير مار يوحنا ١٦٢ .
ديالى (نهر) ١٠٧ .
ديصان (نهر) ١٢ . ١٧ .

فهرس البلدان والمواقع

أ

آثور ١٤.
آسيا الصغرى ٩٦. ١٠٢. ١٣٨. ١٥٤.
آمد (ديار بكر) ٤٥. ٤٨. ٥٧. ٩٠. ١٣٠.
أثينا ١٠٢.
أذربيجان ١٠٨. ١٢١. ١٣٨.
أربيل (انظر حدياب).
أرزن ١٥. ٢٤. ١٠٧. ١٠٨. ١٢١. ١٢٣. ١٤٤. ١٦٤.
ارشم ٧٣.
أرمينية ١٤. ٢٤. ٥٢. ١٣٠. ١٣٨. ١٥٤.
أزمير ١٠٢.
ازورستان ٢٤.
اسرونيا ١٣.
الاسكندرية ٢٨. ٣٢. ٥٩. ٦٠. ٦١. ٦٧. ٩٥. ٩٦. ٩٨. ١٠٠. ١٠١. ١٠٣. ١٠٤. ١٠٧. ١١٤. ١٣٧. ١٥٢.
أسكي (انظر الموصل).
اسنيه ١٥٣.
اصطخر ١٤٥.
اصفهان ٥٦.
اقراد كوخي (قلعة) ١٣٥.
الأكراد ٨٦.
افامية ٩٤. ١٤٣.
أفسس ٥٩. ٦١. ٦٢. ٦٣. ٦٤. ٦٥. ٦٨. ٩٥. ١٠٢.
الانبار (انظر فيروز شابور).
انطاكية ٥. ٨. ١٠. ١٣. ٢٣. ٢٧. ٢٨. ٢٩. ٣٢. ٣٥. ٤٨. ٥٩. ٦٠. ٦٢. ٦٣. ٦٥. ٦٧. ٦٩. ٧٠. ٧٤. ٧٦. ٨٨. ٩٣. ٩٤. ٩٦. ٩٧. ٩٩. ١٠٠. ١٠٣. ١١٣. ١٤٢. ١٥٤.
انطياخسرو (الرومية) ١١٣.
الاهواز ١٣. ١٥. ٢٣. ٣٦. ٤٦. ٩٠. ١٤٥.
اورشليم ٥. ٦. ١٣. ٢٨. ٣٢. ٩٦. ٩٨. ٩٩. ١٠٠. ١٣٧. ١٤١. ١٤٢.
اورمية (بحيرة) ٦.
ايران ٢٣. ٨٦. ١٤٥.
ايران – شاهر ٢٤.
ايريس (نهر) ١٥٤.

نوروزي (الطبيب) ١١٧ .

نونا (١) اسقف الرها ١٧ .

نونا (٢) اسقف الرها ٧٠ . ٧٦.

هـ

هرقل (الامبراطور) ١٣٨ . ١٣٩ . ١٤١ . ١٤٢ . ١٤٤ .

هرمزد (الربان) ١٦٢ .

هرمزد (الشهيد) ٥٤ .

هرمزد (١) ٢٤ . ١٢١ .

هرمزد (٢) ٢٥ .

هرمزد (٣) ٧٧ .

هرمزد (٤) ١٢٠ . ١٢١ . ١٢٢ . ١٢٤ .

هرمزداس (البابا) ١٠٠ .

هشو (هوشع الكاهن) ٥٣ . ٥٥.

هند الصغرى ١٢٣ .

هوشع (مط . نصيبين) ٥٧ . ٨٦.

الهونيون ٦٧.

هيبا الرهاوي ٦٤ . ٦٥ . ٦٧ . ٦٩ . ٧٤ . ٧٦ . ٩٩.

هيرونيمس ١٥٤ .

هيلاريوس ٦٧ .

هيلاريون ١٥٤ . ١٥٨.

هيلانة (اميرة بين النهرين) ١١ .

هيلانة (الملكة) ٩ . ١١ .

و

الوثنيون ١٢ . ٢٠ . ٥١ . ٥٥ . ٨٥ .

ي

يزداد (اسقف روارداشير) ٨٧ ، ٨٩ .

يزداد (الاسقف) ٤٩.

يزداندوخت ٣٨.

يزدجرد (اسقف بيث داراي) ٧٩.

يزدجرد (١) ٤١ . ٤٣ . ٤٥ . ٤٦ . ٤٧ . ٤٨ . ٥٠ . ٥١ . ٥٢ . ٥٣ . ٥٥ . ٥٦.

يزدجرد (٢) ٧٣ . ٧٤.

يزدجرد (٣) ١٤٥.

يزدفنه (اسقف شهرزور) ١٤٣ .

يزدين ١٣٦ . ١٣٧ . ١٣٨ . ١٣٩ . ١٤٠ . ١٤١ . ١٤٣.

يعقوب (اسقف داراي) ١٢١ . ١٢٢ .

يعقوب البرادعي ١٠٣ . ١٠٤ . ١٠٥ . ١٢٩ .

يعقوب السروجي ١٢.

يعقوب الكاتب ٥٤ . ٥٥.

يعقوب اللاشومي ١٦٤ .

يعقوب المقطع ٥٤ .

يعقوب النصيبيني ٣٤ . ٧٦ . ١٥٤ . ١٥٨ .

يهب ١٦٠ .

يهبالاها (الجاثليق) ٥١ . ٥٢ . ٥٤ . ٥٦.

يهبالاها (٣) الجاثليق ٦ . ١٢٤ .

يهبيشوع ٢٨ .

اليهود ٩ . ٢٠ . ٣٤ . ١٠٢ . ١٠٩ . ١٣٧ .

يوحنا الآسيوي (الأفسسي) ١٠٢ . ١١٥ .

يوحنا (الاسقف) ١١٣ .

يوحنا اسقف المشتتين ١٤٣ .

يوحنا برفنكايي ٢٩ .

يوحنا بركلدون ١٦٠ .

يوحنا (بطر . انطاكية) ٦٢ . ٦٣ . ٦٤ . ٦٥ .

يوحنا (بطر . اورشليم) ٩٩.

يوحنا (تلميذ اوجين) ١٥٩ . ١٦٠ .

يوحنا بيث ربان ١١٤.
يوحنا فم الذهب ١٢٥، ١٣٥، ١٥٤.
يوحنا (الكونت) ٦٣.
يوحنا (مط. كرخ سلوخ) ٧٤. ٧٨.
يوحنا (مط. ميشان) ١١١.
يوحنا المعمدان ١٧٨.
يوستنيانس ١٠١، ١٠٢، ١١٣، ١١٥.
يوستينس ١٠٠، ١٠١، ١٠٢.
يوسطانس (يوستنيانس) ١١٣.
يوسف بوسنايا ١٦٠.
يوسف الثاني آل معروف ١٦٢.
يوسف (الجاثليق) ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨.
يوسف (الصديق) ١٣٨.
يوسف (موسى) ١٠٧.
يوليان سابا ١٥٥.
يوليانس (بطر. انطاكية) ٩٤.
يوليوس الافريقي ١٨.
يوناداب (مط. حدياب) ١٣٢، ١٣٤.
اليونان ١٢، ٢٣.
يونان (رفيق اوجين) ١٥٨، ١٦٠.

فيرونيكة (وارينة) ١١ .
فيلبس (تلميذ برديصان) ١٨ .
فيلبس (الكاهن) ٦٢ .
فيلكس (البابا) ٩٦ .
فيلوكسينس المنبجي ٨٧ . ٩٧ . ٩٨ . ٩٩ .

ق

قاميشوع (خلف احودامه) ١٣٠ .
قباذا (١) ٨٧ . ٩٠ . ٩١ .
قذالا ١٦٠ .
قرياقوس (مط . نصيبين) ١٤٢ .
قسطنطين الكبير ١١ . ٢٩ . ٣٣ . ٤٧ . ١٥٨ .
قسطنطين (٢) ٣٤ .
قلنديون (بطر . انطاكية) ٩٤ . ٩٦ . ٩٧ .
قنديرة ٢٣ . ٢٥ .
قورا (اسقف الرها) ٧٧ .
قورطا ١٣٩ . ١٤٠ .
قورلس الاسكندري ٦١ . ٦٢ . ٦٣ . ٦٤ .
٦٥ . ٦٧ . ٦٨ . ٧٦ . ٩٥ . ١٠٢ .
١٣٥ .
قيورا (مدير مدرسة الرها) ٧٦ .
قيوما (الجاثليق) ٤٣ . ٤٦ .

ك

كرتير ٢١ . ٢٢ . ٢٤ . ٢٥ .
كريستوف (مط . دير مار متي) ١٤٣ .
كسرى (١) انوشروان ٩١ . ١٠٢ . ١٠٨ .
١١٠ . ١١٢ . ١١٣ . ١١٤ . ١١٧ .
١١٨ . ١١٩ . ١٢٠ . ١٢٩ .
كسرى (٢) برويز ٢٨ . ٨١ . ١٢١ . ١٢٣ .
١٢٤ . ١٢٦ . ١٣٠ . ١٣١ . ١٣٢ .
١٣٤ . ١٣٥ . ١٣٦ . ١٣٧ . ١٣٨ .
١٣٩ . ١٤٠ . ١٤٢ . ١٤٣ . ١٤٥ .
كسرى (٣) ١٤٢ .
كلوديوس (الملك) ١٠ .
كليليشوع (الراهب) ٨٧ .
كماليد (رئيس اليهود) ٩ .
كودونا (بطر . انطاكية) ٩٤ .
كوريا ١٦٠ .
كوشتازاد ٣٦ .
كومودس (الامبراطور) ١٧ .
كويدي ١٣٤ . ١٣٦ . ١٣٨ . ١٤٠ . ١٤٦ .
كيوركيس الراهب ١٣٣ . ١٣٤ . ١٣٥ .

ل

لابور ٣١ . ٥٣ . ١٦٠ .
اللاتين ١٢ .
لاون (البابا) ٦٥ . ٦٧ . ٦٨ . ٦٩ . ٧٠ .
٩٤ . ٩٦ . ٩٧ . ٩٩ .
لبى (تدى) ٧ .
اللخميون ٨٧ .
لعازر ١٦٢ .

م

الماديون ٢٠ .
ماروثا التكريتي ٨١ . ١٤٤ . ١٤٦ .
ماروثا (الراهب) ١٤٣ .
ماروثا الميافرقيني ٤٠ . ٤١ . ٤٤ . ٤٥ . ٤٦ .
٤٧ . ٤٨ . ٤٩ . ٥١ . ٥٦ .
ماري (اسقف كشكر) ١١٢ .

ماري (الاسقف) ٤٩.
ماري (إيشاي) ١١٧.
ماري بن سليمان ٧. ١٣. ١٥. ١٦. ٢٠. ٢٩. ٤٠. ٤٢. ٤٣. ٥٠. ٥١. ٥٦. ٧٧. ٨١. ٨٢. ٨٧. ٨٨. ٩١. ١١٤. ١٥٧. ١٦١.
ماري (التحلي) ٩٠.
ماري (تلميذ ادي) ٦. ٧. ٨. ١٣. ١٤. ١٥. ١٦. ٢٧.
ماري (مط. فارس) ٦٥. ٧٥.
مالخ ١١٢.
ماموي ٧٧.
المانويون ٢٥.
المتوكل (الخليفة) ١٥٩.
مرتا (الراهبة) ٣٧.
مرتيريوس (بطر. انطاكية) ٩٣.
مردنشاه ١٥. ١٣١، ١٣٩، ١٤١.
مرقيان (الامبراطور) ٦٧، ٦٩. ٧٠. ٧٧.
مريم (العذراء) ٦١. ٦٣. ٩٥. ١٣٥. ١٤٢، ١٦٢.
مريم (اخت باخوميس) ١٥٣.
مريم الرومانية ٢٨. ١٢٤. ١٣٧.
مزدا ٢٢.
معنا (مط. فارس) ٥٢. ٥٤. ٥٥. ٧٨.
معنو ٩.
مقدونيوس (بطر. القسطنطينية) ٩٨.
مقدونيوس (الهرطوقي) ٥٩.
مكاريوس الكبير ١٥٤.
مكسيم (بطر. انطاكية) ٩٣.
مكسيان (الامبراطور) ١٥٢.
مكسيميان (بطر. القسطنطينية) ٦٣.
ممنون (مط. افسس) ٦٣.
المنذر (بن النعمان) ٥٣.
موريقي (الامبراطور) ٢٨. ١٢١. ١٣٧.
موسى (اسقف فيروزشابور) ٧٩.
موسى النبي ١٥٩.
موسى (نرسي) ١١٢.
ميخائيل ١٥٨. ١٦٠.
ميخائيل السرياني ١٩. ٨١.
ميلاس (انظر بالش).
ميلاس (اسقف شنا) ١٢٤.
ميلس (اسقف شوش) ٢٩. ٣٠. ١٥٨.
ميناس (بطر. القسطنطينية) ١٠٣.
ميهرام كوشنسف (انظر كيوركيس الراهب).
ميهر شابور ٤٩.
ميهر شابور (القائد) ٥٤.
ميهر نرسا (اسقف الزوابي) ٧٨.
ميهر نرسي (القائد) ٥٥.

ن

ناني (مط. ميشان) ٧٨.
نثنائيل (الرسول) ٧.
نثنائيل (شهرزور) ١٣٢.
نرساي (الملفان) ٧٦. ٧٧. ٨٢. ١٢١. ١٢٧.
نرساي (الجاثليق) ٩٠. ٩١. ١٠٩.
نرسي (الراهب) ٥٣.
نرسي (الملك) ٢٥.
نسطوريوس ٦٠. ٦١. ٦٢. ٦٣. ٦٤. ٦٥. ٦٦. ٦٩. ٧٠. ٧٦. ٩٥. ٩٨. ٩٩. ١٠١. ١٣٥. ١٤٢.
نسطير ١٥٩.
النعمان ابن المنذر ١٢٣. ١٣٣.
نو (فرنسيس) ١٤٤.
نوح ١٥٨.

سرجيس (اسقف كشكر) ١٣٤ .
سرجيوس (الشهيد) ١٢٤ .
السريان ١٩، ١١٨ .
سعد (ابن ابي وقاص) ١٤٥ .
سقراطس (المؤرخ) ١٩، ٤٧ .
سكستس (البابا) ٦٣ .
سلستينس (البابا) ٦١ .
سلوانس ١٥٩ .
سليمان البصري ٦، ٧ .
سمعان (بطرس) ١٥٩ .
سمعان الارشمي ٧٣، ٨١، ٨٧، ١٠٤، ١٠٥ .
سمعان (معاد السمعاني) ٤٠ .
سمعان العمودي ١٥٦ .
السمعاني (يوسف سمعان) ١٥٩، ١٦٣ .
سهدونا ١٤٢، ١٤٣ .
سورين (الشهيد) ٥٤ .
سوزومين (المؤرخ) ١٩، ٣٩، ١٥٩، ١٦٣ .
سوسائيس ١٥٩ .
سويريوس الانطاكي ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١١٥ .

ش

شابو (الاب يوحنا) ٥٠، ١١٩، ١٦٠ .
شابور (١) ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ .
شابور (٢) ١١، ٢٧، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ١٥٨، ١٦٣ .
شابور (٣) ٤٢، ٤٣ .
شاهدوست ٣١، ٣٨ .
شحلوفا ٢٩ .
شربيل (الشهيد) ١٢ .
شليطا ١٥٨، ١٦٠ .
شمطا ١٣٩، ١٤٠، ١٤١ .
شمعون (اسقف الانبار) ١١١ .
شمعون (اسقف الحيرة) ٧٨، ١٣٣ .
شمعون برصباعي ٢٤، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٤ .
شمعون الصفا ٨ .
شمعون (مط . نصيبين) ١٢٢ .
شمعون شهر براز (القائد) ١٣٤، ١٣٧، ١٤١، ١٤٢ .
شهريار (يزدجرد) ١٤٥ .
شوحالماران (مط . كرخ سلوخ) ١٣٤، ١٣٥ .
شيراران (امرأة شابور الأول) ٢٢ .
شيروان ٢٢ .
شيرويه (قباذ) ١٣٩، ١٤٠، ١٤١ .
شيري ١٦٠ .
شيرين الآرامية ١٢٤، ١٢٦، ١٣١، ١٣٤، ١٣٩، ١٤١ .
شيرين (الشهيدة) ١١٣ .
شيلا (الاسقف) ٤٩ .
شيلا (الجاثليق) ٨٩، ٩٠ .

ص

صليبا (بن يوحنان) ٧، ٢٠، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٦، ٧٧، ٨١، ٨٧، ٨٨، ١١٤، ١١٨، ١٥٧ .
صليبا زخا (الجاثليق) ١٦١ .
صليبا (المفريان) ١٤٤، ١٤٥ .
صموئيل (اسقف طوس) ٥٥ .
صوما (ربان) ٦ .

ط

طاطاق (الشهيد) ٥٣.
طاوا ١٦٠.
طريانس (الامبراطور) ١٢.
ططيانس ١٨. ١٩.
طهمزجرد ٧٤.
طوميس (تلميذ ماري) ١٥.
طيباريوس ١٠. ١١.
طيمثاوس (بطر. القسطنطينية) ٩٩.
طيمثاوس النصيبيني (طبيب) ١٢٣.

ع

عبدا (مار) ٥٠. ٥١.
عبدا (مط. هرمزاردشير) ٥٣.
عبد هيكلا (الكاهن) ٣٧.
عبد يشوع (اسقف كشكر) ٣٩.
عبد يشوع الصوباوي ٢٩. ٧٥.
عبشلاما (اسقف الرها) ١٢. ١٣.
عقبشما ٣٩.
العيلاميون ٢٠.

غ

غاليريوس (الامبراطور) ٣٣.
غريغور (الجاثليق) ٧٩. ١٢٦. ١٢٧. ١٣١.
غريغور (مط. رواردشير) ١٢٢.
غريغور الكشكري ١٢٥. ١٢٦. ١٣١.
غريغوريوس (اسقف بيث رمان) ١٤٣.
غريغور (تلميذ اوجين) ١٦٠.

ف

فافا ١٤. ٢٧. ٢٩. ٣٠. ٣١. ٤٤.
فافا (أخو المطران عبدا) ٥٣.
فافا الشماس ٥٣.
فافا (مط. بيث لافاط) ٨٧. ٨٩.
فالمون (الناسك) ١٥٣.
فالوط ١٠. ١٢. ١٣.
فاليريانس (الامبراطور) ٢٤.
فثيون (القديس) ١٣٦.
فرابخت ٥٤. ٥٥.
فرافيتا (بطر. القسطنطينية) ٩٧.
الفرثيون ٦. ٨. ١٥. ١٨. ٢٠. ٢١. ٣٢.
الفردوسي ١٤١.
الفرس ٢٤. ٣٢. ٣٣. ٣٤. ٤١. ٤٨. ٥٠. ٥٤. ٥٧. ٧٥. ٧٦. ٧٨. ٨٥. ٩٨. ١١٣. ١١٩. ١٢٠. ١٢١. ١٢٣. ١٣٧. ١٤١. ١٤٣. ١٤٥. ١٤٦.
فرعون ١٣٨.
فرفيريوس الانطاكي ٤٨.
فروخان (انظر شهر براز).
فقيدا (اسقف الرها) ٤٨.
فكتور (البابا) ١٧.
فلابيانس (بطر. انطاكية) ٩٨. ٩٩. ١٠٠.
فلابيانس (بطر. القسطنطينية) ٦٥. ٦٦. ٦٧. ٦٨. ٦٩. ٩٤.
فلافيوس يوسيفوس ١١.
فوبوس ١٥٤.
فوسي ٣٧.
فوقا ١٣٧.
فولوس ٧٩.
فيروز (الشهيد) ٥١. ٥٣. ٥٤.
فيروز (الملك) ٧٥. ٧٧. ٧٩. ٨٠. ٨١. ٨٢. ٨٧.

بولس (مط . نصيبين) ١١٨ .
بولكيريا ٦٧ . ٧٠.
بيجان (الاب) ٧٤.
بيروي (الطبيب) ٩١.
البيزنطيون (الروم) : ٢٤ ، ٧٨ ، ٨٠ . ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .
بيهور ٥٠ .

ت

تاودوسيوس (١) الروماني ٤٢ .
تاودوسيوس (٢) ٤٦ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ .
تاودوسيوس ابن موريقي ١٣٧ .
تيدي (لبي) ٧ .
ترتليانس ٢٠ .
الترك ١٢٠ .
تقلا ١٦٠ ، ١٦٢ .
تموزا (تومرصا) ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ .
توقريطي (الاسقف) ٢٣ .
توما (الرسول) ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٩ .
توما (تلميذ اوجين) ١٦٠ .
توما المرجي ١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ .
تومرصا (انظر تموزا)
تيودور (مط . بصري) ١٠٣ .
تيودورة ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .
تيودوروس المصيصي ١٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٤٢ .
تيودوريطس القورشي (المؤرخ) ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠١ ، ١٥٥ ، ١٥٩ .
تيودوسيوس (بطر . الاسكندرية) ١٠٣ ، ١٠٤ .
تيودولس ٨٢ .

ث

الثعالبي ١٤١ .

ج

جبرائيل (اسقف هراة) ٨٤ .
جبرائيل بن روفينا ١٢٥ .
جبرائيل دنبو ١٦٢ .
جبرائيل السنجاري ٨١ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ .
جبرائيل (مط . كرخ سلوخ) ١٤٢ .
جرجيس (اسقف سنجار) ١٤٣ .
جعفر (ابن المعتصم) ١٥٩ .
جورجي ١٢٩ .
جوفينال ٦٩ .

ح

حارث بن جبلة ١٠٣ .
حزقيال (الجاثليق) ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ .
حنا فيي (الاب) ٣١ .

حنانا الحديابي ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٤٠.
حنانيا (الكاهن) ٣٧.
حنانيشوع ١٣٤، ١٣٥.

خ

خسرو – يزدجرد ٤٩.
الخلقيدونيون ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣.

د

دادوق ٥٣.
داد يشوع (الجاثليق) ٣٠، ٣١، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧.
داد يشوع (رئيس ايزلا) ١٦٤.
داقيوس (الامبراطور) ١٢.
دامسكيوس (مدير اثينا) ١٠٢.
دانيال (النبي) ٧٥.
دانيال (اسقف كرمى) ٧٩.
دانيال (الاسقف) ٤٩.
دانيال (اسقف نوهذرا) ١٤٣.
دانيال بر مريم ٢٢.
دانيال الطبيب ١٥٨.
داود (مط. مرو) ٩٠.
دمنوس (بطر. انطاكية) ٦٥، ٦٧، ٩٣.
دنحا (المطرافوليط) ١٤٤.
دورتان ٥٣.
ديمتريانس (بطر. انطاكية) ٢٣، ٢٤، ٢٨.
ديودوروس الطرسوسي ٧٦، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٤٢.
ديوسقوروس ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠.
ديوقليطيان ٤١.
ديونيسيوس (الاسكندري) ٢٠.
ديونيسيوس (المفريان) ١٤٥.

ر

ربولا ٦٤، ٧٦.
رستم ١٤٥.
روزبهان ١٦١.
الروم (اطلب البيزنطيون).
الرومان ٩، ١١، ٢٣، ٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٧، ٥٤، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ١١٣، ١١٨، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٤.

ز

زاماسف ٨٦، ٨٧، ٩٠.
زفيران ١٠.
زكريا (بطر. اورشليم) ١٣٧، ١٤١.
زينون (الامبراطور) ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧.

س

سابا (القديس) ٨٦.
الساسانيون ٣٢.
سبريشوع (الجاثليق) ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣١، ١٣٣.
ستراطونيقي ١٦٠.
سرابيون ١٦٠، ١٦٢.
سرابيون (الاسقف) ١٠.

ادي شير (المطران) ١٤. ٣٠. ٣٨. ٥٦. ١٦٣.
ارداشير (١) ١٦. ٢١. ٢٢.
ارداشير (٢) ٤٢.
ارداشير (٣) ١٤١.
ارسانيس ١٥٩.
ارطبان (الملك) ١٥. ٢٣.
ارقاديوس (المطران) ٦٢.
الأرمن ١٢. ٦٤.
اريوس ٥٩.
الأريوسيّون ١٠٢
ازاد ٣٧.
اسحق الأول (الجاثليق) ٤٣. ٤٤. ٤٥. ٤٦. ٤٧. ٤٨. ٤٩. ٥٠. ٥٢. ٥٣. ٥٦.
اسطاسا ٢٢.
اسطيفان (بطر. انطاكية) ٩٤.
الاسكندريون ٦٣.
اغابيطس (البابا) ١٠٣.
اغابيطس (الاسقف) ٤٩.
افرام (بطر. انطاكية) ١٠٠. ١٠٣.
افرام (الكاتب) ٥٣.
افرام (الملفان) ١٢. ١٩. ٣٤. ٤١. ٤٤. ٧٥. ٧٦. ١٥٥.
افراهاط (الحكيم) ٣١. ٤٤.
افلاطون ١١٤.
اليشاع (تلميذ اوجين) ١٦٠.
اليشاع (الجاثليق) ٩٠. ٩١. ١٠٩.
اليشاع (النبي) ١٥٩.
امبروسيوس ١٣٥.
امونيوس الاسكندري ١٥٣.
اناتول ٧٠.
انتيموس (بطر. القسطنطينية) ١٠٣.
انسطاس (الأمبراطور) ٩٠، ٩٧. ٩٨. ١٠٠. ١٠٥.
انسطاسا ٢٢.
الأنطاكيون ٦٣.
انطونيوس الكبير ١٥١. ١٥٢. ١٥٤. ١٥٨. ١٥٩.
أواغريس (أب يوناني) ١٥٥.
اوجين (القديس) ١٥٤. ١٥٧. ١٥٨. ١٥٩. ١٦٠. ١٦١. ١٦٢. ١٦٣.
اوسابيوس التلي ٤٨.
اوسابيوس القيصري ٨. ٩. ١٠. ١٢. ١٧.
اوسطاثيس ١٥٤.
اوطيخا ٦٤. ٦٥. ٦٦. ٦٧. ٦٨. ٦٩. ٧٠. ٩٥. ٩٩.
اوطيمس ١٥٤.
أوفرازيانس ١٠٠.
اوفيميوس (بطر. القسطنطينية) ٩٧.
اونيس (انظر اوجين).
ايثالاها (الراهب) ١٤٣.
ايشاي الملفان ١١٧.
ايشوع (استاذ غريغور الجاثليق) ١٢٦.
ايشوعدناح البصري ١٩. ١٥٧. ١٥٩، ١٦٠. ١٦١. ١٦٢.
ايشوعزخا ١٥٩.
ايشوعسبران (الشهيد) ١٣٩.
ايشوعياب (١) الأرزني ١٢١. ١٢٢. ١٢٣، ١٢٤.
ايشوعياب (٢) الجدالي ١٢٣، ١٤٠. ١٤٢. ١٤٣. ١٤٦.
ايشوعياب (٣) الحديابي ١٤٢. ١٤٣.
ايشوعياب (رئيس دير) ١٦١.
ايليا (بطر. اورشليم) ٩٨. ١٠٠.
ايليا (النبي) ١٥١، ١٥٩.
ايليا النصيبيني ٤٣، ٥١.

ايوانيس ١٦٠ .
ايوب (بيث ربان) ١٢١ .

ب

باباي (الجاثليق) ٧٩ . ٨٦، ٨٧ . ٨٨ . ٨٩ . ٩٠ .
باباي الكبير ١٣٦ . ١٤٠، ١٤١ . ١٥٩ . ١٦٤ .
بابوي (الجاثليق) ٧٥ . ٧٧ . ٧٨ . ٧٩ . ٨٠ . ٨١ . ٨٢ . ٨٣ . ٨٤ . ٨٩ .
باخوميوس ١٥٣ . ١٥٥ . ١٥٦ . ١٥٨ . ١٦٥ .
بازيليسكس (الامبراطور) ٩٤ .
باسيليوس (بطر. انطاكية) ٩٣ .
باسيليوس القيصري ١٥٤ .
باطي (اسقف مشمهيغ) ٤٩ .
باطي (اللاشومي) ١١٣ .
بالش ٧٥، ٨٢ . ٨٣ . ٨٦ . ٨٧ .
بثيون (الشهيد) ٧٤ .
بختنصر ٨٩ .
بختيشوع (الخادم) ٤٢ .
بربعشمين ٣٨ . ٤٣ . ٤٤ .
برحذبشيا عربايا ١٩ .
برديصان ١٨ .
برسميا (اسقف الرها) ١٢، ١٣ .
برشبا (الراهب) ٢٢ .
برشبثا (الاسقف) ٤٩ .
برصوما (الارشمندريت) ٦٥ .
برصوما (اسقف شوش) ١٤٢ .
برصوما (مط. نصيبين) ٧٥ . ٧٦ . ٧٧ . ٧٨ . ٧٩ . ٨٠ . ٨١، ٨٢ . ٨٣ . ٨٤ . ٨٥ . ٨٦ . ٨٧، ٨٨ . ١٠٤ .
بروتونيقي (هيلانة) ٩ .
بروجكتس (المطران) ٦٢ .
بروكلس (بطر. القسطنطينية) ٦٤ . ٦٥ .
بسكازينوس ٦٨ . ٦٩ .
بسطام ١٢١ . ١٢٤ .
بطرس (الرسول) ٨ . ٥٧ . ٦٨ .
بطرس (بيث عابي) ١٢٤ .
بطرس القصار ٩٣ . ٩٤ . ٩٦ . ٩٧ .
بطرس منغوس (الاسكندري) ٩٦ .
بطي (اسقف هرمزارداشير) ٥٥ .
بلاديوس (بطر. انطاكية) ٩٧ . ٩٨ .
بلاديوس (أب يوناني) ١٥٥ .
بمبو (الانبا) ١٥٩ .
بندويه ١٢١ .
بنيامين (الشهيد) ٥٤ .
بهرام (١) ٢٥ .
بهرام (٢) ٢٣ . ٢٥ .
بهرام (٣) ٢٥ .
بهرام (٤) ٤١ . ٤٢ .
بهرام (٥) ٤٢ . ٥٣ . ٥٤ . ٥٥ . ٥٦ . ٧٣ . ٧٤ .
بهرام جوبين ١٢٠ . ١٢١ . ١٢٣ .
البوذيون ١٥٠ .
بوران ١٤٢ . ١٤٥ .
بوزق (مطران هرمزارداشير) ٩٠ . ٩١ .
بولس (الرسول) ٨٥ . ١٤٨ .
بولس (الانبا) ١٥١ . ١٥٩ .
بولس (بطر. انطاكية) ١٠٠ .
بولس (بطر. الاسكندرية) ١٠٣ .
بولس (بيجان) ٣٨ . ١٢٤ . ١٥٧ . ١٦٠ .
بولس (الجاثليق) ٩١ .
بولس (اسقف ليدان) ٨٤ .
بولس (مط. حدياب) ١٤٢ .

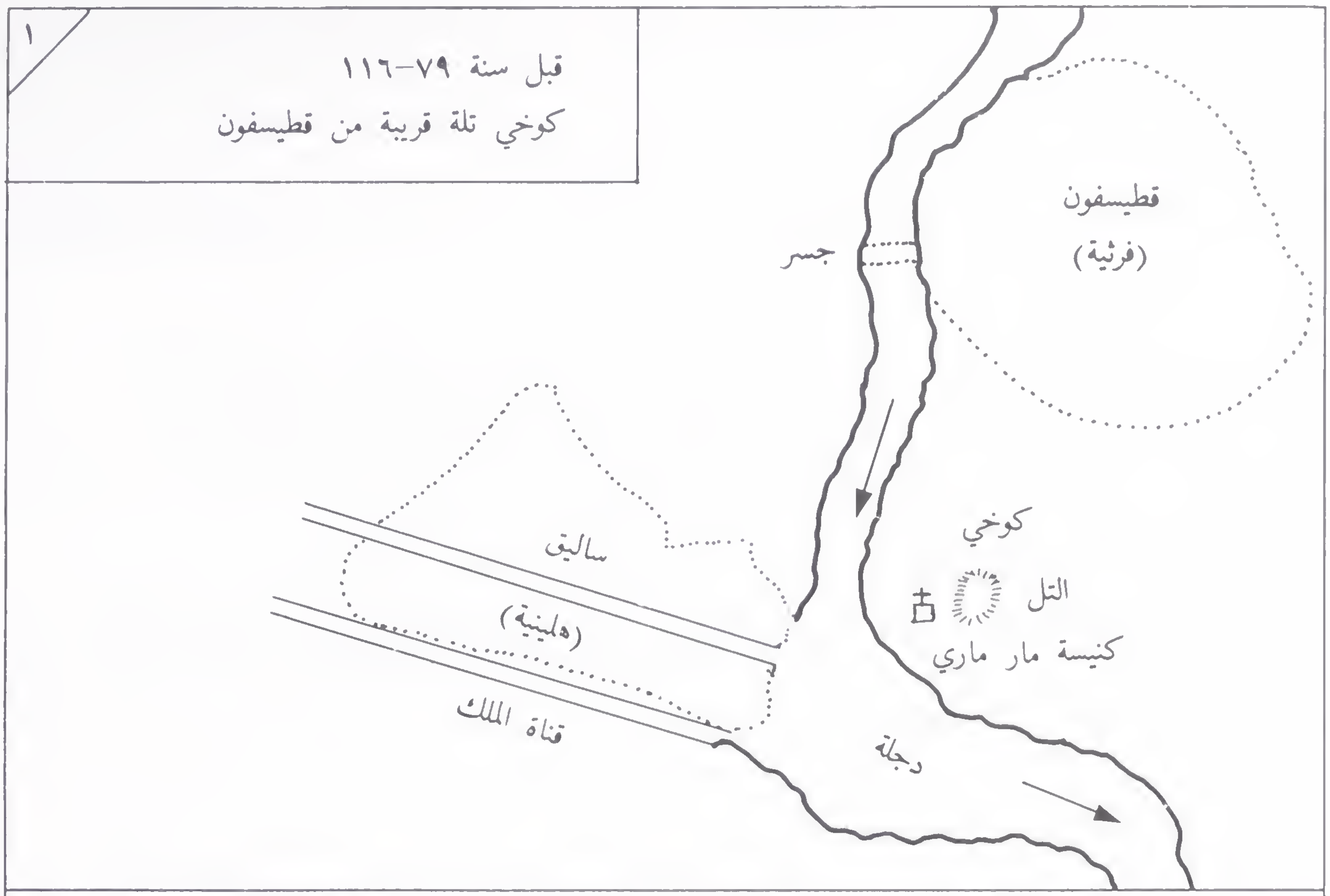

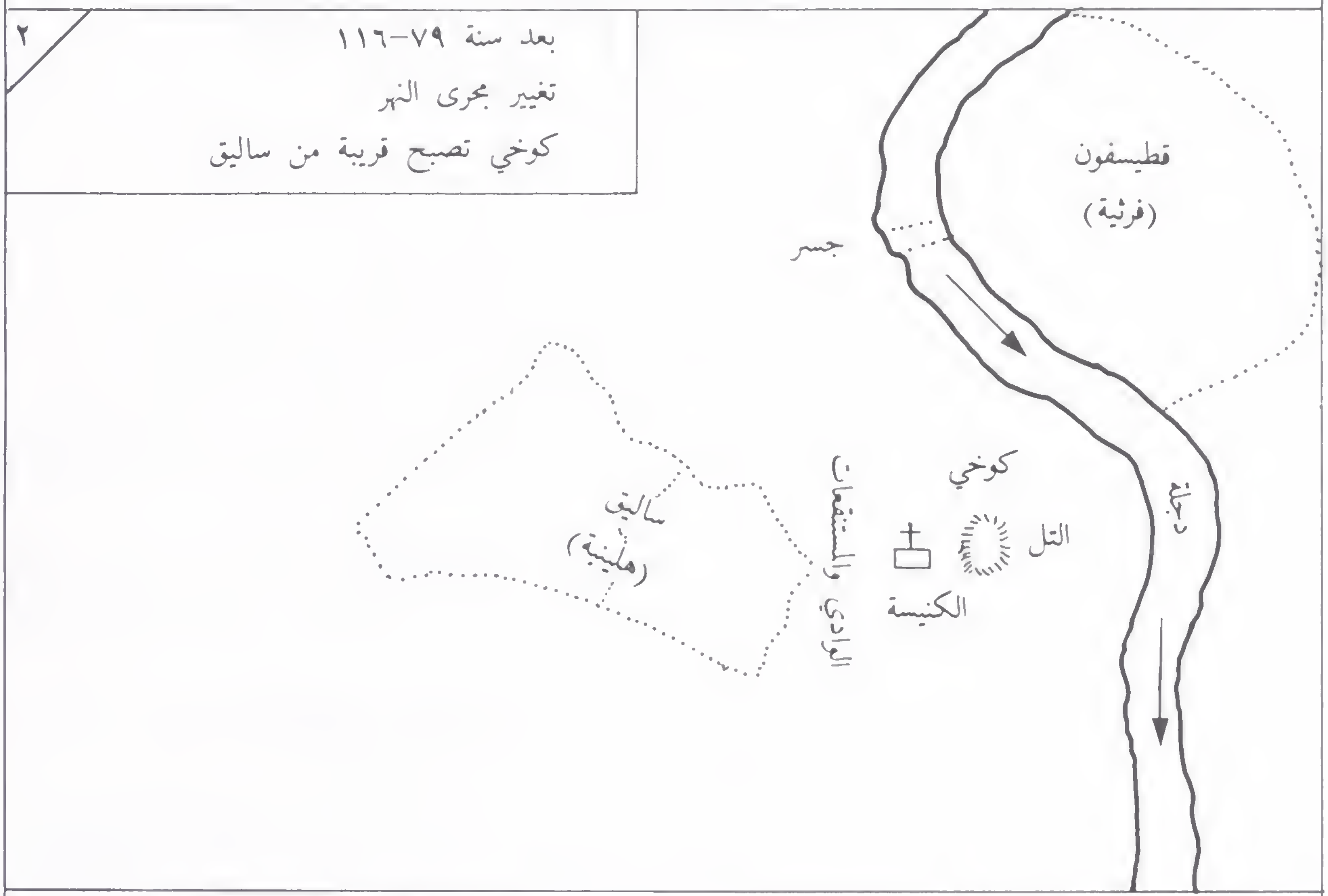

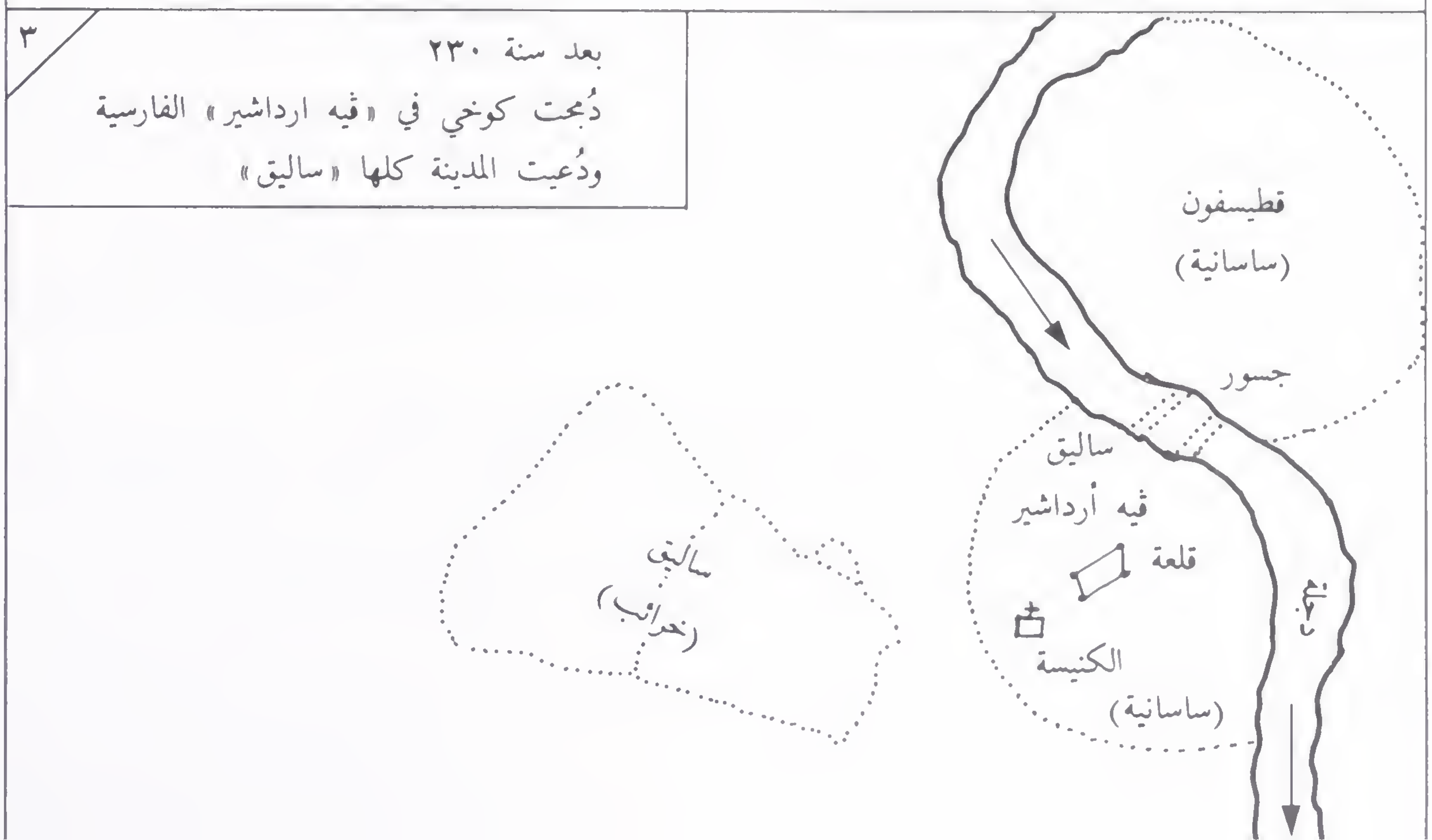

cf. J.-M. Fiey — Jalons pour une Histoire de l'Église en Iraq, pp. 42-44

فهرس أسماء الأشخاص

أ

آبا (الاركذياقون) ١٣٦ .
آبا الكبير (الجاثليق) ٩١. ١٠٧. ١٠٨. ١٠٩. ١١٠. ١١٣. ١١٧. ١٦٢. ١٦٣ .
آغبطا (حبيب) ٥٦. ٥٧ .
آقاق (الآمدي) ٤٦ : ٤٨. ٥١. ٥٢. ٥٦. ٥٧.
آقاق (اسقف حلب) ٤٨ .
آقاق (الجاثليق) ٧٥. ٧٨. ٧٩. ٨٢. ٨٣. ٨٥. ٨٦. ٨٧. ٨٨. ٨٩. ٩٥. ١٦٣ .
آقاق (اسقف رواردشير) ١٠٨ .
آقاق (بطر. انطاكية) ٩٣.
آقاق (بطر. القسطنطينية) ٩٤. ٩٦. ٩٧ .
آقاق (مط. ملاطية) ٦٤ .
ابجر الملك ٩. ١٠. ١١. ١٢. ١٤. ١٨ .
ابراهيم (بيث ربان) ١٢١. ١٦٣ .
ابراهيم قيدونايا ١٥٥ .
ابراهيم الكبير ١٥٩. ١٦٠. ١٦٢. ١٦٣. ١٦٤. ١٦٥ .
ابراهيم الكشكري (اسقف ساليق) ٢٨ .
ابراهيم المعري ١٦١. ١٦٢ .
ابرسيوس (الاسقف) ١٧ .
ابن البطريق ١٤١ .
ابن الطيب ٢٩ .
ابن العبري ٢٠. ٣١. ٤٢. ٤٣. ٧٨. ٨٢. ٩١. ١١٥. ١٣٠. ١٤٣. ١٤٤. ١٥٧ .
ابن قتيبة ١٤١ .
ابوليناريوس ٦٤ .
ابيفانوس (بطر. القسطنطينية) ١٠٣ .
ابيفانوس (مط. ماجدو) ٩٨ .
اثناسيوس (الجمال) ٢٨. ٢٩. ١٤٣ .
اثناسيوس (القدّيس) ١٣٥. ١٥١ .
اجاي ٦. ٧. ٨. ٩. ١٢. ١٣. ١٤ .
احا (الجاثليق) ٤٠. ٥٠. ٥١ .
احا (الراهب) ١٤٣ .
احاد ابويه ٢٨. ٢٩ .
احودامه ١٢٩. ١٣٠. ١٤٤ .
احي (التلميذ) ٨. ١٣ .
ادريانس (الامبراطور) ٢٣ .
ادي (تدي) ٦. ٧. ٨. ٩. ١٠. ١٢. ١٣. ١٤. ١٩ .

١٦. توما المرجي ، **كتاب الرؤساء** ، طبعة بيجان ، باريس ١٩٠١ . والترجمة العربية للأب ألبير ابونا ، الموصل ١٩٦٦ .
١٧. جواد علي (الدكتور) ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، بيروت ١٩٦٩ .
١٨. حداد (القس بطرس) ، **الرهبنات النسائية في الكنيسة الكلدانية** ، بغداد ١٩٧٢ .
١٩. رحماني (البطريرك افرام) ، **الدراسات السريانية** ، الشرفة ١٩٠٤-١٩٠٩ .
٢٠. سليمان البصري ، **كتاب النحلة** (مخطوطة) .
٢١. شوريز (القس ألفونس) ، **الكنيسة الكلدانية في التاريخ** ، الموصل (بدون تاريخ) .
٢٢. شولر (سيلفستر) ، **الكنيسة قبل الإسلام** ، والترجمة العربية للمحامي فؤاد جرجي أبو ريحان ، ٣ ، جونيه ١٩٧١ .
٢٣. صائغ (القس ثم المطران سليمان) ، **تاريخ الموصل** ، ثلاثة أجزاء ١٩٢٣-١٩٥٦ .
٢٤. صليبا (بن يوحنان) ، **أخبار فطاركة كرسي المشرق** (المجدل) ، روما ١٨٩٦ .
٢٥. صموئيل تاوضروس (القمص) ، **الأديرة المصرية العامرة** ، القاهرة ١٩٦٨ .
٢٦. الطبري ، **تاريخه طبعة نولدكه** ، ليدن ١٨٧٩ .
٢٧. طه باقر ، **مقدمة تاريخ الحضارات القديمة** ، ١ ، بغداد ١٩٥٥ .
٢٨. كريستنسن ، **إيران في عهد الساسانيين** ، تعريب يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٧ .
٢٩. ماري (بن سليمان) ، **أخبار فطاركة كرسي المشرق** (المجدل) ، روما ١٨٩٩ .
٣٠. منا (القس يعقوب) ، **المروج النزهية** ، جزءان . الموصل ١٩٠١ .
٣١. منكنا (القس ألفونس) ، **تاريخ مشيحا زخا المنحول** ، الموصل ١٩٠٧ .
٣٢. نصري (القس بطرس) **كتاب ذخيرة الأذهان** ، جزءان . الموصل ١٩٠٩-١٩١٣ .
٣٣. ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، بيروت ١٩٥٥ .
٣٤. يعقوب الثالث (البطريرك) ، **الشهداء الحميريون في الوثائق السريانية** ، دمشق ١٩٦٦ .
٣٥. يهبالاها الثالث (البطريرك) ، **قصته في بيجان** ، باريس ١٨٩٥ .
٣٦. يوحنا الأفسسي ، «التاريخ الكنسي» في **م . ك . م . ش .** ، لوفان ١٩٣٥-١٩٣٦ .
٣٧. يوحنا بر فنكايي تاريخه الذي نشره منكنا ، **المصادر السريانية** ، الموصل ١٩٠٨ .
٣٨. يوسف داود (الخوري) ، **تعريب مختصر تواريخ الكنيسة** ، تأليف لومون ، الموصل ١٨٧٣ .

٢. المصادر الغربية

1. Assemani (J.S.), *Bibliotheca Orientalis*, t. I-III, Roma 1719-1728.
2. Baumstark (A.), *Geschichte der syrischen Literatur*, Bonn 1922.
3. Bello (S.), *La Congrégation de S. Hormisdas et l'Eglise chaldéenne dans la première moitié du XIXe siècle*, Roma 1939.
4. Camelot (T.), *Ephèse et Chalcédoine*, Paris 1962.
5. Chabot (J.B.), *L'école de Nisibe, son histoire, ses statuts*, Paris 1896.
6. Idem, *Chronique de Michel le Syrien*, texte et traduction française, 4 vol., Paris 1899-1924.
7. Idem, *Synodicon Orientale*, Paris 1902.
8. Idem, *Chronique de l'année 1234*, Paris 1916.
9. Idem, *Littérature syriaque*, Paris 1934.
10. Daniel-Rops, *L'Eglise des Apôtres et des Martyrs*, Paris 1948.
11. Delaporte, *La Chronographie d'Elie bar Sinaya*, Paris 1910.
12. Duval (R.), *Histoire d'Edesse*, Paris 1892.
13. Idem, *Littérature syriaque*, 3e édition, Paris 1907.
14. Festugière (A.J.), *Les moines d'Orient*, 4 vol., Paris 1961-1965.
15. Fiey (J.M.), *Mossoul Chrétienne*, Beyrouth 1959.
16. Idem, *Assyrie Chrétienne*, 3 vol., Beyrouth 1965-1968.
17. Idem, *Jalons pour une histoire de l'Eglise en Iraq*, Louvain 1970.
18. Fliche (A.) et Martin (V.), *Histoire de l'Eglise*, t. 3, Paris 1936.
19. Guidi (I.), *Chronicon anonymum* [*Chr. minora*], in *CSCO*, Louvain 1903.
20. Labourt (J.), *Le Christianisme dans l'Empire perse sous la Dynastie Sassanide*, Paris 1904.
21. Land (J.P.N.), *Anecdota syriaca*, 4 vol., Leiden 1862-1875.
22. Leclercq (H.), *Dictionnaire d'Archéologie et de Liturgie (DAL)* XII, col. 1377/85.
23. Nau (F.), *Bardesane l'astrologue, le livre des pays*, Paris 1899.
24. Idem, *Histoire et sagesse d'Ahiqar l'Assyrien*, Paris 1909.
25. Idem, *Les Arabes chrétiens de Mésopotamie et de Syrie*, Paris 1933.
26. Overbeck (J.J.), *S. Ephremi syri, Rabbulae... Opera selecta*, Oxford 1865.
27. Socrates, *Histoire Ecclésiastique*, in *P.G.* 67, 29-842.
28. Sozomène, *Histoire Ecclésiastique*, in *P.G.* 67, 843-1630.
29. Théodoret, *Histoire Ecclésiastique*, in *Migne* I, 54.
30. Tisserant (E.), *Nestorienne* [*Église*], in *DTC* XI, 1, 1931, col. 157-323.
31. Urbina (O. de), *Patrologia Syriaca*, 2e édition, Roma 1965.
32. Van der Meer, *Atlas de l'Antiquité chrétienne*, Paris-Bruxelles 1960.
33. Voobus (A.), *Les messaliens et les réformes de Barsauma de Nisibe*, Pinneberg 1947.
34. Idem, *Syrian and Arabic Documents*, Stockholm 1960.
35. Idem, «History of Asceticism in the Syrian Orient», 2 vol., in *CSCO*, 1958-1960.
36. Idem, *The Statutes of the School of Nisibis*, Stockholm 1961.

السماح بالانعزال في أحد الجبال للتفرغ للصلاة والتأمل. وهناك كانوا يعكفون على عيشة الزهد والتقشف. وكانوا أحيانًا يبتعدون نهائيًا عن ديرهم الأصلي ويذهبون إلى منطقة نائية طلبًا للعزلة في مكان يجهلهم فيه الناس. ولكن سرعان ما كان الناس يشعرون بوجودهم، فيقصدهم تلاميذ لسماع أقوالهم ومشاطرتهم الحياة، ثم يتوافد عليهم الزائرون من كل صوب طلبًا لبركتهم ومساعدتهم الروحية. وعرفانًا بجميلهم، كان الناس يقدّمون للأديرة مساعدات كثيرة تتوقف على نقود أو مواد غذائية أو كتب أو أملاك يوقفونها للدير لتكون موردًا لمعيشة الرهبان.

وكانت الطاعة للأساقفة إحدى ميزات الرهبانية الشرقية. وهي التي جعلت الرهبانيات خصبة بدون أن تعيق سير العمل الراعوي للإقليروس المحلي... وقد تمكنت الكنيسة الشرقية بواسطة رهبانها من الصمود مدة طويلة أمام الفتح الإسلامي. وحيثما تكاثرت الأديرة وازدهرت حافظت المسيحية على حيويتها ووقفت في وجه الصعوبات بشجاعة.

* * *

وهكذا كان الرهبان دومًا شهودًا للإنجيل في عالم منغمس في المادة، فيذكرونه بالقيم الروحية السميا ويدعونه إلى الترفع عن المادة والعمل على تحقيق مثل الحياة المسيحية العليا. انهم كانوا في العالم ليحملوه إلى الله الذي اختاروه النصيب الأوفر لحياتهم، وكانوا أيضًا في احتكاك مستمر مع الله والحقائق الروحية ليغذوا بها العالم المتعطش إلى المطلق.

* * *

فعسى أن تكون هذه الأسطر الوجيزة لكثيرين حافزًا إلى عطاء أسخى لله ونداء لا يضيع في مجاهل الحياة التافهة بل يتغلغل في أعماقهم ليسفر يومًا عن نشاط روحي زاخر بالطاقات التي يضعونها في خدمة الله والمجتمع.

مصادر الكتاب

١. المصادر الشرقية

١. ابن العبري (غريغوريوس)، **التاريخ الكنسي**، ٣ أجزاء. نشره أبيلوس ولامي، لوفان ١٨٧٢–١٨٧٧.

٢. ابن العبري، **التاريخ السرياني**. طبعة بيجان. باريس ١٨٩٠.

٣. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، طبعة صالحاني، بيروت ١٨٩٠.

٤. أدي شير (المطران)، **مدرسة نصيبين الشهيرة**، بيروت ١٩٠٥.

٥. أدي شير (المطران)، **التاريخ السعردي**. في **ب. ش.**، باريس ١٩٠٧–١٩١٨.

٦. أدي شير، **تاريخ كلدو وآثور**، جزءان. بيروت ١٩١٢–١٩١٣.

٧. أدي شير، **شهداء المشرق**، جزءان. الموصل ١٩٠٠.

٨. أبونا (الأب ألبير)، **أدب اللغة الآرامية**، بيروت ١٩٧١.

٩. أوسابيوس القيصري، **التاريخ الكنسي**، طبعة بيجان، باريس ١٨٩٧.

١٠. ايشوعدناح البصري، **كتاب العفة**، طبعة بيجان. باريس ١٩٠١، والترجمة العربية للقس بولس شيخو (بطريرك الكلدان الحالي)، الموصل ١٩٣٩.

١١. باباي الكبير. **حياة كيوركيس الشهيد**، طبعة بيجان، باريس ١٨٩٥.

١٢. برحذبشبا عربايا، «سبب تأسيس المدارس». في **ب. ش.**، باريس ١٩٠٧.

١٣. برصوم (البطريرك افرام). **اللؤلؤ المنثور**، طبعة ثانية. حلب ١٩٥٦.

١٤. برصوم، **مختصر تاريخ الكنيسة**. حمص ١٩٣٨.

١٥. بيجان (الأب بولس)، **سير الشهداء والقديسين**، سبعة أجزاء، باريس ١٨٩٠–١٨٩٧.

سيناء وفي زيارة الأماكن المقدسة، عاد إلى الشرق وانزوى في جبل ايزلا وهو ينوي إدخال طريقة الحياة الرهبانية المصرية في موطنه. وهذا لا يعني طبعًا، كما قلنا في موضع سابق، ان البلاد الفارسية كانت خالية من نسّاك قبل ذلك العهد. ولكن إبراهيم تمكّن من إنعاش الحياة الرهبانية في الشرق بقوة شخصيته الفذّة ومثال فضائله العالية، حتى استحق بجدارة أن يلقّب بـ «الكبير» و «أبي الرهبان». ولدى موته سنة ٥٨٦، كان قد جمع حوله عددًا غفيرًا من الرهبان الذين نشروا طريقته في جميع البلاد الفارسية. وأصبح ديره مدرسة روحية يتدرّب فيها الرهبان على الفضائل المسيحية والغيرة الرسولية في القرن السابع[٢٤]. ويزوّدنا كتاب العفة[٢٥] بلائحة طويلة تضم أسماء أبناء إبراهيم الروحيين وغيرهم من الرهبان.

وخلفه داد يشوع في رئاسة الدير الكبير. وأفلح في تنفيذ قوانين مار إبراهيم الكبير وأضاف إليها غيرها سنّها هو، وهي بمثابة تنقيح لقوانين سلفه. ومات داد يشوع سنة ٥٩٢. وكان لعبقرية باباي الكبير، الذي خلف داد يشوع في رئاسة هذا الدير، الدور الفعال في إعلاء شأن الرهبانية بما ألّفه من الكتابات النسكية واللاهوتية. إلاّ أن طبعه الحاد وتغيباته الكثيرة عن الدير – إذ أُقيم زائرًا عامًا على الكنائس والأديرة الشرقية في مدة شغور الكرسي البطريركي[٢٦] – أتاحت الفرصة لتسرب الرخاوة في حياة الرهبان، حتى أدت إلى انحطاط كبير في الحياة الروحية والخلقية لدى البعض منهم. وقد أسفر الأمر عن الخصام المعروف الذي أدّى إلى طرد مار يعقوب اللاشومي الذي ذهب إلى منطقة المرج وأسّس دير بيث عابي الشهير بالقرب من قرية «خربا»[٢٧]. وعدا هذه الحوادث الفردية القليلة فقد بلغت الحياة الرهبانية أوجها في المناطق الشمالية من البلاد الفارسية بين سنة ٦١٠ وسنة ٦٣٠، وزخرت الجبال والوديان والبراري بالرهبان والنسّاك، حتى ليسعنا القول انه حين مجيء الإسلام كان في الكنيسة الفارسية نحو ستين ديرًا يسير بحسب إصلاح إبراهيم الكبير، ومعظمها في المناطق الشمالية، موزعة بين منطقة ايزلا وبيث زبدى وجبال أرزن ومنطقة نينوى وبيث نوهذرا وبيث كرماي، ولا سيما منطقة المرج (مركا) وداسن في وادي الزاب الأعلى.

---

٢٤) توما المرجي، كتاب الرؤساء، ص ٢١–٢٣.

٢٥) ايشوعدناح، كتاب العفة، عدد ١٤.

٢٦) طالع كتاب أدب اللغة الآرامية، ص ١٩٥–٢٠٠.

٢٧) كتاب الرؤساء، ص ٣٦–٤٦.

القانون الرهباني

لم يكن القانون المتّبع لدى الرهبان في المنطقة الفارسية سوى تكييف للطريقة الرهبانية التي تنتسب إلى القديس باخوميوس. فكان الراغب في الحياة الرهبانية ينتمي إلى جمعية ليعيش فترة فيها حياة جماعية – وهي الوحيدة التي كان يسمح بها للنساء – فيها يترتب على الراهب أن يكون ثلاث سنين تحت إرشاد رئيس يعنى بحياته الروحية وبتقدمه نحو الكمال الرهباني وبملاحظة كل شيء فيه بصرامة. أما ثياب الرهبان، فكانت بسيطة إلى درجة كبيرة. فهم يكتفون بثوب ونطاق وقبّعة وصليب ونعال وعصا، بالإضافة إلى الكتاب المقدس بكامله أو الأناجيل المقدسة فقط. وكانت علامتهم الفارقة نوع حلاقة رأسهم. فالنساطرة يحلقونه على شكل إكليل تمييزًا لهم عن المنوفيزيين. ويقول توما المرجي ان هذه العلامة قد فرضها إبراهيم الكشكري الكبير[٢٨].

وكانت الصلاة الواجب الأول والأساسي في حياة الرهبان. وقد فرض عليهم في البدء أن يصلّوا سبع مرات في النهار تجاوبًا مع ما جاء في المزامير. ولكنهم سرعان ما اكتفوا بأربع مرات من الصلاة الجماعية. أما الصلاة الفردية فكانت ترافق أعمالهم اليومية كلها.

وكان الشغل الواجب الثاني في حياة الراهب. فكان الرهبان الذين يجيدون الكتابة يعكفون على انتساخ الكتب. أما الآخرون فيدأبون على مختلف الأعمال اليدوية. فكان الراهب يشتغل في الصيف من الفجر إلى نحو الساعة التاسعة صباحًا حيث يعود إلى الدير ويعكف على الصلاة والتأمل والقراءة حتى الظهر. وبعد تناول طعام الغداء وأخذ قسط من الراحة حتى نحو الساعة الثالثة يستأنف الشغل حتى المساء. وكان هذا القانون يكيّف بحسب مقتضيات الفصول. أما أيام الآحاد والأعياد والليالي السابقة لها، فكان الرهبان فيها يكفّون عن الشغل، ما خلا الأمور الضرورية للدير، ويثابرون على الصلاة والسهر والمداولات الروحية. وكان شغل الرهبان الرئيسي في المنطقة الفارسية وفي الديار المصرية الفلاحة، سواء في أراضي الدير أو كأجراء لدى الآخرين، لا سيما في أوان الحصاد أو قطف الأثمار.

ويبدو أن الخروج من الدير كان سهلاً، لا سيما لغرض الدراسة أو الوعظ والتبشير. وبعد انقضاء السنين الثلاثة في الجمعية، كان بوسع الرهبان أن ينالوا من الرئيس

---

٢٨) أدب اللغة الآرامية، ص ١٦١–١٦٤؛ كتاب الرؤساء، ص ٢٣، وحاشية ١.

ولكن ماذا كان دير مار أوجين الذي قام إبراهيم المعرّي بترميمه؟ ألم يكن هذا الترميم تأسيسًا في الحقيقة؟ فان السيرة تزوّدنا بإشارات تتيح لنا القول ان المنوفيزيين هم الذين كانوا قد بنوا الدير في الأصل. فان اسم لعازر، الذي حظي بأعجوبة من القديس، منوفيزي أكثر منه نسطوريًا. وهناك عبارة تدعو مريم «والدة الإله»، وهي أيضًا عبارة كثيرة التداول لدى المنوفيزيين. كما أن هناك أيضًا أسماء تلاميذ أوجين المستعملة في سورية الغربية وهي غير واردة في البلاد الفارسية، منهم سرابيون وتقلا، الخ... وحينما يقدم لنا ايشوعدناح البصري الرهبان الذين وردت أسماؤهم في المخطوطة اللندنية كمؤسسي أديرة، لا يطلعنا على الأديرة التي أسسوها في المنطقة الفارسية.

ثم إن منطقة طور عبدين حيث يقع دير أوجين كانت منطقة منوفيزية في معظم أجزائها. فكان لهم هناك دير الزعفران الشهير، ودير مار يوحنا، ولو ان كتاب العفة يقول خلاف ذلك[17]. أما الدير الكبير الذي أسسه إبراهيم الكشكري الكبير، فكان يبعد مسافة غير قليلة باتجاه الوادي المطل على السهل. ولا عجب إذا استعمر النساطرة ديرًا كان يعود في الأصل إلى المنوفيزيين، ثم أهملوه وتركوه خرابًا. وتجدر الملاحظة أن أملاك المذهبين كانت متجاورة متداخلة منذ القرن الثامن، كان المرسلون النساطرة قد أقبلوا إلى طور عبدين وإلى المناطق المتاخمة لها. وقد حفظ لنا كتاب العفة (عدد ٣٢) ذكر أحد هؤلاء المبشرين.

وهكذا، فقد شقت أسطورة أوجين طريقها إلينا عبر الأجيال. وجاء الإصلاح الليتورجي الذي أجراه البطريرك يوسف الثاني آل معروف سنة ١٧٠٧ ليولي هذه الأسطورة طابعًا رسميًا. وليعطي أوجين حق المواطنة العامة في الشرق. وخصَّه بتذكارٍ في الجمعة السادسة من سابوع الدنح التي كانت قديمًا مخصصة بتذكار الجاثليق مار آبا الكبير، بينما كانت المخطوطات القديمة تعين تذكار مار أوجين في الجمعة الأولى من سابوع تقديس البيعة، وغيرها في ٢١ تشرين الأول[18]. ولكن الشبهات كانت تحوم دومًا حول هذه الشهرة المزعومة. ونلاحظ أن الأب جبرائيل دنبو، حينما قدم للمجمع المقدس في روما سنة ١٨٣٠ قوانين رهبانيته الأنطونية المجددة باسم القديس هرمزد

---

١٧) كتاب العفة، عدد ٤٦.

١٨) طالع ادي شير، شهداء المشرق ٢، ص ٣٣.

والقديس أوجين، أشار عليه المجمع بحذف اسم القديس أوجين والاكتفاء بالأول[19].

... ولكن طريقة النسك المصري لم تدخل البلاد الفارسية فجأة في خضمّ الاضطهاد الذي شنّه شابور الثاني على الكنيسة. و«أونيس» ورفاقه الذين يذكرهم المؤرّخ سوزومين[20] عاشوا في سورية الغربية ولم يستوحوا الطريقة الباخومية المتّبعة في الكنيسة الشرقية ورهبانيتها.

ويمكننا القول مع السمعاني[21] والمطران ادي شير[22] انه اذا لا يسوغ لنا أن نعتبر القديس أوجين المصدر الوحيد للرهبانية في ما بين النهرين، فلا يحق لنا كذلك أن ننكر عليه كل صلة بالرهبانية في الشرق.

إبراهيم الكشكري والدير الكبير

لم يرد ذكر خاص للرهبان في المجمع الذي عُقد في ساليق سنة ٤١٠، ولم يكن التمييز واضحًا في القرن الخامس بين الاقليروس والرهبان. وفي المجمع الذي عقده الجاثليق آقاق سنة ٤٨٦[23]، ألغيت العفة للإقليروس في كل الدرجات، وفرض على الذين يريدون المحافظة عليها أن ينزووا في الأديرة. وكانت نتيجة هذا القرار أن عدد الرهبان أخذ في التضاؤل في بدء القرن السادس. وتأثيرهم قل على الكنيسة الشرقية التي كانت تئن آنذاك تحت وطأة الانشقاق والانحطاط. ورغم ما بذله مار آبا الجاثليق من جهود جبارة في الكنيسة، فإنه لم يفلح في إعادة الحياة الرهبانية إلى سابق عهدها من الازدهار والحيوية.

وظهر في منتصف القرن السادس رجل حباه الله غيرة عارمة، فعكف على إصلاح الحياة الرهبانية. إنه إبراهيم الكشكري الملقّب بالكبير. أبصر النور سنة ٤٩١ في كشكر. واقتبل العماد سنة ٥٠٢ وتلقّى العلم في مدرسة نصيبين على إبراهيم بيث ربان. وبعد أن نال من العلم قسطًا وافرًا، توجّه إلى منطقة الحيرة للتبشير، ومنها ذهب إلى الصعيد المصري حيث احتك بالرهبان واطّلع على ممارساتهم الروحية. وبعد مدة أمضاها في جبل

---

١٩) الأب اسطيفان بلو [مطران حلب الحالي]. رهبانية القديس هرمزد والكنيسة الكلدانية. روما ١٩٣٩، ص ١٠٥.

٢٠) سوزومين. التاريخ الكنسي ٦. ٣٣.

٢١) السمعاني في م. ش. ٣. ١. ص ٣٠٢.

٢٢) ادي شير. كلدو وأثور ٢. ص ٣٩.

٢٣) المجامع الشرقية. ص ٣٠٢.

كتاب الرؤساء (أي منتصف القرن التاسع) وكتاب العفة (أي نهاية القرن التاسع أو مطلع القرن العاشر).

ثم ان لائحة أسماء تلاميذ مار أوجين، الواردة في كتاب العفة وفي مخطوطتي لندن وبرلين اللتين اعتمدهما الأب بولس بيجان في نشر سيرة أوجين[11]، تشير إلى وجود مصادر مختلفة لحياة أوجين. فإن المخطوطة اللندنية (المرقمة ١٢١٧٤) التي انتسخها شابو، تحمل الأسماء التالية: توما - كوريا - غريغوريوس - قذالا - طاوا - يهب - ايوانيس - أليشاع - سرابيون وتقلا أخت مار أوجين[12]. أما كتاب العفة (عدد ١)، فلا يذكر اسم قذالا ويهب، ولكنه يضيف إلى اللائحة الأسماء التالية: يوحنا - شليطا - ستراطونيقي (أخت أخرى للقديس أوجين) يوحنا - شيري - مار ميخائيل... أما نص السيرة الذي يتبع مخطوطة برلين ففيه لائحة الاثنين والسبعين[13]. إلاّ ان هذه اللائحة لا قيمة تاريخية لها إذ انها لا ترقي إلى ما قبل القرن الحادي عشر، بما أننا نجد فيها اسم الربان يوسف بوسنايا (+ ٩٧٩)، وحتى اسم كاتب سيرته يوحنا بركلدون. فاستنتج من ذلك أن المخطوطة اللندنية تزوّدنا بأقدم وثيقة ترقى إلى ما قبل القرن العاشر... فأخذت الفكرة التي تنسب تأسيس الأديرة في الشرق إلى القديس أوجين تتسرب شيئًا فشيئًا في التقليد الشرقي، حتى بلغت طور الرسوخ حينما كتب بركلدون حياة يوسف بوسنايا. فحدا به الأمر إلى ربط اسم أوجين باسم إبراهيم الكشكري الكبير[14].

ولكن أتكون المخطوطة اللندنية ١٢١٧٤ مصدرًا لكتاب العفة، أم ان الكتابين لا يرتبطان ببعضهما البتة؟ يظن «لابور» ان كتاب العفة قد تعرّف إلى السيرة، ويشير إلى ذلك اسم ميخائيل الذي ورد في لائحة ايشوعدناح البصري. ونعلم أن ميخائيل هذا هو تلميذ مار أوجين والمؤلف المزعوم لسيرته بحسب المخطوطة اللندنية[15]. وبالإضافة إلى ذلك، لقد تعرّف البصري إلى قطع أخرى تمت بصلة إلى حياة أوجين، كقصة يونان وشليطا. وقد تكون فترة لا تقل عن مائة سنة بين تأليف السيرة بحسب المخطوطة

---

١١) سير الشهداء والقديسين ٣. ص ٣٧٦–٤٨٠.

١٢) المصدر عينه. ص ٤٧٤ حاشية ١.

١٣) المصدر نفسه. ص ٤٧٢–٤٧٣.

١٤) طالع حياة يوسف بوسنايا. طبعة شابو. ص ١٥٦–١٥٧.

١٥) سير الشهداء والقديسين ٣. ص ٣٧٦. حاشية ١.

اللندنية وتأليف كتاب «العفة» لايشوعدناح البصري. أما المخطوطة البرلينية، فهي متأخرة عن هذا العهد، كما أشرنا إلى ذلك.

بين الأسطورة والتاريخ

لقد حان الأوان لنجرّد تراثنا المشرقي مما علق به من غبار الأساطير ليبرز تقليدنا العريق وتظهر ما فيه من الصفحات الناصعة والتاريخ الأصيل.

فما هي النواة التاريخية في الأسطورة الأوجينية؟

لنعد إلى كتاب العفة الذي يلقي بعض الأضواء على هذه المشكلة. فإن العدد ١٠٧ يروي أن شخصًا يدعى إبراهيم من قرية «معري» (في طور عبدين) ذهب إلى جبل ايزلا وجدد خرائب دير مار أوجين واجتمع إليه نحو خمسين رجلاً. ثم يساعدنا العدد ١٠٨ على وضع هذا الحدث في إطاره التاريخي. لأن خلف إبراهيم هذا هو «روزبيهان» الذي أصبح بعد ذلك مطرانًا على نصيبين وكان قد اقتبل الاسكيم في دير مار ميخائيل القريب من الموصل من يد مار ايشوعياب رئيس الدير وهو ابن أخت الجاثليق مار صليبا زخا. وهذا ما يوقفنا بنوع تقريبي على الإطار التاريخي الذي يحدد حياة روزبيهان في الدير في جبل ايزلا. فإن الجاثليق مار صليبا زخا توفي سنة ٧٣٨. وقد يكون روزبيهان دخل دير مار أوجين في نحو ذلك الزمان. أما ماري[16] فذهب إلى القول ان مار صليبا زخا هو الذي رسم روزبيهان مطرانًا على نصيبين. وقد أصبح روزبيهان محسنًا كبيرًا لدير مار أوجين وخصّصه بواردات قرية مجاورة. ولما أصبح مطرافوليطًا على نصيبين اهتم في نهضة الدير وإيجاد رهبان له وتوفير وسائل المعيشة لهم. فازداد عدد رهبان هذا الدير وانتشروا في شتى المقاطعات حاملين معهم أسطورة شفيع ديرهم. والغريب، كما قلنا، ان توما المرجي الذي عاش في القرن التاسع لم يعرف هذه الأسطورة، أو انه عرفها ولم يولها اي اعتبار، لا سيما وأنه لا يريد تدوين تاريخ رهباني شامل، بل يقتصر على ذكر رؤساء دير بيث عابي في المرج ومن يمت بصلة إليهم. إلاّ أن الجيل اللاحق تبنّى هذه الأسطورة، وجاء ايشوعدناح في كتاب العفة وأقرّها واعتبرها حدثًا تاريخيًا. وهكذا تطورت الأسطورة إلى تاريخ.

---

١٦) ماري في المجدل، ص ٦٥.

أما سيرة أوجين فإنها ترمي إلى تزويدنا بعرض كامل لحياة هذا البطل الأسطوري وإطراء الدور إلهام الذي نُسب إليه تجاه الطريقة الرهبانية في الشرق. فأوجين، بحسب هذه الوثيقة، كان يمتهن حرفة صيد اللآلئ في بلدته ثم حظي برؤى عديدة وبموهبة اجتراح المعجزات. وبعد أن قضى في هذه المهمة خمساً وعشرين سنة، دخل دير القديس باخوميوس حيث أُسندت إليه مهمة الخباز. ولكن سرعان ما لاحظ الرهبان والجموع قداسته، فاضطر إلى الانتقال إلى نيترية وقصده هناك سبعون تلميذاً. فذهب بصحبتهم إلى نصيبين وانزوى في جبل ايزلا حيث التحق به ٣٥٠ تلميذاً أقبلوا من مختلف المناطق... ثم يصف الجزء الثاني من السيرة علاقات أوجين بالقديس يعقوب مطران نصيبين الشهير وبمار ميلس (ميلوس) والملك شابور الثاني. وإذا بالراهب أوجين يضع عمله الرسولي وشهرته في خدمة مار يعقوب النصيبيني. وأخبر حاكم المدينة الملك قسطنطين بأعجوبة أجراها أوجين بإحياء ابنه. فشبهه قسطنطين بالقديس أنطونيوس والقديس هيلاريون. بيد ان كاتب السيرة لا يتجاسر ويعزو إلى أوجين اكتشاف فُلك نوح المنسوب عامة إلى القديس يعقوب، ولكنه يدعي أن أوجين تنبأ عن نجاح الأعمال الجارية لاكتشاف الفلك. واعترافاً بهذا الفضل، أرسل له القديس يعقوب جزءاً من خشب الفلك[٥].

وتأتي السيرة إلى ذكر العجائب العديدة التي جرت على يد أوجين، منها أنه طرد شيطاناً من أحد أبناء شابور الملك. فمنحه الملك حرية التجول في المنطقة الفارسية وبيث هوزايي[٦] والتبشير فيها. وبعد ذلك اجتمع إليه تلاميذه السبعون والتمسوا بركته، ثم ذهب كل منهم إلى منطقة لتأسيس دير فيها. وتقول هذه الرواية، التي كتبها ميخائيل رفيق أوجين، ان القديس توفي في ٢١ نيسان سنة ٦٧٤ يونانية الموافقة لسنة ٣٦٣ ميلادية. وكان لدى النساطرة روايات عديدة تتطرق إلى حياة تلاميذ مار أوجين، منهم شليطا ويونان ودانيال الطبيب وميخا...[٧]

أما العدد الأول من كتاب العفة فيزوّدنا بموجز ما جاء في السيرة، ثم يعدد أسماء

---

٥) لابور. المسيحية في الأمبراطورية الفارسية. ص ٣٠٢ وما يتبع. وقد اعتمدته في هذا البحث بالإضافة إلى كتاب «الكنيسة العراقية في أسطر» للأب حنا فيي. لوفان ١٩٧٠. ص ١٠٠-١١٢.

٦) هي المنطقة الواقعة في الجنوب الغربي من إيران ازاء شط العرب. وتسمى اليوم «الأهواز».

٧) سير الشهداء والقديسين ١. ص ٤٢٤-؛ كتاب العفة. عدد ١ و ٥.

أربعة عشر تلميذاً لأوجين مع أختين له. وذكر كتاب العفة أيضًا ثمانية تلاميذ آخرين للقديس أوجين أسسوا أديرة في أمكنة مختلفة.

إلاّ أن هذه الوثائق لا تخلو من صعوبات كبيرة تعترض طريق المؤرخ.

لقد قيل ان كتاب العفة هو أحسن مصدر لمعرفة حياة أوجين. إلاّ أن هذا الكتاب لا يرقى إلى أبعد من نهاية القرن التاسع. لقد جاء فيه خبر نقل رفات ايشوعزخا مؤسس دير الجحص في جبل حدياب: «في السنة الثالثة للملك جعفر بن المعتصم ملك العرب»[٨]، أي في عهد خلافة المتوكل (٨٤٩/٨٥٠م). ولا يمكننا التأكيد أن ايشوعدناح وضع كتابه حالاً بعد هذا التاريخ، بل كل شيء يحدونا إلى القول ان مطران فرات ميشان (البصرة) كتب في نحو سنة ٩٠٠ م. فبطلنا أوجين، والحالة هذه، لا يظهر إلاّ في نهاية القرن التاسع أو مطلع القرن العاشر. وقبل هذا التاريخ يخيم عليه سكوت مريب. فلم يرد ذكره في كتابات المؤرخين أمثال تيودوريطس القورشي أو سوزومين اللذين يزوداننا بمعلومات نفيسة عن الحياة الرهبانية في ما بين النهرين. ولا يذكره أي مجمع ولا القوانين الرهبانية التي وضعها في القرن السادس إبراهيم الكبير وخلفاؤه أو غيرهم من مؤسسي الأديرة. بل والأكثر من ذلك، ان باباي الكبير، في مقدمة كتابه القيم عن التجسد، يسمي إبراهيم «أبا الرهبان». وكذلك توما المرجي، الذي وضع كتاب الرؤساء بُعَيد سنة ٨٥٠ م، يتجاهل وجود مار أوجين، مع انه ذكر في الفصل الثالث من الجزء الأول من كتابه الأشخاص الذين امتازوا بالحياة النسكية قائلاً: «... موسى في جبل سيناء. وايليا في جبل الكرمل، وأليشاع وأبناء الأنبياء، والقديس يوحنا في البرية، وأتباع سمعان في جبل طابور، ورب الأنبياء في زمن صومه في البرية... والأنبا بولس والأنبا أنطونيوس والأنبا بمبو والأنبا سلوانس والأنبا سوسائيس والأنبا نسطير والأنبا أرسانيس...»، ثم ينتقل المرجي رأسًا إلى الحديث عن إبراهيم مؤسس دير ايزلا الكبير[٩]. فإذا لم يذكر توما المرجي القديس أوجين الذي يعتبر المؤسس الكبير للأديرة في البلاد الفارسية، فما ذلك إلاّ لأنه كان يجهل وجوده. وقد تعجب السمعاني نفسه من هذا السكوت عند المرجي[١٠]. وهذا ما يحدونا إلى اعتبار السيرة وثيقة تكونت في عهد يتراوح ما بين تاريخ

٨) طالع كتاب العفة، عدد ٤٧.

٩) كتاب الرؤساء ص ٢٠.

١٠) طالع السمعاني في المكتبة الشرقية ٣، ١ ص ٣٠٣.

شتى بمنع هذه الأديرة المزدوجة. بيد أن العادة استمرت في الغرب حتى نهاية القرون الوسطى.

ومنذ عهد باخوميوس. شرع الناس يعهدون بأولادهم إلى عناية الدير تمهيدًا لهم للانخراط في الحياة الرهبانية. وكان من المفروض أن يكون للولد عشر سنين على الأقل عند دخوله الدير، إلاّ أن هذه القاعدة لم تكن مرعية دومًا.

وقد سَنّ المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ قانونًا يرمي إلى القضاء على كل ما تسرب في الأديرة من سوء الإدارة، ويقضي بإخضاع كل الرهبان، في المدن والأرياف، لسلطة مطران الأبرشية، وبعدم تأسيس دير بدون اذن منه. وفرض على الرهبان ملازمة الدير والعكوف فيه على الصلاة والشغل وعدم الخروج منه إلاّ في حالات اضطرارية بعد نيل السماح من المطران. ولم يكن يسمح للعبيد بالانخراط في سلك الرهبانية إلاّ بإذن من أسيادهم. وإذا تجاسر أحد الرهبان وعاد إلى العالم ليعيش فيه ويمارس مهنة ما أو ليعقد زواجًا، فإنه كان يتعرّض لأشد العقوبات صرامة وللحرم الكنسي. وبالرغم من هذه القوانين كلها، فقد نشأت انحرافات كثيرة في الجمعيات الرهبانية. فهناك الرهبان المتجولون، وهناك الرهبان العائشون اثنين أو ثلاثة في صومعة واحدة غير خاضعين لرقيب أو رئيس وهناك بدعة «المصلّين»[٢٣] التي سببت متاعب كثيرة للكنيسة.

ثم ظهرت نزعة جديدة في الحياة الرهبانية وهم الحبساء. وكان الحبيس يقضي فترة طويلة أو مدى الحياة كلها في محبسة صغيرة أو صومعة ضيقة. وقد بلغ الأمر ببعضهم إلى سَدّ كل منفذ إليهم، ما خلا كوة صغيرة يتلقّون من خلالها ما يكفي أودهم من القوت يأتيهم من الدير أو من المحسنين. وكان ثمة نوع آخر من الرهبان سموا «بالعموديين»، يعيشون فوق عمود بشكل برج. وقد اشتهر من بين هؤلاء القديس سمعان العمودي (+ ٤٥٩) الذي أمضى ٣٧ سنة على عمود بالقرب من مدينة حلب (قلعة سمعان الحالية).

---

٢٣) كانت بدعة المصلين تدّعي أن الشيطان والروح يسكنان في نفس الإنسان المعمد. وان العماد غير قادر على طرد الشيطان. إنما الصلاة وحدها هي القادرة على ذلك بصورة شبه سحرية. وإذا أفلح الإنسان في طرد الشيطان، يضحي إنسانًا روحيًا في منجى من كل الأهواء ويثبت في النعمة وينعم برؤى سرية. وكانت تتخلّل هذه التعاليم أخطاء عقائدية بصدد الثالوث الأقدس وشخص المسيح ورسالته الخلاصية وتؤدي إلى أخطاء مسلكية فظيعة [طالع عنها أدب اللغة الآرامية، ص ١٧٤-١٧٧].

الرهبانية في الكنيسة الشرقية

إن الكنيسة السريانية الشرقية تتمسك بتقليد بموجبه ان راهبًا مصريًا أصله من «قلزوم» بالقرب من السويس يسمى «أوجين» هو الذي جلب إلى طور عبدين طريقة الحياة الرهبانية. وبعدئذ تفرق كثير من هؤلاء التلاميذ وأسسوا أديرة في المملكة الفارسية الساسانية.

وأهم الوثائق التي يستند إليها هذا التقليد هي:

١. كتاب المجدل[١].

٢. وثيقة تروي سيرة أوجين نشرها الأب بولس بيجان[٢].

٣. كتاب اللفة لايشوعدناح البصري[٣].

اننا هنا نضرب صفحًا عما ذكره المؤرّخان ماري بن سليمان وصليبا بن يوحنان في هذا الصدد، لأنها يستقيان أخبارهما من الوثيقتين الأخريين، ويضيفان إليهما أمورًا لا تتفق وواقع الزمان. وتأتي معلومات مماثلة في التاريخ الكنسي لابن العبري[٤].

١) طالع كتاب المجدل لماري، ص ٨؛ صليبا، ص ٩.

٢) طالع بيجان. سير الشهداء والقديسين ٣، ص ٣٧٦–٤٨٠.

٣) كتاب العفة لايشوعدناح البصري. عدد ١.

٤) ابن العبري. التاريخ الكنسي ١. عمود ٧٥، ٨٨.

مكاريوس الكبير (+ نحو ٣٩٢)[1]. وأدخل «هيلاريون» الغزي الحياة الرهبانية في فلسطين في القرن الرابع. وفي القرن الخامس اشتهر «أوطيمس» (+ ٤٧٣) كأب للرهبانية في الأرض المقدسة. وفي الجبال المجاورة لأنطاكيا، في سورية الغربية وفي برية كلسيس (طيبة السورية)، نشأت فرق عديدة من النساك. ولديهم قضى يوحنا الذهبي الفم والقديس هيرونيمس ردحًا من الزمن. أما في آسيا الصغرى والمناطق المجاورة لها، فقد انتشرت الحياة الرهبانية بواسطة أوسطاثيس مطران سبسطية في أرمينية (+ نحو ٣٨٠) وبالأخص بواسطة تلميذه الشهير القديس باسيليوس مطران قيصرية قبدوقية الذي تمرس مدة في الحياة الرهبانية على ضفاف ايريس في مقاطعة بنطس في آسيا الصغرى. وأولى القديس باسيليوس الحياة الرهبانية اندفاعًا جديدًا، وأضاف إلى الحياة التأملية العنصر التربوي في الحياة الجماعية وواجب المحبة الفعالة تجاه القريب وضرورة الثقافة العالية والدراسة اللاهوتية العميقة. وإليه يعود الفضل في سَنّ قانونين للحياة الرهبانية – القانون الكبير والقانون الموجز – أصبحا عمادًا للقوانين التي وضعها المؤسسون الآخرون في الأجيال اللاحقة.

مدى تأثير الرهبانية المصرية في ما بين النهرين

إن الطريقة النسكية وجدت لها أتباعًا في الكنيسة الشرقية منذ مطلع القرن الرابع. فقد ورد ذكر أبناء العهد وبنات العهد بإجلال مبين في كتاب الدرجات وفي بينات افراهاط الحكيم الفارسي (+ بعد ٣٤٦) وفي سير الشهداء والقديسين.

ولكن الآراء تضاربت حول مدى تأثير الحياة الرهبانية المصرية في الشرق. فان القديس هيرونيمس يؤكّد أن الرهبانية السريانية ترتبط بالقديس هيلاريون تلميذ القديس أنطونيوس الكبير. وهناك التقليد الشرقي الذي ينسب تأسيس الحياة الرهبانية في البلاد الفارسية إلى القديس أوجين. ولكن قول القديس هيرونيمس قد لا يكون صحيحًا إلاّ بالنسبة إلى المناطق السورية. وأما أسطورة مار أوجين فإنها متأخرة لا يُعتمد عليها، كما سنبين ذلك.

ويميل المؤرّخ المعاصر «فوبوس»[21] إلى صحة النواة الأساسية لتاريخ يعقوب

---

٢٠) سير الشهداء والقديسين ٥، ص ١٧٧–٢٦٢؛ الأديرة المصرية العامرة، ص ٩٤–١١٠.

٢١) طالع فوبوس. تاريخ الحياة النسكية في الشرق السرياني. الجزء الأول في م. ك. م. ش.، عدد ١٨٤. لوفان ١٩٥٨. ص ١٤٠–١٤٦.

النصيبيني كما رواه تيودوريطس القورشي ، والذي بموجبه ترقى الحياة الرهبانية الفردية في البلاد الفارسية إلى سلخ المائة الثالثة . والقديس أفرام خير شاهد على ازدهار هذا النوع من الحياة الرهبانية الذي تبناه هو نفسه . وانطلاقاً من الشرق قد تكون هذه الحياة انتشرت في سورية الغربية .

إلاّ أن دراسة جدية للمصادر تضطرنا إلى إرجاء بدء الحياة الرهبانية الفردية إلى عهد يوليان سابا (الشيخ) (+ ٣٦٧) وابراهام قيدونايا معاصري القديس أفرام السرياني . أفلا تكون الحياة الرهبانية في الشرق ، والحالة هذه ، متأثرة بعض التأثر بالتيار المصري؟[٢٢] .

تطور الحياة الرهبانية

أخذت الحياة النسكية في بعض المناطق ، لا سيما في فلسطين ، اتجاهًا جديدًا يمتزج فيه شيء من الحياة الجماعية . فكان الرهبان يعيشون في صوامع منفصلة تحت إدارة رئيس واحد . وكثير من الآباء اليونان ، أمثال أواغريس وبلاديوس ، ساهموا في إعطاء ثقافة عميقة للحياة الرهبانية بكتاباتهم النسكية ومجموعات الحكم التي وضعوها لإرشاد الرهبان ولحل مشاكلهم الروحية .

وكان الرهبان في بادئ الأمر كلهم علمانيين تقريبًا ، يتوشحون جميعًا بزي مماثل ، وهو ثوب من الخيش ، ويتمنطقون بسير من جلد وفوقه جلد للمعز أو الضأن مع قبّعة للرأس . وكانوا يشغلون أوقاتهم بالصلاة والعمل اليدوي الذي كان يختلف بحسب المناطق وحاجاتها ، من العمل في الحقول إلى نسج السلال والحصائر وغيرها ... وفي الأديرة الكبيرة ، كانت هذه المهن كلها تتواجد تقريبًا . وكان الرهبان يبيعون منتجاتهم ويقتاتون بأثمانها ، ويحسنون بالفائض إلى الفقراء والمحتاجين . ولم يكن في الدير من الكهنة إلاّ واحد أو عدد قليل يكفي لخدمة الجماعة الروحية . وحتى ان باخوميوس فصل الكهنة عن الجماعة ، لكي يقضي على كل طموح إلى الدرجات العليا يراود قلب رهبانه . وكان الكهنة أحيانًا يأتون من المناطق المجاورة للقيام بخدمة الرهبان الروحية .

أما أديرة النساء فكانت في الغالب مجاورة لأديرة الرجال ، لتيسير الخدمة الروحية لهن ولسد حاجاتهن المادية ، وخصوصًا للذود عنهن ضد المعتدين . ولكن لم يخفَ على المسؤولين ما في ذلك من الأخطار الروحية . لذا فقد قامت المجامع الكنسية في أماكن

٢٢) راجع ما كتبه «بيك» في مجلة الشرق السرياني ٣ . لسنة ١٩٥٨ . ص ٢٧٣–٢٩٨ .

وكانت هذه الكلمات نداءً حاسمًا لأنطونيوس ونورًا لحياته ومنطلقًا لدعوته. فما إن رجع إلى البيت، حتى وزّع ممتلكاته الواسعة على الفلاحين وأعطى المساكين أمواله، بعد أن احتفظ لأخته بحصتها. ثم عهد بأخته إلى جماعة من العذارى، وأخذ يتردّد على شيخ ناسك كان يسكن في قرية مجاورة. وتحت إرشاد هذا الشيخ كان أنطونيوس يشتغل ويصلّي ويقرأ الكتاب المقدس. وحاول الشيطان أن يجرّبه مرّات عديدة، ولكن أنطونيوس قابله بتقشفات صارمة وإماتات هائلة فرضها على ذاته. ثم انزوى في قبر قديم منقور في لحف الجبل المجاور لقريته. وهناك أيضًا عاودته هجمات الشيطان بضراوة. ولكنه ظل صامدًا في عزمه ومستمرًا على حياة الفضيلة. وبعد سنين توغل في الصحراء وسكن في بناء قديم متهدم كان مأوى للحيات[١٦]. وبعد أن قضى عشرين سنة في هذه العزلة التامة دون أن يشاهد أحدًا، رضي منذ سنة ٣٠٦ أن يأتيه تلاميذ ويقيموا لهم صوامع بجواره. وبذلك حقق «اتحادًا للنسّاك» ظلوا بغير قانون ثابت، تجمعهم شخصية أنطونيوس وأقواله ونصائحه. وأخذت الجموع تتوافد عليه، فيجري لهم الأشفية والمعجزات. وكان من عزلته يتابع سير الكنيسة ويشاطرها أفراحها وآلامها. ففي الاضطهاد الذي شنّه عليها الأمبراطور مكسيمان سنة ٣١١، ساعد انطونيوس الشهداء في المناجم وفي سجون الإسكندرية. ولما عاد إلى منسكه لم يترك له ازدحام الجماهير مجالاً إلى الراحة والتفرغ للاختلاء والصلاة، فقر رأيه على الرحيل إلى مكان بعيد. ففي سنة ٣١٢ التحق بقافلة متوجهة شطر البحر الأحمر وسار معها ثلاثة أيام بلياليها، حتى توقف عند سفح جبل عال (جبل العربة) يجري في سفحه ينبوع ويظلل المكان بعض أشجار النخيل، بالقرب من البحر الأحمر بجوار الحدود الشرقية لسلسلة المرتفعات المدعوة اليوم جبل الغلاظة[١٧]. وهناك أمضى بقية حياته. وقد جاء مرة لزيارة أبنائه النسّاك، فاستقبلوه بحفاوة وفرح بالغين. وقبيل موته ذهب إلى الإسكندرية لدحض بدعة الأريوسيين. وقد سمح لاثنين من تلاميذه بالالتحاق به في عزلته. ووافته المنية في ١٨ كانون الثاني سنة ٣٥٦[١٨]، وله من العمر ١٠٥ سنين. وهو بكل جدارة يُعتَبر أبا النسّاك ومثالهم.

---

١٦) في الموضع الذي يُعرف الآن بدير الميمون (الأديرة المصرية العامرة، ص ١٥). وكانت قلعة رومانية مهجورة تشرف على النيل بالقرب من مكان يُدعى بسبير.

١٧) راجع شولر، ص ٣١.

١٨) أو في الثاني والعشرين من شهر طوبة سنة ٣٦٥ (الأديرة المصرية العامرة، ص ٢١).

نشأة الحياة الرهبانية الجماعية

أحس النسّاك ان كثيرين من المدعوين إلى هذه الحياة الكاملة لا يسعهم العيش في العزلة التامة. وانهم بحاجة إلى إخوتهم ليتلقوا منهم العطف والمساعدة لحياتهم الروحية... وإذا بالحياة الرهبانية تخطو خطوة كبيرة على يد القديس باخوميوس[19].

وكان باخوميوس فلاّحًا سُرّح سنة ٣١٤ من الجندية. وكان ذووه وثنيين يسكنون في ضواحي أسنيه إلى الجنوب من طيبة. واهتدى إلى الديانة المسيحية وتلقى العلم والإرشاد مدة ثلاث سنين على ناسك يدعى «فالمون». بالقرب من خنيو بوسكين (قصر السيد اليوم). ثم أخذ في إنجاز مشروعه شيئًا فشيئًا. وكانت البداية متواضعة. فقد رضي بعض النسّاك. مع سكناهم في صوامع منفصلة. أن يتناولوا الطعام سوية وأن يضعوا ثمار جهودهم وأعمالهم في شبه «صندوق مشترك». ثم تعهد ثلاثة منهم بحفظ القوانين التي عرضها عليهم باخوميوس. وكان هذا هو الدير الأول أُقيم في جنوبي مصر في مكان يُدعى «تبنسي». وكان الدير يضم صوامع كثيرة لسكنى الرهبان. وأحاطه باخوميوس بسور. وأعطى جمعيته قانونًا ينظم صلواتهم وتمارينهم الروحية ويحدّد زيهم الخارجي وشغلهم المادي ونوع معيشتهم. وهكذا نشأت جمعية تتجاوب مع احتياجات الإنسان الروحية والمادية والاجتماعية.

وقد انتشرت الحياة الرهبانية انتشارًا سريعًا. لا سيما في الشرق. حتى اضطر باخوميوس إلى تأسيس أديرة عديدة في مختلف الأرجاء المصرية لقبول الراغبين في الحياة الرهبانية. وكانت جمعيته تضم تسعة أديرة لدى موته سنة ٣٤٦. فيها بضعة آلاف من الرهبان.

وظهرت بالقرب من باخوميوس اخته مريم. وشعر باخوميوس بأن قلبها يميل نحو حياة التقوى والفضيلة. لذا أرسل بعضًا من إخوانه يبنون لها بيتًا في قرية تبنسي. على مقربة من ديره الأول. وأقاموا فيه معبدًا صغيرًا. وبعد قليل من الزمن أتت نساء كثيرات يضعن أنفسهن تحت إدارة وسلطة مريم. وهكذا نشأت أديرة كثيرة للنساء أيضًا... وكانت «طيبة» الأرض الخصبة للدعوات الرهبانية ثم تبعتها مصر السفلى وسورية وفلسطين.

وقد اشتهر في مصر بين كبار[20] الرهبان أمّونيوس الإسكندري (+ ٣٥٦) والقديس

---

١٩) طالع سيرته في سير الشهداء والقديسين ٥. ص ١٢٢ - ١٧٦. شولر في الترجمة العربية. ص ٣٥ - ٣٧.

شهادة الحياة

وإذ تضاءل أمام المسيحيين حقل الجهاد والكفاح في سبيل دينهم والذود عنه ، شعروا ان ثمة شهادة أخرى غير شهادة الدم ، يتحتم عليهم اداؤها . لا سيما وأنهم لاحظوا ان جموع المؤمنين وجماهير الهواة المتفرجين شرعوا يغزون مواضع الصلاة ، ففتشوا عن وسيلة تمكنهم من أداء الشهادة للمسيح ، ليس ببذل دمائهم ، بل بحياة تكون كلها شهادة للمسيح . وإذا بهم ينفردون في عزلة عن الناس في أماكن بعيدة عن ضوضاء العالم ويعكفون هناك على الصوم والصلاة[٩] . وهناك من يقول[١٠] ان الأمر الذي دعا بعض المسيحيين إلى اعتزال العالم ليس الاضطهادات ولا الخوف من تسرب روح العالم إليهم ، إنما هي الرغبة في تحقيق مُثل التنسك العليا ، وفي الكرازة بالقول والحياة . فبعد أن بشرت الكنيسة المدن توجهت إلى البراري برهبانها . وكانت فكرة التنسك تراود كل مسيحي يريد امتثال المشورات الإنجيلية[١١] . وقد أدت هذه الرغبة ببعض المسيحيين منذ القرن الثالث إلى الانفصال عن المجتمع جزئيًا أو كليًا في المعتزلات النائية ، في البراري والجبال .

هل الرهبانية من اختراع المسيحية

لقد ادّعى البعض أن للرهبانية المسيحية سوابق في الديانات الوثنية ، عند البوذيين مثلاً ، ولدى الأفلاطونية الجديدة في اليونان ، وفي البلاد اليهودية بواسطة شيعة الأسينيين العائشين على ضفاف البحر الميت (قمران) .

لا نكير ان بين هذه الطرق وبين الرهبانية المسيحية بعض أوجه الشبه ، ذلك لأن الإنسان التوّاق إلى الكمال قد وجد في مختلف الأجيال طريقه إلى هذا الكمال – حسبما فهمه – في الإماتات وضبط النفس وقهر الحواس[١٢] ...

إلاّ أن الرهبانية المسيحية نشأت انطلاقاً من حاجة الإنسان إلى تلبية نداء المسيح الداعي إلى التجرد عن كل شيء في سبيل الحياة الأبدية . وجاءت ظروف عجلت في تحقيق الرغبة الكامنة في قلب الإنسان . فحينما بدأ المسيحيون ينعمون بالراحة والطمأنينة ،

---

٩) راجع فان دير مير . أطلس المسيحية القديمة (بالفرنسية) ، باريس–بروكسل ١٩٦٠ ، ص ١٦٨–١٦٩ .
١٠) طالع بيهلماير وتوكل . تاريخ الكنيسة (بالفرنسية) . باريس ١٩٦٢ . ص ٤٥٤–٤٥٥ .
١١) متى ١٢/٩ و٢١ . ١ كور ٧/٧– . ٢٥– .
١٢) طالع فليش ومارتن ، تاريخ الكنيسة (بالفرنسية) ٣ . باريس ١٩٣٦ . ص ٣٠١ .

تسربت فيهم الرخاوة والاستسلام إلى ما يرضي الطبيعة البشرية. وقد رأت نخبة منهم في ذلك شرًا ينساب إلى نفوسهم من العالم. فقرّروا نبذ العالم والابتعاد عن فساده. وقد يكون في هذا العمل احتجاج الشخص البشري على المؤسسات العالمية التي تثقل كاهله وترهقه وتشغله عن الضروري الأوحد. وهذا ما قد يشرح وجود عذارى ونساك ينقطعون لخدمة الله ولا يخالطون البشر إلاّ نادرًا. وذلك منذ سلخ القرن الثالث[13].

نشأة الطريقة النسكية

يُعتبر القديس أنطونيوس الكبير (٢٥١–٣٥٦) مفتتح الطريقة النسكية. مع نده الأنبا بولس (+ ٣٤٧) الذي اختار الصحراء الشرقية في مصر مقرًا له وسكن مغارة هناك مدة تسعين سنة وهو يقتات بنصف رغيف يحمله إليه غراب كل يوم. شأنه في ذلك شأن إيليا النبي العظيم. وقد كتب القديس أثناسيوس الإسكندري (+ ٣٧٣) حياة القديس أنطونيوس الكبير[14].

وجاء في هذه القصة أن أنطونيوس وُلد سنة ٢٥١ في حضن عائلة مسيحية ثرية في بلدة «قمن» أو قمان من أعمال مركز الواسطى التي تقع على بعد نحو ٩٠ كم جنوبي القاهرة المصرية. ولم يكن مصري الأصل. بل ابن مهاجرين يونان سكنوا مصر. وأبواه مسيحيان أثريا من التجارة.

ووافت المنية والديه. وهو لما يتجاوز الثامنة عشرة من سنيه. تاركين له ولأخته الصغيرة ثروة لا يُستهان بها. وشرع أنطونيوس يفكر في متطلبات الحياة المسيحية وكيف أن الرسل تركوا كل شيء وتبعوا الرب. وأخذت هذه الأفكار تزدحم وتختمر في نفسه وهو يتلمس طريقه في الحياة. ولما دخل يومًا إلى الكنيسة. إذا بالكاهن يتلو الإنجيل حيث يقول يسوع للشاب الغني: «إن شئت أن تكون كاملاً. فاذهبْ وبعْ مالك وأعطِهِ للمعوزين فيكون لك كنز في السماوات. ثم تعالَ واتبعْني»[15].

---

١٣) طالع دانيال روبس. كنيسة الرسل والشهداء (بالفرنسية). باريس ١٩٤٨. ص ٦٠٤. القس بطرس حداد. الرهبنات النسائية في الكنيسة الكلدانية. بغداد ١٩١٢.

١٤) راجع الباترلوجية اليونانية في مجموعة ومين ٢٦. ص ١٣٥–٩٧١. طالع أيضًا سير الشهداء والقديسين ٥. باريس ١٨٩٥. ص ١–١٢١. الأديرة المصرية العامرة. تأليف القمص صموئيل تاوضروس السرياني. القاهرة ١٩٦٨. ص ١٤–٢١. سيمستر شولر. الكنيسة قبل الإسلام. الترجمة العربية للمحامي فؤاد جرجي أبو رزحان ٣. جونيه ١٩٧١. ص ٢٩–٣١.

١٥) متى ١٩/٢١.

إن هذا، والحق يُقال، يتحقّق في كل مسيحي من جراء العماد. بيد أن العماد ليس إلاّ مثل بذرة تحتوي على الطاقات المسيحية كلها. ولكي تتفتح هذه الطاقات وتتفجر عن زخم روحي هائل، يتحتم على الإنسان الحر أن يتعاون مع النعمة في مراحل حياته كلها: «فأما وقد قمتم مع المسيح، فاسعوا إلى الأمور التي في العلى، لا في الأمور التي في الأرض، لأنكم قد متم وحياتكم محتجبة مع المسيح في الله»[٣].

فلكي يؤدي العماد والأسرار الأخرى عملها التام في المسيحي، عليه أن يشترك بنوع شخصي فعال في سر موت المسيح وقيامته. وهذا ما ترمي إليه الحياة الرهبانية. فهي ليست إذن حياة على هامش الحياة المسيحية. بل إنها تعمق في سر المسيح وتوغل في خططه واندفاع شطر المثل العليا: «إني أسألكم أيها الاخوة، برأفة الله أن تجعلوا أنفسكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله. فهذه هي عبادتكم الروحية»[٤].

فالرهبانية إذن خير عام في الكنيسة يشترك فيه كل مسيحي. إنها تحمل رسالة يجب ألاّ يتغاضى عنها كل تلميذ للمسيح، إذ تدلنا على الاتجاه الذي يجب أن يتخذه الكيان المسيحي تحت قيادة الروح. أليس إلى الجميع وجَّهَ المسيح كلامه حينما قال: «مَنْ لم يحمل صليبه ويتبعني، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً... لا يستطيع أحد منكم أن يكون لي تلميذاً إن لم يتخلَّ عن جميع أمواله»[٥].

ومن جهة أخرى، يذكّرنا القديس بولس بأن «صورة هذا العالم في زوال»، ولذلك «فليكن الذين يستفيدون من هذا العالم وكأنهم لا يستفيدون»[٦].

فإن الملكوت الذي دُعينا إليه ليس في نظام الأمور الزمنية مهما عظم شأنها، والطريق المؤدّية إلى هذا الملكوت هي طريق الصليب، ومقتضيات التخلي والتجرد الفعلي شاملة لا مناص منها لكل مسيحي يعيش بحسب منطق عماده. فعليه أن يحتفظ في حياته بمتسع من الوقت للتفرغ لله: «ادخل حجرتك واغلق عليك بابها وصلِّ لأبيك الذي في الخفية»[٧]، بحيث ان حياته كلها تتسم بهذه «الأوقات القوية» التي تضعه في احتكاك مباشر مع الله.

---

٣) كولسي ٣/١-٣.

٤) روم ١٢/١.

٥) لوقا ١٤/٢٧، ٣٣.

٦) ١ كور ٧/٢٩-٣١.

٧) متى ٦/٦.

إلاّ أن الرهبان في اندفاعهم إلى الله لا يفقدون احتكاكهم بالأرض. فمع كونهم منتبهين إلى النداءات الخاصة التي يوجّهها الله إلى كل إنسان من خلال الظروف الخارجية أو الإلهامات الداخلية فهم يعلمون ان طرق الله عديدة، وان الروح حُرٌّ في أن يهبَّ حيثما يشاء. لذلك فإنهم يحترمون الشخصيّة الروحية في الغير بكل فطنة، ويحترمون مقتضيات النعمة في كل إنسان في طريقه إلى الله.

الشهادة والتجرد

كانت المسيحية، حتى قبيل صدور مرسوم ميلانو سنة ٣١٣، تعيش تحت وطأة الاضطهاد وعلى هامش الحياة العامة. فكان على المسيحي أن يختار البطولة والتضحية، وأن يستعد في كل حين للشهادة، يدلي بها أمام الملوك والولاة، ويبذل دمه في سبيل الحقيقة. فكانت فكرة الاستشهاد ترافق المسيحي دومًا ولا تسمح بأن يتعلّق قلبه بحطام الدنيا أو بمجدها أو مناصبها الرفيعة. فكان الله همه الوحيد وهو يصبو دومًا إلى ساعة الجهاد الأخيرة التي فيها يتحرّر من قيود الجسد وينضم إلى المسيح في المجد. هكذا. قبل أن تتكون الحياة الرهبانية بإطارها القانوني، كان المسيحيون يعيشون بحسب روحها. وكان الشهيد يحقق فكرة الراهب بتجرده عن كل شيء وبإعطائه ذاته لله حتى الموت.

خطر العالم

وما إن صدر مرسوم ميلانو، حتى حلّ السلام في الكنيسة وأصبحت المسيحية ديانة معترفًا بها، ثم غدت دين الأباطرة الرومان وشعوبهم. وإذا استمرت الوثنية تحظى ببعض الحرية زمانًا يسيرًا، فسرعان ما أصابها الخمول وتعرّضت للذل وأخذت تتراجع أمام الحقيقة الزاحفة، ثم أضحت ديانة محظورة منذ نهاية القرن الرابع في المناطق الرومانية، فلم يعد المسيحي يلاقي غبنًا من جراء دينه، بل إكرامًا وجاهًا. بيد أن هذه الحالة أثارت في فكر المسيحيين تساؤلات كثيرة: هل يمكن للمسيحي، وهو في العالم، أن يتبع المسيح بحمل الصليب؟ وهل يمكنه، في وسط العالم، أن يحقّق خلاص نفسه؟[8] وكان جواب كثيرين منهم نفيًا.

---

٨) طالع الأب فستوجيير. رهبان الشرق (بالفرنسية) ١. باريس ١٩٦١. ص ١٨-١٩.

موقف المسيحيين

يمكن القول إن المسيحيين في معظم المناطق وقفوا موقف الحياد من المعارك الفارسية-العربية، إن لم نقل انهم في سرهم حبذوا حكم العرب. ويقول المؤرخون ان الجاثليق ايشوعياب بذل قصارى جهده لكي يظهر الولاء للفاتحين[٤٤] ويُقال ان أميرًا نجرانيًا مسيحيًا توسط ببني مذهبه ونال من المسلمين عهدًا يكفل لهم حسن المعاملة[٤٥]. مهما يكن من أمر، فإن التاريخ المغمور لكويدي يقول ببساطته المألوفة: «حينما رأى الجاثليق ايشوعياب ان العرب قد احتلوا ونهبوا ماحوزي (المداين)، وان أبوابها قد نُقلت إلى العاقولاء، فرّ إلى كرخ سلوخ تجنّبًا للمجاعة»[٤٦] ... أما ماروثا مطرافوليط المشرق الذي كان في تكريت إبّان الفتح الإسلامي، فقد فتح أمام المسلمين أبواب قلعة المدينة تجنبًا لوقوع المجازر الدموية فيها ان هي فُتحت عنوة[٤٧].

... ولا عجب إذا اتسم موقف المسيحيين بارتياح لمجيء العرب، ذلك لأن المسيحيين ملّوا من الظلم الذي تعرّضوا له في فترات عديدة من العهود الفارسية. فلعلّ الفاتحين الجدد يكونون أكثر إنسانيّةً ورحمةً تجاههم. وقد رحب المسيحيون بمجيء العرب للتقارب الكبير بين لغتهم السريانية ولغة الفاتحين العربية، لكون اللغتين تنتميان إلى دوحة واحدة هي الآرامية. بالإضافة إلى أن الفاتحين كانوا على الايمان بالإله الواحد، عكس الفرس المزديين.

---

٤٤) طالع ماري، ص ٦٢؛ صليبا، ص ٥٤–٥٥؛ ابن العبري، التاريخ الكنسي ٢، ١١٥.

٤٥) التاريخ السعردي ٢. ص ٢٨١–٢٩٧.

٤٦) تاريخ كويدي، ص ٢٦.

٤٧) ابن العبري، التاريخ الكنسي ٢، ١٢٥.

نشأة الحياة الرهبانية

في نهاية هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة الشرقية، نود أن نلقي نظرة خاطفة على الحياة الرهبانية عامة وعلى مدى تحقيقها في كنيستنا خاصة، ذلك لأن الرهبان كانوا دومًا القلب النابض في هذه الكنيسة، وهم الذين ساهموا في نشر الديانة والثقافة المسيحية في مختلف أرجاء الشرق الأوسط وأوصلوا هذه الرسالة السامية حتى إلى الشرق الأقصى.

الحياة المسيحية والحياة الرهبانية

تبدو الحياة الرهبانية لأول وهلة وكأنها حياة لا منطقية. إذ كيف يرغب الراهب عن العالم، مع علمه أن العالم شيء حسن بما أنه عمل الله، ولأن الله يتراءى للبشر من خلال الحقائق المنظورة. إلاّ أن الراهب بتركه هذا العالم، يعلن انتماءه المسبق إلى عالم آخر افتتحه المسيح منذ قيامته المجيدة: «حيث لا الرجال يتزوجون ولا النساء يزوجن، وإنما هم كالملائكة في السماء»[1].

فلا يتسنى لنا استيعاب الحياة الرهبانية في العالم إلاّ على ضوء الخبرة الفصحية التي عاشتها الكنيسة: «لكن الله الواسع الرحمة، وقد أحبنا حبًا شديدًا، أحيانا مع المسيح وكنا أمواتًا من جراء زلاتنا، فأقامنا معه وأجلسنا في السماوات في المسيح يسوع»[2].

١) متى ٢٢/٣٠.

٢) أفسس ٢/٤-٦.

احودامه. فأولوا هذا الشرف لتكريت، المدينة «المباركة»، وجعلوها مركزًا لمطرافوليط الشرق أو الجاثليق. وكان من السهل عليهم فيما بعد أن ينقلوه إلى العاصمة الفارسية ممّا وجدوا الفرصة مؤاتية لذلك. واحتفظ مطران مار متى مع ذلك بلقب المطرافوليط. إلاّ أنه فقد سلطته الواسعة التي لن تشمل من الآن سوى المناطق المجاورة للدير[٣٨]. وقد شجعتهم الأحداث السياسية على اتخاذ هذه الإجراءات. فبعد أن استولت جيوش هرقل على العاصمة الفارسية، أصر الروم على إبقاء شمالي البلاد تحت نفوذهم المباشر وأقاموا حاكمهم في تكريت التي جعلوها مركزًا للإدارة المدنية. وسرعان ما اكتسبت تكريت بذلك أهمية كبرى، فأصبح المركز المدني مركزًا دينيًا خطيرًا أيضًا وأعطى صاحبه لقب «الجاثليق» أو «مطرافوليط المشرق» على الشطر الشرقي من المؤمنين التابعين لكنيسة أنطاكيا. وسيُعطى هذا الرئيس في الأجيال اللاحقة لقب «المفريان».

وقد سبّب هذا التنظيم تناحرًا بين تكريت ومار متى دام سنين طويلة. وكان ماروثا أول مطرافوليط شغل كرسي تكريت. وكان يخضع لمطرافوليط تكريت أبرشيات عديدة، اختلف المؤرّخون في عددها. فبينما يعطينا التاريخ السعردي أسماء عشرة كراسي من ضمنها تكريت[٣٩]، يزودنا ابن العبري باثني عشر كرسيًا تابعًا لتكريت[٤٠]. ومعظم المؤرّخين يظنون أنها عشر في الواقع وهي: سنجار – معلثا وبانوهذرا – أرزن – مركا وكومل – بيث رمان وبوازيج – الدجلة وكرمى – الجزيرة والبحرين – فيروزشابور (الأنبار) – شهرزور – عانة والعرب التغلبيون. وفي وقت لاحق أُضيف إلى هذه الأبرشيات غيرها مستحدثة هي بغداد وجزيرة قردو، الخ... وقد كتب سيرة ماروثا تلميذه وخلفه المطرافوليط دنحا، ونشرها «نو» بنصها السرياني وترجمتها الفرنسية، بعد سيرة احودامه[٤١].

أما لقب «المفريان» الذي يعطيه ابن العبري في وقت مبكر لمطرافوليط تكريت[٤٢]، فإنه لم يطلق في الواقع للمرة الأولى إلاّ على يوحنا صليبا الأول (١٠٧٥–١١٠٦)[٤٣].

---

٣٨) ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢. ١٢١.

٣٩) التاريخ السعردي ٢. ص ٢٢٣.

٤٠) التاريخ الكنسي لابن العبري ٢. ١٢٧.

٤١) طالع الباترولوجية الشرقية. سنة ١٩٠٥. ص ٥٢–٩٦.

٤٢) ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢. ٣٩٠.

٤٣) المصدر نفسه. عمود ٤٠٤. السمعاني في المكتبة الشرقية ٢. ٤٥٤.

ولن يكون لتكريت بالفعل إلاّ مفريانان فقط ، هما : صليبا المذكور وخلفه ديونيسيوس (١١١٢ - ١١٤٢).

انهيار الأمبراطورية الفارسية

بعد موت الملك بوران، توالى المنافسون على العرش الفارسي وكثرت المؤامرات والاغتيالات في البلاط، إلى أن عثروا على أمير من نسل كسرى الثاني كان يعيش مختفيًا في اصطخر، البلد الذي فيه نشأ الساسانيون، وهو ابن الأمير شهريار واسمه يزدجرد. وتمكن هذا الأمير من الاستيلاء على المداين بمساعدة القائد رستم الذي دخل اسمه في الملاحم وفي عالم البطولات. وقدر يزدجرد الثالث هذا أن يوحّد الدولة بعض الشيء. إلاّ أن عوامل الانحلال كانت قد تسربت في جسمها المريض. فلم يستطع القائد المحنّك رستم. مع كل بسالته. أن يصد زحف العرب المسلمين الذين تقدّموا فاستولوا سنة ٦٣٣ على البحرين (قطر) ومنطقة ميسان والحيرة والأنبار واحتلوا كل البلاد الواقعة غربي الفرات. وأدرك رستم الخطر المحدق ببلاده فبذل جهودًا جبارة لصد الفاتحين والذود عن العرش الفارسي. وفي سنة ١٥ هـ الموافقة لسنة ٦٣٦ م، التقى الجيش الفارسي بالجيش العربي الذي كان بقيادة سعد بن أبي وقاص، وذلك في القادسية القريبة من الحيرة. واستمر القتال ثلاثة أيام وأسفر عن هزيمة الفرس وقتل رستم. وبعد مدة قصيرة تمكن العرب من الاستيلاء على العاصمة الفارسية. أما يزدجرد فقد هرب مع حاشيته وتوجه إلى حلوان ومن هناك إلى بلاد ميديا (ماداي). وتابع العرب المسلمون زحفهم نحو المناطق الشرقية، فاحتلوا سنة ٦٣٨ بلاد الأهواز والسوس، وتوصلوا إلى هضبات إيران سنة ٦٤٠.

وحاول الملك الفارسي جمع شمل جيشه لعله يصد هجمات الفاتحين، واشتبك جيشه مع العرب سنة ٦٤٢ في موقعة «نهاوند». ولكن هذه المعركة العنيفة أيضًا انتهت بهزيمة الفرس. ففر يزدجرد من موضع إلى آخر والفاتحون يقتفون آثاره ويحتلون المنطقة تلو المنطقة حتى توصلوا إلى اصطخر. أما الملك الفارسي الطريد فقد اغتيل سنة ٦٥٢ على يد طحان طمع في ثيابه الفاخرة.

وهكذا زالت الأمبراطورية الفارسية وانهارت أمام قوة العرب الفاتحين.

أطلق سراحه في وقت سابق وعاد إلى القدس[٣٣] . ولكن شهربزار لم ينعم طويلاً بنصره هذا . فقد انقضت عليه فئة من كبار ضباط الحرس الملكي وقتلوه وقطع الشعب جسمه اربًا اربا . غير ان عوامل الفساد أخذت تدب في المملكة الفارسية التي أصبحت في هذه الفترة ألعوبة بيد الأقدار . وبعد اغتيال شهربراز بويع كسرى الثالث ، وهو ابن أخي كسرى برويز ، ملكًا على القسم الشرقي من الدولة ، بينما أُقيمت بوران ابنة كسرى الثاني ملكة على المداين . أما كسرى الثالث فقد اغتاله سريعًا حاكم خراسان[٣٤] .

وأما بوران فقامت بأعمال جليلة رغم قصر عهدها الذي لم يدم سوى سنة وأربعة أشهر . فقد عقدت صلحًا نهائيًا مع الروم . وأرسلت لهذا الغرض بعثة رسمية إلى الملك هرقل برئاسة الجاثليق الشرقي ايشوعياب الجدالي . وكانت البعثة تضم أيضًا أعضاء بارزين من الكنيسة الشرقية هم : قرياقوس مطران نصيبين وبولس مطران حدياب وجبرائيل مطران كرخ سلوخ وايشوعياب الحديابي أسقف نينوى آنذاك وسهدونا أسقف ماحوزا أريون[٣٥] . فاستقبلهم هرقل مثل ملائكة الله ، على حد قول توما المرجي . وأفلحوا في مهمتهم ايما إفلاح . إلاّ أن هذه البعثة سببت متاعب جمة للجاثليق . فكان عليه أن يذهب إلى حلب حيث كان الأمبراطور هرقل ، وأن يمر خلال بلاد غالبية مسيحييها من المنوفيزيين أو الملكيين ، وكان عليه أن يبرهن عن صحة معتقده لدى الروم ، لكي يتسنى له الاشتراك معهم في الأسرار . ولذا فقد انهالت عليه تقريعات الشرقيين ، ولا سيما تهم برصوما أسقف شوش الذي تجرّأ عليه وقال له : « لو لم تشجب أنوار الكنيسة الثلاثة ديودوروس وتيودوروس ونسطوريوس ، ولو لم تنطق بهذه العبارة وهي أن مريم هي أم الله ، لما سمح لك الروم بإقامة الذبيحة على مذابحهم »[٣٦] . وحتى أدى الأمر ببعض المغالين من النساطرة إلى حذف اسم ايشوعياب من سفر الأحياء . إلاّ أن الجاثليق دافع عن نفسه وبذل جهده في إقناع المتعصبين بأنه لم يقم بشيء ينافي الإيمان القويم ولا بما يخالف العادات الشرقية .

ويروي لنا توما المرجي حوادث جانبية جرت خلال السفر الذي قام به الجاثليق وزملاؤه المطارنة إلى بلاد الروم . فقد سرقوا من أنطاكيا صندوقًا يحتوي على ذخائر الرسل

---

٣٣) التاريخ السعردي ٢ . ص ٢٣٦ وما يتبع .

٣٤) الطبري . ص ٣٩٠ . حاشية ١ .

٣٥) توما المرجي ، كتاب الرؤساء ، ص ٦٧–٦٨ . ولو ان المرجي ينسب هذا العمل إلى الملك شيرويه .

٣٦) التاريخ السعردي ٢ ، ص ٢٤٠–٢٥٨ .

القديسين وجلبوه إلى الشرق. وبينما كانوا هناك قام ايشوعياب الحديابي مع زميله سهدونا بجولة في كورة افامية والتقيا يوحنا أسقف المتشتتين من كورة الشام. ودارت جدالات عقائدية بينهم وبين رهبان أحد ديورة الملكيين هناك أسفرت عن تبدل صريح في موقف سهدونا ومجاهرته بالتعاليم الخلقيدونية. وهذا ما أدى إلى نبذه من الكنيسة الشرقية بعد ذلك، في عهد بطريركية ايشوعياب الثالث الحديابي[37]. ولكن هذه الأحداث الدينية مقرونة بالاضطرابات السياسية لم تثنِ ايشوعياب الثاني عن غيرته على دعم المسيحية، ليس في البلاد الفارسية فحسب، بل وعلى نشرها أيضًا في الشرق الأقصى. فهو الذي أرسل مرسلين نساطرة إلى بلاد الصين ونشروا فيها الديانة المسيحية التي ازدهرت هناك مدة طويلة.

تنظيم الكنيسة المنوفيزية في بلاد الفرس

رأينا أن الملك كسرى الثاني مال بعض الشيء إلى النساطرة بعد موت طبيبه جبرائيل السنجاري وتحت نفوذ يزدين. ولكنه حينما مُني بهزائمه المتتالية أمام الجيوش الرومانية، اتخذ موقفًا عدائيًا تجاه كل المسيحيين الذين صاروا يحذرون بطشه وانتقامه. وقد أنعش دخول الروم إلى البلاد الفارسية الرجاء والتفاؤل في قلوب المسيحيين. واستفاد المنوفيزيون بنوع خاص من حضور الجيوش الغربية في المنطقة الشرقية، وجرت اتصالات بين المنوفيزيين وبطريركهم الأنطاكي أثناسيوس الجمال (+ ٦٣١)، فتوجّه خمسة أساقفة منهم إلى بلاد الروم، وهم: كريستوف مطرافوليط مار متى وجرجيس أسقف سنجار ودانيال أسقف بيث نوهذرا وغريغوريوس أسقف بيث رمان ويزدفنه أسقف شهرزور. واصطحبوا معهم ثلاثة رهبان رشحوهم للدرجة الأسقفية، وهم ماروثا وايثالاها وأحا. وطلبوا من البطريرك الأنطاكي أن يرسمهم أساقفة للمنطقة الشرقية. ويظهر أن البطريرك رفض هذا الطلب «لسبب مقررات المجمع النيقاوي»، كما يقول ابن العبري. وكان البطريرك برفضه هذا يهدف إلى إبقاء نوع من الاستقلال لكنيسة المشرق المنوفيزية وتجنب كل الاتهامات التي كان خصومهم النساطرة يلصقونها بهم من أنهم عملاء لسلطة أجنبية تعيش ما وراء الحدود الفارسية في بلاد الروم ويتلقون منها كل الأوامر والتوجيهات. وقرر المطارنة أيضًا تغيير مركز المطرافوليط في الشرق. وكان هذا المركز دير مار متى منذ عهد

---

٣٧) كتاب الرؤساء ص ٦٨–٧٠.

الذي الذي تدعوه المصادر أيضًا «نيوهرمزد» تقدم من الملك وهوى بفأسه على رأسه وأرداه. فصار شيرويه قباذ ملكًا وعاد الهدوء إلى الكنائس كلها في جميع أرجاء المملكة الفارسية. إلاّ أن شيرويه سرعان ما أحسّ بمؤامرة يحوكها له ولدا يزدين للاستيلاء على العرش مع بعض كبار الدولة ومع الروم الذين هلّلوا لفكرة إقامة سلالة مسيحية على عرش فارس. فقضى الملك على هذه المؤامرة وأراد القبض على شمطا، ولكنه هرب إلى الحيرة. إلاّ أنه لم ينج من قبضة شيرويه الذي أمر بقطع يمينه وإيداعه زنزانة مع أخيه قورطا.

الجاثليق ايشوعياب الثاني الجدالي (٦٢٨–٦٤٥)

هو من بلدة جدالا القريبة من سنجار الحالية. تلقى العلم في مدرسة نصيبين على حنانا الحديابي. ولكنه ما إن لاحظ انحراف حنانا عن المعتقد الشرقي وعن تعاليم «المفسر» حتى غادر احتجاجًا عليه يصحبه عدد كبير من زملائه الطلبة. وتوجه إلى «بلد» (أسكي موصل الحالية) حيث أقيم أستاذًا على مدرستها ثم أسقفًا على هذه المدينة، مع كونه متزوجًا بحسب ادعاء التاريخ المغمور لكويدي[٢٤]. ولما اغتيل كسرى الثاني وجاء شيرويه-قباذ إلى الحكم، أطلق الحرية للمسيحيين في انتخاب جاثليق للمشرق. فاجتمع المطارنة وأرادوا إجراء الانتخاب، وتوجهت الأنظار إلى باباي الكبير. ويقول توما المرجي: «إن الآباء كلهم طلبوا إلى القديس مار باباي أن يكون جاثليقًا، ولكنه رفض. لأنه فضّل أن ينهي حياته في صومعة ديره على أن يقوم بالرئاسة المضنية»[٢٥]، وجرى الانتخاب، وكان ايشوعياب الجدالي هو الفائز، فأُقيم جاثليقًا على المشرق. وأراد أن يقوم بواجب الاحترام تجاه باباي والشكر على ما بذله من الجهود في إدارة الكنيسة طيلة عشرين عامًا، فصعد الجاثليق الجديد نفسه مع لفيف من أساقفته وأوصلوا باباي بإكرام إلى ديره في جبل ايزلا.

وهنا يروي لنا توما المرجي حادثًا طريفًا ينبئ عن حسرة دفينة في قلب باباي على رفضه الجثلقة، ويقول: «ولما ودعهم (باباي) وعادوا أدراجهم، ظهر له بغتة ملاك الرب بهيئة فارس متقلدًا سيفًا من نار وممتطيًا صهوة جواد أبيض ووقف في فناء صومعته،

---

٢٤) تاريخ كويدي. ص ٢٥.

٢٥) كتاب الرؤساء. ص ٦١.

وخاطبه وقال له : الآن وقد رفضت البطريركية ونصب آخر . ايذن لي بأن ألتحق به . فقال له مار باباي : من أنت يا سيدي؟ فأجابه الملاك : أنا الملاك الذي أمرني الله رب العالمين بأن أخدم كرسي المشرق البطريركي . وطالما كنتَ أنت القائم بأعمال الجاثليق لازمتك من اليوم الأول وحتى الآن . أما الآن فعليّ أن أتبع ذلك الذي قبل المهمة . فقال له ربان (باباي) لو عرفت أنك معي . لقبلت هذا المنصب السامي بفرح . والآن فامضِ بسلام وباركني . وتوارى الملاك عن ربان»[٢٦] .

إلاّ أن حكم شيرويه كان قصير الأمد . إذ لم يدم سوى ثمانية أشهر[٢٧] . فبينما كان ذاهبًا إلى مقره الصيفي في دستكرد . داهمه المرض ولم يبارحه إلى أن صرعه في شهر أيلول سنة ٦٢٨ . ويقول التاريخ السعردي : «يحكى أن شيرين احتالت في قتل شيرويه بالسم لأنه قتل ابنها مردنشاه»[٢٨] .

ويقول ابن البطريق وابن قتيبة انه مات بالطاعون المروِّع الذي اجتاح الدولة وأهلك الكثيرين من سكانها . ويروي الفردوسي والثعالبي قصة خرافية عن انتحار شيرين وسم شيرويه[٢٩] . ويصف التاريخ السعردي شيرويه بالجودة والمحبة الشديدة للنصارى . حتى قيل انه كان في سره مسيحيًا . ولأن الفرس كانوا يكنّون ولاءً عميقًا لشيرويه[٣٠] . فقد ولوا على العرش بعد موته ابنه أرداشير الثالث وهو بعد صغير السن . فأقاموا عليه وصيًا أحد رؤساء المملكة . إلاّ أن فروخان القائد الشهير المسمى أيضًا شهربراز زحف بجيشه على العاصمة الفارسية وقتل الملك الذي لم يمر عليه في الحكم سوى سنة ونصف السنة . واستولى على زمام الأمور ونصب نفسه ملكًا على الفرس في ٢٧ نيسان سنة ٦٣٠[٣١] . وأول عمل قام به شهربراز هو إخراج شمطا بن يزدين من السجن وصلبه على باب كنيسة بيث نرقوس في العاصمة ، لأن شمطا كان قد أهان ابنته . ولكي يشكر هرقل الملك الروماني على مساندته له في الاستيلاء على العرش الفارسي ، رد إليه ذخيرة الصليب المقدس وأرفقه بهدايا نفيسة[٣٢] . أما زكريا بطريرك أورشليم الأسير في البلاد الفارسية فقد

---

٢٦) كتاب الرؤساء . ص ٦١–٦٢ .

٢٧) تاريخ كويدي . ص ٢٥ .

٢٨) التاريخ السعردي ٢ . ص ٢٣٥ .

٢٩) طالع كريستنسن . ص ٤٧٦ وحاشية ١ .

٣٠) الطبري . ص ٣٨٦ ؛ ميخائيل السرياني ٢ . ص ٤١٠ .

٣١) تاريخ كويدي . ص ٢٥ ؛ الطبري . ص ٣٨٨ .

٣٢) ويُقال ان الصليب رد إلى الروم سنة ٦٢٩ .

حصارًا حول مدينة القسطنطينية نفسها ، ولكنه كان يفتقر إلى الوسائل لنقل جنوده إلى الساحل الغربي للبوسفور .

ولما ساءت حالة الروم ، هبَّ ملكُهم « هرقل » واستنفر جيشه وأوقف الزحف الذي قامت به جيوش الفرس . فاستعاد آسيا الصغرى وطارد جيوش كسرى في أرمينية وأذربيجان واستولى سنة ٦٢٣ و ٦٢٤ على « كنزك » مدينة الفرس المقدسة ، حيث ضرب بيت نار «آذور كوشنسف» . فهرب منه كسرى حاملاً النار المقدسة . وفي السنوات التالية استولى الخزر ، وهم قوم من أصل تركي كانوا قد استقروا في القوقاز في النصف الأخير من القرن السادس ، على مدينة « دربند » . وتحالفوا مع الأمبراطور البيزنطي[١٧] . وتلاحقت ضربات الملك هرقل على الفرس الذين واصلوا انسحابهم وتقهقرهم . فتوغل الروم في وادي دجلة واحتلوا منطقتي حدياب وبيث كرماي . ثم استولوا على قصر الملك في « دستكرد » وظفروا بغنائم عظيمة في أسلاب هذا المقر الملكي[١٨] . واستعدوا لحصار المداين . فغادرها كسرى اذ ذاك ليأمن على حياته .

وحينما رجحت كفة الروم في الحرب ، تغير موقف كسرى الثاني من المسيحيين وانقلب سماحه الظاهر إلى عداء سافر نحو كل الفئات من المسيحيين . ويقول التاريخ المغمور الذي نشره كويدي[١٩] ان كسرى أقسم إن انتصر في هذه الحرب ليأتين على جميع الكنائس في الدولة ولا يترك ناقوسًا فيها . ولم ينجُ من بطشه حتى أقرب المقرّبين إليه ، ومنهم يزدين الذي يقول عنه تاريخ كويدي أنه «شيد في جميع البلاد الكنائس والأديرة على صورة بيت المقدس السماوي ، وكان محبوبًا لدى كسرى كما أحب فرعون يوسف ، بل أكثر منه»[٢٠] . فقد أمر كسرى بقتله وبتعذيب زوجته لكي تطلعه على الموضع الذي كان يزدين فيه قد خبأ أمواله الكثيرة التي جمعها بالحق وبالباطل[٢١] . وقد يكون الدافع إلى ذلك توجس كسرى بانضمام يزدين إلى موالاة جيوش هرقل الروماني والتآمر على اغتياله ، أم قد يكون الجشع الذي دفع كسرى إلى قتله والاستيلاء على أمواله وضمها إلى خزانته الملكية التي قيل انها احتوت على ٤٦٨ مليون مثقال من الدراهم وهو

---

١٧) طالع كريستنسن ، ص ٤٣١ .

١٨) الطبري ، ص ٢٩٥ . حاشية ١ وص ٢٩٦ . حاشية ١ .

١٩) تاريخ كويدي ، ص ٢٨ .

٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

٢١) المصدر عينه ، ص ٣٥ .

ما يوازي ٣٧٥ مليونًا من الفرنكات الذهبية. بالإضافة إلى الجواهر النفيسة والحلل الثمينة. وكان قد سبق لكسرى أن أمر بقتل الشهيد ايشوعسبران.

فثقلت وطأة الظلم على الجميع، وحاولوا التخلص من هذا الطاغية العجوز الذي تمادى في الشرّ والظلم. ويصف لنا توما المرجي نهاية كسرى بهذه الأقوال[٢٢]: «أما الملك كسرى بن هرمزد فقد اندفع بجنون وجشع إلى جمع الأموال. وأزادته السنون شرًا وظلمًا. ولما توفي (اغتيل) الطوباوي مار يزدين رئيس المؤمنين الذي أضاف المجد السماوي إلى الجاه العالمي الذي كان يتمتع به، وحق له أن يرث خدر الأفراح السماوية ويسكن جنات النعيم، نسي كسرى أفضاله كلها واغتصب ثرواته وأمواله جميعها وترك ولديه المباركين شمطا وقورطا المؤمنين الصادقين عرضة للفقر والذل. فلما رأى شمطا المبارك أن شر كسرى الملك يعظم ويتفاقم مع تقدمه في السن، قام خفية ونزل إلى المداين عاصمة المملكة، وقتل بحد السيف أبناء كسرى الأربعة والعشرين الذين كانوا يتربون هناك، واقتاد منهم ابنه شيرويه – وهو قباذ – وجاء إلى مدينتهم وفتح السجن وأخرج نزلاءه كلهم وأركبهم خيولاً وزوّدهم بالسلاح ونادى بشيرويه ملكًا بدون أمر والده وإرادته. وكان كسرى قد سرح جيوشه جشعًا. فدخل شمطا المغوار مع أتباعه بلاط كسرى وقتله بحد السيف».

وهناك مصادر أخرى تختلف بعض الشيء في رواية تفاصيل مصرع كسرى. فهي تقول ان كسرى، بعد أن هرب من دستكرد رافضًا عروض الصلح التي قدمها له ملك الرومان هرقل، عاد إلى قصره في المداين. ثم لم يلبث أن تركه ليعبر دجلة ويقيم مع شيرين في «فيه ارداشير». وهناك مرض بالزحار، فنقلوه إلى المداين ليرتب وراثة العرش... فأراد تثبيت مردنشاه ابنه من شيرين على العرش. ولكن شيرويه ابنه من مريم البيزنطية اتفق مع الروم ومع ابني يزدين وقاموا بتنفيذ المؤامرة لاغتياله. وإذ أحس كسرى بذلك، لاذ بالفرار. ولكن الثوار قبضوا عليه وأودعوه السجن حيث لم يكن يعطى سوى قليل من الخبز والماء[٢٣]. ونال ولدا يزدين من شيرويه السماح بقتل كسرى أبيه. فدخلا عليه في السجن واستل شمطا سيفه ليضرب عنق الملك. ولكن كسرى أخذ يتضرّع إليه بتذلل ودموع قائلاً «بم أذنبت إليك لكي تقتلني؟». فارتدّ عنه شمطا. ولكن قورطا

---

٢٢) كتاب الرؤساء. ص ٦٠ – ٦١.

٢٣) تاريخ كويدي. ص ٢٤؛ الطبري. ص ٣٥٦.

وظلّت الكنيسة الشرقية بدون جاثليق. وكان من ثمة على كل مطرافوليط أن يتعهد إدارة منطقته بسهر وحزم. أما كنيسة ساليق فقام بإدارتها الأركذياقون مار آبا الذي يصفه المؤرخون بالحكمة والفضل[١٠]. وأما المناطق الشمالية فقد اتفق عدد من المطارنة على تسليم ادارتها الكنسية إلى باباي الكبير الذي كان من بيث عيناثا في منطقة بيث زبدى، وكان إذ ذاك رئيسًا على الدير الكبير في جبل ايزلا. وكان باباي يمتاز بالعلم والفضيلة والغيرة العارمة على الدين المسيحي[١١]. فتسلم الإدارة الكنسية وراح يطوف في المناطق ويتفقد الأديرة بصفة زائر رسمي مخوّل من قبل مجلس الأساقفة. وكان ساهرًا على الإيمان يذود عنه ضد الهراطقة والمصلّين الذين كانوا يندسّون حتى بين صفوف الرهبان. وكانت سلطته الأدبية والتعليمية تحظى بتأييد واسع النطاق بين الشرقيين. فهو اللاهوتي الكبير الذي ساهم في بلورة اللاهوت الشرقي في هذه الفترة، لا سيا في كتابه الشهير «في الاتحاد» الذي يعتبر بحق الدستور العقائدي للكنيسة الشرقية[١٢].

وانفتح باب جديد أمام الشرقيين بموت جبرائيل السنجاري وتحسّن وضعهم في البلاط الفارسي، لا سيا ان شخصًا منهم يدعى «يزدين» حظي بثقة الملك الفارسي وأصبح لديه أمين الخزينة[١٣]. وكان يزدين ينتمي إلى أسرة مار فثيون الشهيد من كرخ سلوخ حيث كانت لأسرته ممتلكات واسعة. ويظهر أن الملك كان قد عهد إليه أمر الجباية في المملكة كلها. فكان يتتبع آثار الجنود لكي يرتب أمر الأموال المنهوبة في الحروب ويضمن ذهاب القسم الأكبر منها إلى الخزائن الملكية. ويقول تاريخ كويدي[١٤] أن يزدين كان يلقي كل صباح ألف قطعة ذهبية في الخزينة الملكية. وقد اكتسب هو أيضًا من جرّاء وظيفته هذه أموالاً طائلة وصارت ثروته مضرب الأمثال، حتى إنها جذبت أنظار كسرى الجشع، وكانت الدافع الأول الذي حدا كسرى إلى قتله والاستيلاء عليها. ورغم هذا النفوذ الذي كان يزدين يتمتع به في البلاط، لم يفلح في إقناع الملك بالسماح للمسيحيين بني مذهبه لكي يختاروا لهم جاثليقًا...

---

١٠) تاريخ كويدي. ص ٢٠؛ ماري. ص ٦١؛ صليبا. ص ٥٢.

١١) المصدر نفسه. ص ٢١؛ توما المرجي. كتاب الرؤساء. ص ٢٦، ٥٠–٦٢.

١٢) راجع كتاب أدب اللغة الآرامية. ص ١٩٥–٢٠٠.

١٣) طالع عنه الطبري. ص ٣٥٧؛ كتاب الرؤساء. ص ٦٠–٦١؛ السمعاني في م. ش. ١. ص ٣٩٢؛ ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢. ٧١؛ كريستنسن. إيران في عهد الساسانيين. ص ٤٣٤–٤٣٥ و٤٧٢.

١٤) تاريخ كويدي. ص ٢٣.

حروب كسرى الثاني والروم

لم يكن كسرى الثاني من الأشخاص الذين يبيتون على ضيم ولا من الذين ذوى فيهم كل طموح وزال من قلبهم كل جشع. وسرعان ما انقلبت الصداقة التي كانت تربطه بالروم بواسطة زوجته مريم إلى عداء سافر. بل إلى حرب ضروس أعلنها على الروم. وبدأ يقتحم حدودهم ويتوغل في أراضيهم ويستولي على مدنهم الحصينة وقلاعهم المنيعة التي تهاوت الواحدة تلو الأخرى تحت ضربات المتاريس الفارسية.

وكان مصرع الأمبراطور الروماني موريقي على يد «فوقا» سنة ٦٠٢ بمثابة صفّارة إنذار تعلن حالة الطوارئ في البلاد الفارسية. فهب كسرى يتذرع بالانتقام لموريقي القتيل ولابنه تاودوسيوس الشاب ضد مغتصبي عرشه. وأول عمل قام به، هو انه توج الملك الشاب بواسطة الجاثليق الشرقي. ثم توجه إلى مدينة دارا وحاصرها طويلاً إلى أن استولى عليها سنة ٦٠٤. وبذلك انفتح باب المنطقة الرومانية أمامه على مصراعيه. فراحت الجيوش الفارسية تغزو بلاد الروم زاحفة نحو الغرب في حرب لا تبقي ولا تذر، حتى استولت سنة ٦٠٩ على الرها المدينة الحصينة التي لم تطأطئ رأسها أمام الغزاة الفاتحين من قبل.

ولم يضع موت فوقا الغاصب حدًّا لتلك الحرب القاسية. وإذا بالجحافل الفارسية تقف أمام أسوار قيصرية قبدوقية سنة ٦١١. وما عتمت أن انهارت مقاومة المدينة أمام قوة الفرس الهائلة. وجاء دور دمشق سنة ٦١٣. وبلغت الجيوش الفارسية في زحفها الكاسح أمام أسوار أورشليم المدينة المقدسة في صيف سنة ٦١٤. وكان يقود الجيوش الفارسية «فروخان» الذي يسمونه «روميزان»[١٥] الملقب أيضًا بـ«شهر براز» أي خنزير الدولة. واستطاع الجيش الفارسي الدخول إلى المدينة المقدسة من خلال ثغرة أحدثوها في سورها. فأصبحت المدينة عرضة للسلب والنهب[١٦]. وأسروا البطريرك زكريا مع وجهاء المدينة، وأضرموا النيران في كنيسة القيامة والكنائس الأخرى، بتحريض من اليهود القاطنين في أورشليم. أما ذخيرة الصليب المقدس فقد نجت من الحريق بهمة المؤمن يزدين. إلاّ أن هذا الصليب أخذ طريقه إلى الخزائن الفارسية مع بقية النفائس التي سلبها الفرس من بيت المقدس. وسقطت مدينة الإسكندرية المصرية أيضًا في قبضة الفرس الذين فتحوا جميع المدن الكبرى في سورية، حتى ان القائد شهر براز الشهير ضرب

---

١٥) تاريخ كويدي، ص ٢٤.

١٦) الطبري، ص ٢٩١ و٢٩٢ وحاشية ٢.

على شؤون البلاط ، لكي يساعدهم على القيام بمحاولتهم . فلبى رغبتهم وانطلق بصحبة كاهنين وشماسين وجاء إلى العاصمة الفارسية حيث كان الأساقفة بانتظاره . وبواسطة القائد «فروخان». أطلعوا الملك على رغبتهم في تقديم طلب إليه يسترحمونه في انتخاب جاثليق[3] . ولكن الملك ، تحت تأثير الملكة شيرين وجبرائيل السنجاري ، اشترط لقبول طلبهم أن يبرهنوا عن صحة معتقدهم . فاقترح «فروخان» إجراء مناظرة عامة فيها يجيب الأساقفة على الأسئلة التي تُلقى عليهم . وقد وردت تفاصيل عن هذا الاجتماع في التاريخ الذي نشره كويدي[4] ، وحفظ بعض الوثائق في كتاب المجامع الشرقية[5] . أما ممثلو الشرقيين في هذا الاجتماع فكانوا : يوناداب مطرافوليط حدياب[6] ، وشوحالماران مطرافوليط كوخ سلوخ ، وكيوركيس الراهب من جبل ايزلا الذي ورد ذكره قبل قليل ، وأسقف نهر كول ، وأسقف كشكر سرجيس الذي كان من بلدة «تل فخاري» القريبة من واسط . وقد طلب الأساقفة إلى كيوركيس وحنانيشوع أن ينظموا صورة إيمان ليقدموها لكسرى . ويقول تاريخ كويدي[7] باقتضاب ان النقاش جرى في البلاط وقد انتصر فيه الأرثوذكس (أي النساطرة) على جبرائيل وأصحابه ، فأمر الملك طبيبه بالكف عن الإساءة إلى الفريق الشرقي ، ولكن هذا استمر على خطته . إلاّ أن كتاب المجامع الشرقية يزوّدنا بتفاصيل عن هذا النقاش وبالاعتراضات التي قدمها خصوم الشرقيين والأجوبة التي تلقّوها عنها . فبعد مقدمة يكيل فيها الشرقيون المديح والثناء لكسرى الثاني على اهتمامه ليس بالأمور المادية فحسب ، بل بالمعتقد الصحيح أيضًا ، يوردون صورة إيمانهم الشرقي التي تنتهي بكلمات تشير إلى أن هذا الإيمان هو إيمان الكنيسة الفارسية الوطنية ، بينما تعاليم خصومهم هي من مستوردات الأمبراطورية الرومانية ، ويعبّرون عن أمانيهم ان كسرى الظافر على الرومان في حروبه الموفّقة سيجتث جذور الأفكار المستوردة من بلاد الروم .

وعلى أثر هذا الجدال ، قدّم الشرقيون طلبًا إلى الملك فيه يلتمسون بكل تواضع أن

---

٣) الطبري . ص ٢٩٢ و٢٩٩ .

٤) تاريخ كويدي . ص ١٢ ، ١٦ .

٥) المجامع الشرقية . ص ٥٦٢–٥٨٠ والترجمة . ص ٥٨٠–٥٩٨ ، وحاشية ٤ . ص ٦٢٥–٦٣٤ لشابو .

٦) طالع كتاب الرؤساء . ص ٥٠ ، حاشية ٣ .

٧) تاريخ كويدي . ص ١٦ .

يسمح لهم بانتخاب جاثليق لكنيستهم. إلاّ أن الملك ألقى عليهم بعض الأسئلة التي استلهمها من المنوفيزيين والحنانيين وهي:

١. ما هو الإيمان الذي بشّر به الرسل؟
٢. من هي مريم؟ هل هي أم الله أو أم الإنسان؟
٣. هل ثمة معلم قبل نسطوريوس نسب إلى المسيح طبيعتين وشخصين؟

وأجاب الشرقيون على هذه الأسئلة وعلى غيرها، مستشهدين بكتابات بعض الآباء أمثال القديس يوحنا الذهبي الفم والقديسين اثناسيوس وامبروسيوس وحتى قورلس نفسه. ولكن كسرى لم يتخذ قرارًا حاسمًا بشأن هذه الجدالات.

وجاء فصل الصيف وتوجه العاهل الفارسي إلى مقاطعة ماداي ورافقه الفريقان المتنازعان إلى هناك، وساد الصمت على الشؤون الدينية فترة. إلاّ أن حادثًا جرى هناك جدد هذه الجدالات. فقد توقفت القافلة الملكية وقتًا بالقرب من دير سرجيس الذي كان سابقًا في حوزة الشرقيين والذي أعطاه جبرائيل السنجاري للمنوفيزيين أخيرًا، كما مرّ بنا القول. وإذا بكيوركيس وحنانيشوع يثيران قضية ملكية هذا الدير الشرعية. وقد اتسم احتجاجهم بطابع العنف في الأقوال والأفعال. ولكن السنجاري كان واقفًا للشرقيين بالمرصاد. وإذا به يتّهم شوحالماران بتدبير مؤامرة لاغتياله. ويقول عن كيوركيس انه جاحد لدين آبائه ومرتد عن المجوسية، دين الدولة الرسمي. وكان لهذه الأقوال وقع عميق في نفس كسرى. فأمر باجراء التحقيق مع شوحالماران وكيوركيس على الفور. ولا نعلم ماذا جرى لشوحالماران. أما كيوركيس فقد اعترف بشجاعة أمام الملك بكونه مسيحيًا. فاعتقل حالاً. وحينما عاد الملك إلى المداين لقضاء فصل الشتاء، أودعه قلعة مجاورة تسمى «أقراد كوخي» وتسمى بالفارسية «كاروند اكان»[٨]. وبعد أن قضى ثمانية أشهر في السجن، أمر الملك بإعدامه صلبًا. وقد نفّذ الجنود هذا الأمر وأجهزوا عليه بسهامهم، وذلك في «فيه أرداشير» في موضع يدعى «سوق التبن»، في ١٤ كانون الثاني سنة ٦١٢. وتوصل المؤمنون إلى أخذ جسده ودفنه في كنيسة مار سرجيس في «ميركتا» القريبة منساليق[٩]. وقد أحدث استشهاد كيوركيس هزة عنيفة في الأوساط المسيحية، فكف الأساقفة عن المطالبة بإقامة جاثليق على الكنيسة الشرقية...

---

٨) طالع سيرة كيوركيس في بيجان. ص ٥٣٦.
٩) تاريخ كويدي. ص ١٦ و٢١؛ سيرة كيوركيس. ص ٥٣٦-٥٥٨.

وساهم تصرف بعض الرؤساء الشرقيين في تعكير الجو وفي ترجيح كفة الميزان لصالح المنوفيزيين. فقد جرت حوادث في منطقة شهرزور على أثرها هدم «الراد» الفارسي كنيسة للمسيحيين، فثارت ثائرة الأسقف نثنائيل ودفع المسيحيين إلى الثورة على هذا الرئيس وإلى طرده من المنطقة. وكان لهذا التصرف عاقبة وخيمة. فقد رفع «الراد» شكواه إلى ملك الملوك وقال: «انك تحارب للمسيحيين – وهو يشير بذلك إلى مساعدة كسرى لابن موريقي الروماني – وأنا أطرد من قبل المسيحيين». فلم يسع كسرى إلاّ أن يأمر بإلقاء القبض على الأسقف نثنائيل وإيداعه السجن حيث مكث ست سنين، ثم صُلب سنة ٦١٠[٥]. وفي تلك الفترة استحصل يوناداب مطران حدياب على رسالة من الملك تخوّله السلطة على كل المنطقة الجبلية التي كانت قد أصبحت مقرًا للمنوفيزيين. وحتى على دير مار متى الشهير[٦]. إلاّ أن عين جبرائيل السنجاري كانت ساهرة على مصالح المنوفيزيين. واستطاع أن يحبط المشروع قبل البدء بتنفيذه. بل توصل إلى الاستيلاء على دير مار فثيون ودير شيرين الواقعين في منطقة حلوان ووضعهما تحت سلطة المنوفيزيين.

٥) تاريخ كويدي، ص ١٩.

٦) المصدر عينه، ص ٢٠؛ ابن العبري التاريخ الكنسي ٢، ١١١.

الفصل الثاني عشر

الكنيسة الشرقية في نهاية العهد الساساني

الكنيسة الشرقية المترملة

ظلّت الكنيسة الشرقية بدون جاثليق منذ سنة ٦٠٩. فشق ذلك على الأساقفة، لا سيما وان هذا الفراغ أتاح الفرصة أمام خصومهم لكي يزدادوا قوةً وامتدادًا في المملكة الفارسية. فأرادوا أن يقوموا بمحاولة تهدف إلى استرحام ملك الملوك وإلى إقناعه بصدق نواياهم وصحة معتقدهم، لعله يسمح لهم بانتخاب جاثليق لكنيستهم. وقد لعب الراهب كيوركيس دورًا هامًا في هذه المحاولة. وأبصر كيوركيس النور في كشكر سنة ٥٧٥، وكان ابن موظف كبير في الدولة وكان يدعى قبل اهتدائه إلى الدين المسيحي «ميهرام كوشنسف». وقد اهتدى إلى المسيحية مع أخته التي قبلت العماد من يد الجاثليق سبريشوع. أما كيوركيس فقد اقتبل العماد سنة ٥٩٥ من يد شمعون بن جابر أسقف الحيرة الذي لعب دورًا كبيرًا أيضًا في هداية الملك النعمان إلى المسيحية[1]. وبعد أن درس كيوركيس الكتب المقدسة في مدرسة نصيبين، رافق الأسقف شمعون إلى القسطنطينية. ولما عاد منها. انضمّ إلى رهبان الدير الكبير في ايزلا[2]. فإليه لجأ الأساقفة. نظرًا لاطّلاعه

---

١) التاريخ السعردي ٢، ص ١٤٨. ٢١٦.

٢) طالع حياته التي كتبها باباي الكبير ونشرها الأب بيجان في باريس سنة ١٨٩٥. ص ٤١٦ - ٥٧١؛ كتاب العفة، عدد ٥٧.

وتعاليمهم وتعدهم بين صفوف المصلّين والحنانيين وترشقهم بشتّى الحروم وتحذّر الناس من عملهم ودعاياتهم...

وكانت الأزمة التي مرّت بها الكنيسة الشرقية في عهد حنانا الحديابي والانشقاق الذي حدث في مدرسة نصيبين فرصة مؤاتية للمنوفيزيين، رغم أنهم مرّوا هم أيضًا في ظروف حالكة وتعرّضوا لاضطهادات أليمة، وان استشهاد احودامه والظروف التي واكبته جلبت عليهم سخط كسرى الذي منعهم من إقامة خلف لاحودامه. إلاّ أن موت كسرى سنة ٥٧٩ أتاح لهم الفرصة لكي يقيموا مطرافوليطًا للشرق. فانتخبوا قاميشوع الذي كان معلّمًا للكنيسة الجديدة التي أُقيمت لهم بالقرب من البلاط الملكي، بحسب قول ابن العبري[١]. ويردف ابن العبري بقوله ان قاميشوع رسم أساقفة حيثما وجد حاجة إلى ذلك، لأن الأرثوذكس كانوا حينذاك قليلين. ولسنا مطّلعين بكفاية على المراكز الجديدة التي أُعطيت لهؤلاء الأساقفة الجدد. إنما نعلم أن المركز الوحيد الذي كان يشغله مطران كان دير مار متّى. أما مراكز الرها وامد (ديار بكر) وتلموزلت فلم تُعطَ لهم إلاّ في فترة لاحقة، خلال الحرب التي دارت بين الملك الفارسي كسرى الثاني والروم، ابتداءً من سنة ٦٠٣.

فكان إذن دير مار متى وما يجاوره من الأماكن أهم مراكز الإشعاع للحركة المنوفيزية، ومنها انطلق المرسلون إلى شتى أرجاء المملكة الفارسية وامتدوا إلى القبائل العربية العائشة على هامش الامبراطوريتين الفارسية والرومانية. وانتشر نفوذهم في الشمال أيضًا، في منطقة بيث عربايي وفي حدياب. وعرفوا ان يكتسبوا كذلك بلاد أرمينية وجبل ايزلا الذي سرعان ما أصبح معقلاً حصينًا للمنوفيزيين. فكان لا بد للنساطرة من أن يهتموا بهذه الحركة، وأن يحاولوا ايقاف المد المنوفيزي، فأخذوا يؤسسون المدارس في كل مركز هام ويزوّدون هذه المدارس بما تحتاجه من الأساتذة من خريجي مدرسة نصيبين ويمولونها بالأموال الكافية ويهتمون بإعطاء الطلاب ثقافة شرقية أصيلة. ولكن المنوفيزيين حذوا حذوهم في هذا المضمار، إذ أخذوا هم أيضًا في تأسيس المدارس الكثيرة، ابتداءً من منطقة بيث نوهذرا، وفي إقامة الأديرة في أنحاء كثيرة من البلاد.

إلاّ أن الكنيسة الشرقية كانت من المتانة والتنظيم بحيث لم تكن تتأثّر كثيرًا بالدعاية المنوفيزية لو لم تساندها عناصر قوية في البلاط الفارسي. فقد كان دومًا للأطباء تأثير كبير

---

١) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ٢، ١٠١.

على الملوك في كل الأجيال والعهود. فأن هؤلاء الملوك العظام الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أشباه آلهة، كانوا يشعرون بحاجة إلى من يطيل بقاءهم على هذه الأرض ويوفّر لهم السعادة في الصحة. فكانوا من ثمة ينظرون إلى الأطباء نظرة إجلال ويمتثلون أوامرهم صاغرين. وكان في بلاط كسرى الثاني طبيب اسمه جبرائيل السنجاري نال إعجاب الملك وحظوته واكتسب ثقة الملكة شيرين الآرامية التي عالجها فأنجبت ابنًا سمي «مردنشاه»، بعد فترة من العقم كادت تؤدي بها إلى اليأس[٢]. فوضع جبرائيل نفوذه القوي في خدمة القضية المنوفيزية. ويظهر أنه كان في أول عهده منوفيزيًا. ولا عجب في ذلك اذا عرفنا أن سنجار كانت آنذاك تحت التأثير المنوفيزي. إلاّ أنه أصبح بعدئذ نسطوريًا، وقد يكون ذلك للتزوج من امرأة نسطورية تنتمي إلى عائلة شريفة، أو مراعاة للتيار النسطوري الذي كان ذا حظوة في البلاط بواسطة شيرين الملكة التي كانت هي أيضًا نسطورية. فلماذا إذن تخلى جبرائيل عن مذهبه النسطوري وعاد إلى مذهبه الأول؟ إن المصادر المنوفيزية لا تذكر أسبابًا لذلك[٣]. أما النساطرة فإنهم يعزون ذلك إلى أسباب كثيرة، منها أن جبرائيل طلّق امرأته الشرعية واتخذ امرأتين أخريين وثنيتين «وأخذ يعيش معهما عيشة وثنية»[٤]. ولما نصحه الجاثليق سبريشوع ليعود إلى حفظ القوانين الكنسية ولم يعتبر، حرمه. فانقلب جبرائيل ناقمًا على النساطرة وجرّ وراءه الملكة شيرين أيضًا. ولكن قد يكون شيء من المبالغة في التنديد بتصرفات جبرائيل. فان الأقرب إلى الواقع هو أن جبرائيل بحكم احتكاكه المستمر بالبلاط، أخذ يعيش مثلهم مسايرة لرغبات الملك الفارسي الذي طالما اقتضى من الذين يعيشون في بلاطه أن يتخلقوا بأخلاق الفرس وعاداتهم، لا سيما فيما يخص الزواج. ولكن صرامة الجاثليق سبريشوع جعلت جبرائيل ينفر من نظام الكنيسة الشرقية ويعود إلى مذهبه الأول الأصلي. وأخذ من ثمة ينتهز كل الفرص للإيقاع بالنساطرة ومعاكسة خططهم. ودفع الملك إلى إصدار أوامره إلى الجاثليق سبر يشوع برفع الحرم عنه. فرفض الجاثليق الشيخ. ثم وافاه الموت وأنقذ حياته من هذا المأزق الحرج. فانفتح المجال أمام جبرائيل لكي يختار مع الملكة شيرين الشخص الذي يريدانه للجثلقة. فأبعدا غريغور النصيبيني وأقاما عوضه غريغور الآخر الذي سايرهم في آرائهم، بالرغم من ميل كسرى إلى غريغور النصيبيني، كما مرّ بنا القول.

---

٢) التاريخ المغمور لكويدي، ص ١٨.

٣) راجع مثلاً ابن العبري في التاريخ الكنسي ٢، ١٠٩.

٤) تاريخ كويدي. ص ١٨.

الفصل الحادي عشر

تنظيم الكنيسة المنوفيزية في الشرق

ذكرنا سابقًا الدور الفعّال الذي قام به يعقوب البرادعي في نشر المنوفيزية في الشرق بواسطة الأساقفة والكهنة العديدين الذين رسمهم وأرسلهم إلى مناطق مختلفة من الأمبراطورية الفارسية. وقد رسم سنة ٥٥٩ احودامه مطرافوليطًا على المشرق، وكان احودامه رجلاً يمتاز بعلمه وفضائله وغيرته الحميدة على الديانة المسيحية. وقد دفعته هذه الغيرة إلى هداية كثيرين من الوثنيين، وحتى من الذين ينتمون إلى العائلة المالكة. وكان اهتداء أحدهم، الذي عمّده احودامه ودعاه «جورجي»، سببًا أثار سخط كسرى الأول أنوشروان على احودامه، فسجنه مدة وأذاقه مر العذاب. ثم أمر بضرب عنقه. وذلك في ٢ آب سنة ٥٧٥.

إلاّ أن تقدّم المنوفيزيين لم يتوقف. فقد تغلغلوا في طور عبدين كله وجعلوه منطلقًا لدخولهم في البلاد الفارسية. وكانت القبائل الغسانية في الغرب تمدهم بالحماية والعون المعنوي والمادي.

وكان السبايا الرومان قد انتشروا في البلاد الفارسية، ولا سيما في المنطقة الجنوبية، حيث حلّت أعداد غفيرة منهم من جرّاء الغزوات الموفّقة التي قام بها كسرى الأول في المناطق الرومانية. فكان المذهب المنوفيزي يلاقي كل القبول والترحاب بين هؤلاء المسبيين الذين كانوا يشاطرون ملوك القسطنطينية ميلهم وعطفهم على المنوفيزيين. فأخذوا من ثمة يشكّلون خطرًا على الكنيسة الشرقية. ولذلك فقد رأينا ان مجامع هذه الكنيسة تندّد بعملهم

التابع لنصيبين تحت سلطته البطريركية المباشرة ، ولو أن الأساقفة لم يكونوا على هذا الموقف من غريغور الكشكري . فانهم كانوا يعتبرونه بطلاً مجاهدًا في سبيل الحقيقة ويقولون ان سبريشوع بعد اتخاذه موقف العداء من غريغور فقد موهبة اجتراح المعجزات[٢٧] . وينسبون إلى هذا الظلم الذي تعرّض له غريغور أيضًا تمرّد نصيبين وسقوطها بيد قائد الملك كسرى في تلك الفترة ونهبها ومقتل العديد من أشرافها[٢٨] .

الجاثليق غريغور (٦٠٥- ٦٠٩)

لم يظل كرسي ساليق شاغرًا مدة طويلة بعد موت الجاثليق سبريشوع . فبعد أن استولى كسرى على مدينة دارا ، على أثر حصار طويل وجهاد مرير ، عاد إلى العاصمة وأصدر أوامره بعقد مجمع عام للأساقفة بغية انتخاب جاثليق جديد . وكان لبادرة ملك الملوك هذه أعمق الأثر في نفوس المسيحيين ، ردد كتاب المجامع صداها بشكر وامتنان بالغين[٢٩] . وما إن أقبل شهر نيسان من سنة ٦٠٥ ، حتى تم انتخاب جاثليق لكنيسة المشرق ، وهو « غريغور الملفان ومفسر الكتب المقدسة » ، كما يقدمه لنا كتاب المجامع . إلاّ أن انتخابه كان بدء متاعب جمّة للكنيسة الشرقية[٣٠] . وكان غريغور هذا من بلدة تل بسمي في منطقة فرات ميشان . ثم تلقى العلم على شخص اسمه أيشوع ، وأصبح مفسرًا في مدرسة ساليق . وكان الشعب والأساقفة والملك نفسه يريدون غريغور الكشكري مطران نصيبين الذي كان يعيش بعيدًا عن كرسيه . إلاّ أن أتباع حنانا والمنوفيزيين كانوا يرون في غريغور الكشكري خصمهم اللدود . فبذلوا كل جهودهم لإبعاده عن هذا المنصب الخطير ، ودفعوا الملكة شيرين إلى تبني وجهة نظرهم وإلى تعيين غريغور الملفان الذي كان من ميشان موطن الملكة شيرين . وقد نجحت هذه الجهود ، وأُقيم غريغور الملفان جاثليقًا . فاغتاظ الملك من هذا التصرف ، ولكنه رضخ للواقع على مضض . إلاّ أنه أقسم بألاّ يكون جاثليق بعد على كنيسة المشرق ما دام هو حيًا .

---

٢٧) طالع التاريخ المغمور الذي نشره كويدي في م. ك. م. ش. . مجلد ٢ ؛ الكتبة السريان جزء ٢ . سنة ١٩٠٣ . ص ١٧ ؛ كتاب الرؤساء . ص ٤٨-٤٩ .

٢٨) التاريخ السعردي ٢ . ص ١٩٣-١٩٥ ؛ وكتاب العفة . عدد ٥٦ .

٢٩) المجامع الشرقية . ص ٢٠٧-٢٠٨ والترجمة . ص ٤٧١-٤٧٢ .

٣٠) طالع عنه ماري في المجدل . ص ٦٠-٦١ ؛ صليبا . ص ٥٠-٥١ ؛ كتاب الرؤساء . ص ٤٨-٤٩ ؛ ابن العبري . التاريخ الكنسي ٢ . ١٠٨-١١١ ؛ التاريخ المغمور لكويدي . ص ٢٠ .

وانتهز الجاثليق غريغور فرصة حضور الأساقفة لانتخابه. فعقد مجمعًا في الأيام اللاحقة لهذا الانتخاب، في ربيع سنة ٦٠٥ عينها. فجدد المجمع الحروم التي كان سلفه قد رشق بها الأناس الذين يناوئون تعاليم الكنيسة الشرقية. وأعلن تمسكه الشديد بتعاليم تيودوروس المصيصي وبتفاسيره، وفرض استعمال الأنشودات الثلاث التي تنسب إلى الملفان نرساي وهي: الشكر للصالح (تَودي لْطاوا) ونور إشراق المسيح (نوهرا ددِنحِه دَمشيحا) وكلنا بالخوف والوقار (كُلَّنْ بذِحلْتا وايقارا)، وهدد بالحرم الرهبان الذين يرفضون استعمالها والأساقفة الذين لا يرشقون بالحرم هؤلاء الرهبان العصاة. وشجب المجمع أيضًا كل الرهبان أو الراهبات المتشردين الذين يتعاطفون مع تعاليم المصلّين والمنوفيزيين. وكان من بين الذين ذيّلوا أعمال المجمع بتواقيعهم مطرافوليطو الأبرشيات الكبرى الثلاث، فرات ميشان واربيل وبيث كرماي، مع ٢٦ أسقفًا بالإضافة إلى الجاثليق[٣١].

إلاّ أن الجاثليق غريغور لم يترك انطباعًا حسنًا في الكنيسة الشرقية. فقد أصبح جشعه مضرب الأمثال وموضع التندر بين الناس، حتى ان توما المرجي يقول ان المناوئين للجاثليق أخذوا يبثون الدعاية ضده. ومع ان الكاتب المرجي يشجب الطريقة التي فيها تم انتخابه بطريركًا، فهو يقول: «كان عليهم أن ينصاعوا للواقع ريثما يكمل الرب مقاصده أو يقضي غريغور (المفسر) نحبه ويبارح هذا العالم»[٣٢]. ولما توفي الجاثليق غريغور - بين تشرين الأول سنة ٦٠٨ ونيسان ٦٠٩ - استولى الملك كسرى الثاني على أمواله كلها وضمها إلى الخزينة الملكية. وظلت الكنيسة الشرقية بدون جاثليق مدة عشرين سنة، إلى أن اغتيل كسرى الثاني سنة ٦٢٨، كما سنتكلم عن ذلك قريبًا.

---

٣١) المجامع الشرقية. ص ٢٠٧-٢١٤ والترجمة. ص ٤٧١-٤٧٩.

٣٢) كتاب الرؤساء. ص ٤٩.

الجاثليق سبريشوع (٥٩٦-٦٠٤)

لم يحدث موقف ايشوعياب الأول تأثيرًا عميقًا في نفس كسرى الثاني ولم يدفعه إلى معاداة المسيحيين، لأن أفضال الروم عليه ما زالت حديثة العهد. لذلك فقد تبنى سياسة المسامحة تجاه النصارى ومنحهم الحرية في ممارسة دينهم. شريطة أن يتجنبوا الدعاية في صفوف المنتمين إلى الديانة المجوسية الرسمية[١٧]. ولا بد أن زوجتيه المسيحيتين. شيرين الآرامية ومريم الرومانية، قد لعبتا دورًا إيجابيًا لصالح بني مذهبيهما. لذا فقد أحسن إلى الكنائس وشيّد معابد عديدة في البلاد للشهيد سرجيوس الذي يُقال انه ظهر على رأس الجيوش الرومانية المساندة لكسرى. ويقال أيضًا ان كسرى، في حربه ضد منافسه بسطام، رأى في المنام شيخًا جليلاً يحثه على المضي قدمًا في حربه ويعده بالنصر. وقد فسرت له زوجته شيرين هذه الرؤيا وقالت ان الشيخ ليس إلاّ سبريشوع أسقف لاشوم الشهير بقداسته[١٨].

وبعد موت ايشوعياب الأول. اجتمع الأساقفة للانتخابات. ويظهر ان المرشحين للجثلقة كانوا خمسة أشخاص. ولكن إرادة الملك وضعت حدًا لكل تردّد أو جدال. فانتخبوا سبريشوع ونصّبوه بطريركًا في ساليق في ١٩ نيسان سنة **٥٩٦**. وقد حُفظت لنا تفاصيل كثيرة عن سبريشوع في سيرته التي كتبها بطرس الراهب من بيث عابي والتي نشرها الأب بولس بيجان بعد سيرة يهبالاها الثالث[١٩]. ولكبر سن سبريشوع عيّنوا له منذ بدء عهده معاونًا هو «ميلاس» أسقف «شنا» الذي مثّل بعدئذ العاهل الفارسي بالقرب من العرش الروماني في القسطنطينية[٢٠]. وقد استفاد سبريشوع من حظوته لدى الملك الفارسي لتجديد الكنائس المتهدمة في عهد الملك هرمزد ولإنقاذ أسرى كثيرين. وشيّدت له الملكة شيرين ديرًا في مقاطعة فيروزاباد[٢١] (قصر شيرين) ٢.

وحينما بدأ كسرى الثاني حملاته ضد الروم سنة **٦٠٣/٦٠٤**، اضطر سبريشوع، بحسب العادة الجارية، إلى مرافقة الجيوش الفارسية. إلاّ أن الشيخوخة والأمراض أقعدته في نصيبين حيث وافاه الأجل في شهر آب سنة ٦٠٤، بينما كانت الجيوش الفارسية

---

١٧) الطبري، ص ٢٨٧. حاشية ٣.

١٨) ماري. ص ٥٧-٥٨؛ صليبا. ص ٤٩-٥٠.

١٩) في ليبسك سنة ١٨٩٥. ص ٢٨٨-٣٣١، طالع أيضًا أدب اللغة الآرامية. ص ١٨٦.

٢٠) تيسران في م. ل. ك. ١١. عمود ١٨١-١٨٢.

٢١) راجع كتاب الرؤساء في الترجمة العربية. ص ٤٥.

تحاصر مدينة دارا الشهيرة. ودفن الجاثليق في بيث كرماي وقيل في الحيرة. وقد تكون هذه إشارة إلى أن نقل رفاته إلى الحيرة جرى في زمان لاحق[22].

عقد سبريشوع في أول عهده، في شهر أيار سنة ٥٩٦، مجمعًا بحث فيه بعض شؤون الساعة، وشن فيه حملة قاسية على المصلّين وأتباع حنانا الحديابي[23]. وقد أفلح سبريشوع في إرجاع بعض الرهبان الذين كانوا قد انحرفوا نحو بدعة المصلّين وجمعهم في دير برقيطي بالقرب من سنجار ونظّم حياتهم تحت رئاسة شرعية ومنعهم من التشرد في المدن والقرى[24].

وأما الحملة على حنانا الحديابي وتعاليمه فقد تخللها كثير من الملابسات. فان حنانا الذي تولى إدارة مدرسة نصيبين من سنة ٥٧٢ حتى موته سنة ٦١٠، أخذ يجاهر بتعاليم لا تلائم المعتقد الشرقي، ولم يتبع في شروحه كتابات المفسر تيودوروس المصيصي. بل تبع آراء يوحنا الذهبي الفم. وقد أحدث تجدده هذا رجة عنيفة في نصيبين ومدرستها التي ربا عدد طلابها على ٨٠٠ طالب، بحسب قول بعض المؤرّخين. وحدث انشقاق في صفوف الطلبة، بين الموالين له ومناوئيه الذين اضطروا إلى مغادرة المدرسة احتجاجًا على آراء مديرها المستحدثة[25]. لذا فان حملة سبريشوع على حنانا وتعاليمه لم تكن موفقة كل التوفيق، بل كان ثمة أسباب دفعت الجاثليق إلى التخفيف من حدة هذه الحملة. فقد عزل الأساقفة مطران نصيبين جبرائيل بن روفينا، بحجة اشتغاله بالعلوم الفلكية وبالتنجيم، وعيّنوا مكانه غريغور الكشكري[26]، الذي احتل هذا الكرسي بالقوة، وأخذ يعادي حنانا علنًا. فساء ذلك في أعين أشراف المدينة الموالين لحنانا وأطلعوا الجاثليق على الأزمة ورفعوا شكواهم إلى الملك الفارسي الذي أمر بسجن غريغور ثم بإبعاده إلى كشكر موطنه الأصلي. وكان الجاثليق ينظر إلى ذلك بعين الرضى، وقد سبق له أن قام بإجراءات تهدف إلى الحد من نفوذ مطرافوليط نصيبين، إذ وضع رهبان دير برقيطي

---

٢٢) طالع سيرته أيضًا في التاريخ السعردي ٢، ص ١٥٤–١٨٦.

٢٣) المجامع الشرقية، ص ١٩٦–٢٠٠ والترجمة، ص ٤٥٦–٤٦١.

٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٠–٢٠٧ والترجمة، ص ٤٦١–٤٧٠.

٢٥) راجع أدب اللغة الآرامية، ص ١٨٢–١٨٦.

٢٦) ويقول ميخا الذي يستشهد به ايليا النصيبيني ان سبريشوع أسقف لاشوم أُقيم جاثليقًا سنة ٩٠٨ يونانية في يوم خميس الفصح. ويردف قائلاً ان في تلك الأيام أُقيم غريغور مطرافوليطًا على نصيبين (راجع التاريخ الكنسي لابن العبري ٢، ١٠٦، حاشية ٣).

والقوانين التي سنها في سلسلة المجامع الشرقية[١٢]. ويفتتح المجمع أعماله بإسداء الشكر لله على أنه أتاح لهم فرصة هذا الاجتماع وبإطراء مناقب الملك الفارسي هرمزد على لطفه وجودته نحو المسيحيين. ثم يستعرض صورة الإيمان وهي أوضح ما جاء من هذا النوع في الوثائق النسطورية. وبعد ذلك يدافع عن كتب وتعاليم تيودوروس المصيصي ضد الذين يشوهونها ويناقضونها، وهو بذلك يشجب تعاليم حنانا الحديابي مدير مدرسة نصيبين. ويتطرق المجمع أيضًا إلى قضايا عديدة تهدف إلى صيانة حقوق مختلف الفئات في الكنيسة وإلى توجيه الرؤساء والمرؤوسين إلى ما فيه الخير في نظام تام. ومن الجدير بالذكر ان المجمع. في القانون الثلاثين. يوجّه إنذارًا شديد اللهجة إلى شمعون مطرافوليط نصيبين وإلى أساقفته، وإلى غريغور مطران رواردشير وأساقفته، الذين تخلفوا عن الحضور، بوجوب حضورهم لدى البطريرك خلال السنة وإلاّ فسوف يتعرضون للمنع الكنسي. أما في القانون الحادي والثلاثين – وهو الأخير – فيتعهد المجتمعون بحفظ هذه المقررات والعمل بها بأمانة وإخلاص... وفي الخاتمة يستمطر الآباء بركات الله على الذين سنّوا هذه القوانين وعلى الذين يحفظونها. وقد ذيّل البطريرك هذه المقررات بتوقيعه، وحذا حذوه اثنان وعشرون مطرانًا وأسقفًا كانوا حاضرين. وأرسل خمسة أساقفة وكلاء وقّعوا عنهم وخمسة آخرين أرسلوا رضاهم وتواقيعهم كتابة. وهكذا فيكون عدد الموقّعين على هذه القوانين ٣٣ شخصًا.

وهناك الرسالة الهامة التي كتبها ايشوعياب إلى يعقوب أسقف جزيرة داراي. وكان هذا قد وجه إليه أسئلة عديدة تدور حول مختلف الشؤون الليتورجية والإدارية. فيجيبه ايشوعياب طويلاً ويشرح له بعض الأمور الليتورجية ويطلب إليه أن يتصرف نحو الجميع بالرحمة والعطف لحل مشاكلهم على ضوء ما جاء في الكتب المقدسة وما ورد في كتابات الآباء، ويوصيه بالسهر على قطيعه، ويقول انه استقى هذه الأجوبة مما كان قد سجله من الملاحظات القانونية الدائرة في مدرسة نصيبين حينما كان طالبًا ثم أستاذًا فيها. ومن الجدير بالذكر ان الجواب الثامن عشر يتضمن تعليمات خاصة بالوزنات أو المواهب التي تُعطى في الرسامات الكهنوتية لخدام المذبح. فيقول ايشوعياب ان الشماس (أي الشماس الإنجيلي) ينال وزنة واحدة، والكاهن ثلاثًا، والأسقف خمسًا، وهذا منتهى الكمال وملء الكهنوت. وفي الختام يصرّح ايشوعياب بأن الأسئلة التي وجهها إليه يعقوب كانت

---

١٢) المجامع الشرقية ص ١٣٠–١٩٦ والترجمة، ص ٣٩٠–٤٥٥.

٣٣ سؤالاً . إلاّ أنه دمجها ببعضها ولم ير من الضروري الإجابة إلاّ على عشرين منها . أما الأسئلة الأخرى فقد تركها لفطنة سائله وحكمه...

أخيرًا يأتي قانون الإيمان الذي أقره ايشوعياب ، ويستند إلى ما جاء في قانوني نيقية والقسطنطينية ، وهو موجّه أيضًا ضد المعتقدات المناوئة للمذهب الشرقي .

... ولكن سني ايشوعياب الأخيرة لم تمر بهدوء . فلما قضى كسرى الثاني على مناوئيه واستقر بيده زمام الأمور ، خاف ايشوعياب من بطشه . مع ان الجاثليق لم يقم بعمل ضده . إنما كان مهتمًا قبل كل شيء بمصالح كنيسته ولم يرد أن يتدخل في الشؤون السياسية ، لا سيما في تلك الفترة المضطربة التي حاول أشخاص عديدون الاستيلاء على العرش الفارسي بعد الملك هرمزد . فان ايشوعياب لم ينضم قط إلى حركة التمرد والعصيان التي قام بها بهرام ضد وريث العرش الشرعي . ولكنه لم يظهر أيضًا ولاءً خاصًا لكسرى في صراعه ضد خصومه . فهو لم يرد مثلاً أن يرافق كسرى إلى منفاه في بلاد الروم حينما هرب من وجه بهرام ومن جيشه الجرار . ولم يخرج أيضًا إلى استقباله حين عودته ظافرًا إلى العاصمة[١٣] . وكان هناك أناس حاسدون أوغروا قلب كسرى على ايشوعياب ، أمثال الطبيب طيمثاوس النصيبيني . أما الرومان الذين رافقوا الجيوش الفارسية وساعدوا كسرى على استعادة عرشه ، فلم ينسوا الدور الذي كان ايشوعياب يقوم به حين وجوده في ارزن ، وكيف كان ينقل أخبارهم إلى الفرس ، ولذا فلم يتدخلوا في مصالحة العاهل الفارسي الجديد مع الجاثليق .

وازاء هذا الجو المكفهر والضغط المتزايد ، اضطر الجاثليق إلى مغادرة المداين والتوجه إلى الحيرة والاجتماع بالملك النعمان ابن المنذر . وهو ابو قابوس . وكان النعمان قد تنصر حديثًا (سنة ٥٩٣) وصار بعد نفسه من حماة المذهب النسطوري . وأصبحت الحيرة . حاضرة ملكه ، من معاقل هذا المذهب[١٤] . وهناك وافت المنية الجاثليق سنة ٥٩٥ . فتولت شؤون دفنه هند الصغرى أخت النعمان[١٥] . ووُوريَ جثمان الجاثليق التراب في دير جديد كانت هند قد أقامته حديثًا . وينسب كتبة المجدل خطأ إلى ايشوعياب الأول السفر إلى بلاد الروم ، في حين ان الذي قام بهذا السفر هو ايشوعياب الثاني الجدالي . كما سنرى[١٦] .

١٣) التاريخ السعردي ٢ ، ص ١٢٠–١٢٢ .

١٤) طالع المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٨٥ .

١٥) راجع تاريخ الطبري ، طبعة نولدكه ، ليدن ١٨٧٩ ، ص ٣٤٧ و٣٤٩ .

١٦) ماري ، ص ٥٦ ؛ صليبا ، ص ٤٥ .

ولحقته علة في صدره من الغم فمكث أربعين شهرًا بها ومات »[8]. ثم يذكر كيف أن الروم الذين كان قد سباهم أكرموا جسده « على عادة النصارى ».

مهما يكن من أمر، فإن عهد كسرى الأول يعتبر من أمجد العهود الساسانية. فقد بلغت المملكة الفارسية في أيامه مجدًا لم تبلغه قط في كل عهودها، كما أن الثقافة الأدبية والفلسفية أضفت على عهده جمالاً خاصًا. وقد منح النصارى حرية العقيدة منذ الصلح الذي تم بين الفرس والروم سنة ٥٦٢[9].

الملك هرمزد الرابع (٥٧٩–٥٩٠)

خلف هرمزد أباه كسرى الأول على العرش الفارسي سنة ٥٧٩. وقيل ان عدالته فاقت عدالة أبيه أنوشروان. واتفق جميع المؤرّخين الشرقيين على أنه كان كثير العطف على الفقراء والمظلومين، شديدًا على الأشرار والظالمين. وقد تبع سياسة أبيه في خطوطها العريضة. ولكن تسامحه الظاهر نحو المسيحيين عرّضه لحقد رجال الدين الزرادوشتي، بالإضافة إلى حقد الأشراف والرؤساء. وينسب بعض المصادر إلى الملك هرمزد هذا القول الموجه إلى الهرابذة والمجوس: « كما أنه لا قوام لسرير ملكنا بقائمتيه المقدمتين دون قائمتيه المؤخرتين، فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا، فاقصروا عن البغي على النصارى وواظبوا على أعمال البر، ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل، فيحمدونكم عليه وتتوق أنفسهم إلى ملتكم »[10].

ولدى تولي الملك هرمزد العرش الفارسي كانت مفاوضات السلم دائرة بين الأمبراطوريتين الرومانية والفارسية. إلاّ أنها لم تسفر عن نتائج ثابتة فتجددت الحرب ودارت معارك ضارية بينهما. وكان النصر حليف الروم رغم كفاءة القائد الفارسي بهرام جوبين الذي كان قد أحرز انتصارات ساحقة على الترك وعلى الأقوام التي كانت تهدد الحدود الشمالية والشرقية من البلاد الفارسية. وحينما أقاله هرمزد من منصبه، رفع بهرام عليه راية التمرد والعصيان. وكان له مناصرون عديدون. وقامت مؤامرة أخرى دبرها

---

٨) التاريخ السعردي ٢. ص ١٠٤–١٠٥.

٩) طالع عن كسرى الأول وأحوال الدولة الفارسية في عهده. كتاب كريستنسن. ايران في عهد الساسانيين. الترجمة العربية ليحيى الخشاب، القاهرة ١٩٥٧. ص ٣٤٨–٤٢٤.

١٠) كريستنسن. ص ٤٢٦؛ التاريخ السعردي ٢. ص ١٠٤.

بسطام صهر الملك بالاتفاق مع أخيه «بندويه»، فخلعا الملك وسجناه وسملا عينيه وناديا بابنه كسرى الثاني برويز ملكًا على البلاد الفارسية. فلما سمع كسرى الثاني تلك الأخبار - وكان في منطقة أذربيجان مع جيشه - أسرع في العودة إلى المداين لتسلم زمام الأمور، وذلك سنة ٥٩٠. أما هرمزد السجين فقد قُتل بعد ذلك بمدة وجيزة.

إلاّ أن بهرام زحف بجيشه على الملك الجديد وألجأه إلى الفرار نحو الحدود البيزنطية والاحتماء بموريقي ملك الروم. فتولى بهرام إدارة الشؤون الفارسية ونصّب نفسه ملكًا وتقلّد التاج. ولكنه لم ينعم طويلاً بهذا النصر. فقد ساعد موريقي الروماني كسرى وأمدّه بالعون العسكري، على أن يتنازل له عن مدينتي دارا وميافرقين اللتين أخذهما الروم حديثًا في الحرب. وانضم كثير من الفرس إلى القوات المؤازرة لكسرى الثاني من الإيرانيين والروم واصطدمت بجيش بهرام قرب «كنزك» في أذربيجان ومزقتها شرّ تمزيق. واضطر بهرام إلى الهرب واللجوء إلى البلاد التركية حيث لقي حتفه بعد زمان وجيز. وعاد كسرى الثاني منتصرًا إلى عاصمته وقضى على جميع مناوئيه[١١].

الجاثليق ايشوعياب الأول الأرزني (٥٨٢-٥٩٥)

أبصر النور في منطقة بيث عربايي وتلقى العلم في مدرسة نصيبين الشهيرة على ابراهيم بيث ربان، وتضلع من شتى العلوم وتبحر بنوع خاص في الأمور القانونية والليتورجية، وقد أظهر طول باعه فيها بالشروح التي وضعها وبالرسالة الضافية التي وجهها إلى يعقوب أسقف جزيرة داراي في الخليج العربي. وقد أُدخلت في مجموعة القوانين الشرقية (ص ٤٢٤) ... وتولى ايشوعياب إدارة مدرسة نصيبين سنتين (٥٧٩ - ٥٨١) ثم أُقيم أُسقفًا لأرزن الواقعة في الحدود الرومانية الفارسية. واستفاد منه الملك هرمزد الرابع للوقوف على تحركات الجيوش الرومانية. ولذلك أحبه وأظهر رغبته، لدى موت الجاثليق حزقيال، في أن يُقام رئيسًا على كنيسة المشرق. وكان لرغبة العاهل الفارسي ثقلها ضد منافس ايشوعياب، وهو أيوب أحد المنتسبين إلى عائلة نرساي الملفان، وكان إذ ذاك مفسرًا في مدرسة ساليق فأُقيم ايشوعياب جاثليقًا سنة ٥٨٢.

وفي سنة ٥٨٥ عقد ايشوعياب مجمعًا في ساليق. وحفظت مقررات هذا المجمع

---

١١) طالع كريستنسن ص ٤٢٥ - ٤٢٩.

وسامح القسان والشمامسة الذين أسامهم يوسف واقتنع بأن أقامهم قدام المذبح وثنى عليهم صلاة الاستغفار والتمحيض ولم يعد الاسياميذ» . ثم يردف بقوله : «ثم خلط بعد ذلك بعض التخليط مع الآباء واستعمل الجفا في أخلاقه معهم» . ويعزو العمى الذي أصاب حزقيال في سني حياته الأخيرة إلى قصاص من الله حل به لأنه كان يعيّر الآباء ويسميهم عمياناً[3] .

أما أهم الأحداث التي جرت في عهد حزقيال فهي :

بطل الوباء الذي كان متفشيًا في هذه المناطق الشرقية والذي جاء الكلام عنه سابقًا . ويقول صليبا[4] ان مطران باجرمي وأسقف نينوى اتفقا على إقامة صلاة وصوم مدة ثلاثة أيام لكي يرفع الله عنهم هذا الوباء. وأطلعا الجاثليق على نواياهما ، فاستحسن الأمر ، ودعي «صوم نينوى» أو باعوثة نينوى ، على غرار توبة النينويين. واستجاب الله أدعيتهم وقبل صومهم وأبطل الوباء واستراح الأنام .

وفي سنة ٥٧٣ قام كسرى أنوشروان بحملة تهدف إلى حصار مدينة «دارا» الواقعة في لحف جبل بين نصيبين وماردين[5] . فجنّد لها قوات كثيرة ، وتوجّه الجيش بصحبة الملك يرافقه الأشراف والجاثليق حزقيال أيضًا . ولما وصل الجاثليق إلى نصيبين ، خرج المسيحيون إلى لقائه وعلى رأسهم بولس مطرافوليط المدينة . فأكرموا مثواه وبالغ بولس في إظهار الحفاوة للجاثليق ، وخطب في الشعب بعبارات أغاظت الشعب والجاثليق ، بما فيها من تمليق فاضح ومبالغة مفرطة . فأحدث ذلك ردة فعل سيئة في الشعب ، وطلبوا إلى الجاثليق أن يقيل مطرانهم . فوعدهم أن يحقق مطاليبهم لدى عودة الملك من دارا منتصرًا . إلاّ أن المطرافوليط بولس عكف على الصلاة والتضرع إلى الله لكي يأخذ روحه ولا يتعرض لتلك الإهانة . واستجاب الله دعاءه ، فتوفي قبل رجوع البطريرك. أما كسرى فاستولى على مدينة دارا بعد جهاد طويل ومحاولات عديدة وردت أوصافها في المؤرخين السريان والبلدانيين العرب . وكانت هذه الحرب بداية خصومات جديدة بين الفرس والرومان استمرت سنين طويلة .

---

٣) التاريخ السعردي ٢ ، ص ١٠١ ؛ ماري ، ص ٥٤ ؛ صليبا ، ص ٤٤ ؛ التاريخ الكنسي لابن العبري ٢ ، ٩٧ ؛ السمعاني في المكتبة الشرقية ٣ ، ١ ، ص ٤٣٦ .

٤) في المجدل ، ص ٤٣-٤٤ .

٥) راجع معجم البلدان لياقوت الحموي ٢ ، ص ٤١٨ .

وأهم ما قام به حزقيال هو المجمع الذي عقده في شباط سنة ٥٧٦ . وقد حفظت أعمال هذا المجمع في مجموعة القوانين التي نشرها شابو[٦] . وافتتح هذا المجمع أعماله بمقدمة طويلة فيها امتدح الآباء مبادرة السلام الصادرة عن الجاثليق . ثم استعرضوا صورة إيمانهم بالثالوث والتجسد والفداء ، وألمحوا إلى الصعوبات التي اجتازتها الكنيسة في تلك السنين الأخيرة . وسن المجمع ٣٩ قانونًا ، الأول منها موجه ضد بدعة المصلين الذين كانوا يقلقون راحة الكنيسة الشرقية ويندسون بين صفوف المؤمنين والإقليروس في المدن والقرى وحتى في الأديرة[٧] . أما القوانين الأخرى فتتطرق إلى تنظيم الحياة في الكنيسة وإلى إزالة كل تصرّف يسيء إلى النظام الكنسي أو يعرّض الكهنوت إلى الهوان . ووقع أعمال هذا المجمع ومقرراته ثلاثون مطرانًا وأسقفًا ، بالإضافة إلى الجاثليق . وأرسل أربعة أساقفة آخرين رضاهم وتواقيعهم بواسطة وكلاء عنهم . وهناك غيرهم من الأساقفة لم يستطيعوا الحضور في هذا المجمع ولا إرسال تواقيعهم لبعد أمكنتهم ولصعوبة الأسفار أو لأن خبر انعقاد المجمع لم يصلهم في حينه...

... وتوفي الملك كسرى الأول أنوشروان سنة ٥٧٩ ، بعد أن حكم ٤٨ سنة (٥٣١–٥٧٩) ، وأفلح في حروبه مع الروم وأباد دولة الهياطلة التي ضعضعتها حملة كاسحة شنتها عليها قبيلة تركية ، ومد نفوذه على اليمن جنوبًا وطرد منها الأحباش سنة ٥٧٠ . ويروي لنا التاريخ السعردي الحروب الدائرة بين الفرس والروم وما كان لها من نتائج وخيمة على الفرس قائلاً : «لما اتصلت الحروب بين الفرس والروم . قصد أنوشروان نحو بلد الروم بعد ثلاثة أيام من كبسه دارا واخرابها ، فوجد الروم قد اقتربوا من نواحي الموصل (كذا) وباعربايا أكثر من خمسين فرسخًا ، فعظم ذلك عليه وجمع جيشه وقصد الرقة فأخربها وما يجاورها وأخرب قيساربه وأخذ كلّ ما فيها . فلحقه الروم وأخذوا عليه الطرقات وأحاطوا به من كل جانب وكاد أن يحصل في أيديهم . ثم احتال في التخلص وعبر أكثر جيشه الفرات بلا جسر فغرق أكثرهم مع دوابهم ، وأفلت بعضهم عراة ولحق الروم بعضهم فقتلوهم وظفروا ببيت النار الذي كان معه وقد جمع فيه ذخائره كلها فأخذوها وقتلوا ستين قيمًا كانوا فيه وأطفأوا النار بالماء وانصرف من ناحيتهم خائبًا

---

٦) المجامع الشرقية . ص ١١٠–١٢٩ والترجمة . ص ٣٦٨–٣٨٩ .

٧) طالع أدب اللغة الآرامية للمؤلف . ص ١٧٤–١٧٧ .

الفصل العاشر

عهد الاستقرار

الجاثليق حزقيال (٥٧٠-٥٨١)

كان حزقيال تلميذاً لمار آبا الكبير، ثم رقاه هذا إلى أسقفية الزوابي (النعمانية)، لما لمسه فيه من الحزم والذكاء. فقد تعلّم حزقيال الطب وأتقن اللغة الفارسية بالإضافة إلى السريانية[1]. واستفاد كسرى أنوشروان من ذكاء حزقيال. وهو لما يزل أسقفاً للزوابي، فأرسله إلى البحرين واليمامة لاستخراج الجواهر. ونجح حزقيال في مهمته خير نجاح. فنال حظوة لدى العاهل الفارسي الذي أوصى بانتخابه جاثليقاً سنة ٥٦٧ م، كما مرّ بنا. إلاّ أنه لم يمارس مهمته البطريركية حتى موت سلفه يوسف سنة ٥٧٠م. وإذ ذاك اجتمع الأساقفة للانتخاب. ويظهر انهم انتخبوا شخصًا آخر يدعى إيشاي الملفان، ويسميه آخرون «ماري»[2]. إلاّ أن مطران نصيبين وغيره من الآباء تدخّلوا وأصرّوا على إقامة حزقيال المنتخب سنة ٥٦٧م. ورفع الطبيب «نوروزي» المروزي إلى كسرى رغبة الآباء في اختيار حزقيال. فاستحسن الاختيار وأذن لهم بتنصيبه. وجرى ذلك في المداين سنة ٥٧٠م. ويصفه التاريخ السعردي بقوله: «... وكان عارفاً بأمور العالم فهمًا بالعلوم، واستقامت الأمور على يديه ورضي به سائر الناس ومن كان يظهر منه كراهية أيام قترسة يوسف.

١) التاريخ السعردي ٢، ص ٨٦.

٢) ماري في المجدل، ص ٥٤.

المسماة الرومية»[11]. إلاّ أن هذا الحادث جرى في الواقع في نحو سنة ٥٤٠[12]...

وكذا الشأن مع الوباء الذي حدث في السنة العاشرة لكسرى أنوشروان (أي سنة ٥٤٠-٥٤١) والذي طالت مدته أربع سنوات بحسب البعض. وخمسين سنة بحسب غيرهم، والذي انتهى في مطلع عهد الجاثليق حزقيال. وقد أودى هذا الوباء بحياة العديد من السكان، ومن جملتهم يوحنان بيث ربان، أستاذ مدرسة نصيبين، الذي اختطفه الطاعون في نحو سنة ٥٦٧. ويتفق التاريخ السعردي مع ما يسرده ماري وصليبا عن هذا الوباء. فيقول التاريخ السعردي: «حدث الوباء في الناس... وكانت علامة الموت في الإنسان أن تظهر في كفه ثلاث نقاط سود في جوف اللحم مثل الدم، وبينما هو يمشي ينتفخ فمه ويسقط ميتاً، وقوم ينسلخون وينشقون، حتى خلت المدن والقرى من أهلها وبقيت ذخائر الناس وأموالهم مطروحة لا يعرض لها أحد وهرب الناس من موضع إلى موضع حذرًا من الموت... وبدأ الموت بالمساكين وأهل الفاقة فتولى الأغنياء دفنهم. ثم صار في الأغنياء، حتى كان الإنسان إذا خرج كتب رقعة فيها نسبه ومنزله وعلقها في حلقه حتى إذا مات قُرئت وحُمل إلى منزله إن كان بقي له إنسان حي. وربما بقي الموتى في الطرقات أيامًا لا يُدفنون حتى كان يمتنع الناس من سلوك الطرق من روائح الموتى وانتشر ذلك في البلدان كلها... وعظم الأمر في ذلك حتى كان الناس يحفرون لدفن الميت فيموتون على القبر المحفور ويُدفن فيه الذي حُفر له والحافر... وفي هذه الأيام امتحن كسرى بالعلة المسماة الشرعوط أي الطاعون، وكانت الدماء تسيل منه... وعرضت هذه العلة في أهل الإسكندرية حتى صار أهلها كالسكارى من العلة التي تخدر أدمغتهم... وقيل أن ثلثة أنفس ممن استأجرهم صاحب ملك الروم لدفن الموتى حصل لهم من الأجرة من حمل الموتى ودفنهم أربع مائة وخمسين دينارًا، فاجتمعوا لقسمتها بينهم فماتوا لوقتهم... وان يوسف الملقب بالجاثليق صرف همه إلى دفن الموتى المطروحين في الأرض والطرقات، ولا يعرف له جميل غيره... ومن الأمور التي حدثت في هذه المدة الصعبة أن المدينة المسماة طريفوليس (طرابلس) على البحر سقطت وصارت قبرًا لأهلها...»[13].

---

١١) التاريخ السعردي ٢. ص ٩٠؛ ماري. ص ٥٣؛ صليبا. ص ٤٢؛ ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢. ٨٦، ٨٨.

١٢) راجع تاريخ الرها في المكتبة الشرقية للسمعاني ١. ص ٤١٦.

١٣) التاريخ السعردي ٢. ص ٩٠-٩٤.

وهكذا نرى أن التاريخ السعردي يروي أحداثًا كثيرة جرت في فترات متقاربة في منتصف القرن السادس و يضمّ بعضها الى بعض و يضعها في عهد يوسف الجاثليق. إلاّ أن بعضًا منها جرى قبل عهده، منذ سنة **٥٤٠**، وغيرها، مثل انهيار مدينة طرابلس، جرى في عهده، حسبما يرويه لنا يوحنا الآسيوي وابن العبري[١٤]، أي في نحو سنة **٥٥٩**. وكذا القول عما يرويه التاريخ السعردي عن الجدال الذي دار بين الشرقيين وأتباع سويريوس الأنطاكي في القسطنطينية في أيام يوستنيانس. فإن هذا الجدال جرى في الحقيقة سنة **٥٣٣**، أي قبل عهد يوسف الجاثليق بنحو عشرين سنة[١٥].

١٤) طالع تاريخ يوحنا الآسيوي في لاند. الطوائف السريانية ٢. ص ٣٢٦؛ التاريخ السرياني أو المدني لابن العبري. طبعة بيجان. باريس ١٨٩٠. ص ٨١.
١٥) التاريخ السعردي ٢. ص ٩٥. حاشية ٦.

غمًا وأسى. وتمادى يوسف في شره. فطرد أسقف الزوابي (النعمانية) عن كرسيه. وكذلك فعل بمار مالخ أسقف داربجرد في مقاطعة فارس[9].

فطفح الكيل واستقبح الأساقفة تصرفات الجاثليق فوجهوا إليه رسالة مشتركة يطالبونه بالكف عن الإساءة إلى الإقليروس وبالتمسك بالقوانين المجمعية. ولكن يوسف لم يعرهم أذنًا صاغية، بل ازداد في غيه وطغيانه. وقد أرسل إليه الأساقفة وفودًا ثلاث مرات يطلبون إليه الكف عن تصرفاته، ولكنه استخف بالوفود وأساء معاملتهم. حتى انه أخذ يتهم المسيحيين لدى السلطات الفارسية... فاضطر الأساقفة حينئذٍ إلى عقد مجمع فيه قرروا إقالة الجاثليق من منصبه. وتوصل الأساقفة إلى إسماع أصواتهم لدى البلاط، وأرسلوا إلى الملك طبيبًا من نصيبين يدعى موسى أو نرسي. فجاء هذا ووقف بين يدي الملك وضرب له مثلاً قائلاً: «ان بعض الملوك استدنى رجلاً مسكينًا وآنسه ثم وهب له فيلاً من فيلته، فأخذه الرجل ومضى إلى بيته، وكان باب داره صغيرًا فلم يدخل فيه الفيل، ولا كان في يده ما يطعمه. فبقي ذلك المسكين متحيرًا في أمره. فعاد إلى الملك والفيل معه وسأل أصحاب الملك أن يستعفوا له من الفيل وأن يسألوا الملك إقالته منه، لأنه كان رأى فيه أمورًا فخاب فيها وذلك ان بيته لا يسعه وبابه لا يدخله وطعمه لا يمكنه. فقبل وأقاله. فلما سمع الملك قول موسى النصيبيني، تبسم وعلم معنى المثل. ثم قال موسى: نحن المساكين وهذا فيلنا الذي وهب لنا الملك قدرنا فيه وفي رئاسته علينا ما خابت آمالنا فيه. فلينعم الملك بإقالتنا منه ونحن شاكرون للملك. فأمر بعزله ومنعه من تدبير النصارى»[10]. وكان ذلك سنة ٥٦٧. واجتمع الأساقفة وانتخبوا حزقيال أسقف الزوابي. ولكن المعارضة ظهرت بين صفوف الأساقفة والمؤمنين. إذ أخذ البعض يتحزبون ليوسف ويصرون على إبقائه جاثليقًا. وحينما رأى كسرى ذلك، أمر بإيقاف تنصيب الجاثليق المنتخب حتى موت يوسف. وظل ماري أسقف كشكر يدير الأمور طيلة ثلاث سنين، فيما بذل يوسف قصارى جهده للدفاع عن منصبه وسلطته بكتابات عديدة تهدف إلى إثبات السلطة العليا لكرسي ساليق وللشخص الجالس عليه. إلاّ أن هذه الكتابات لم تجده نفعًا. فقد ظلّ منبوذًا حتى موته ٥٧٠، وأسقط اسمه من لائحة الجثالقة.

---

٩) ماري في المجدل، ص ٥٣.

١٠) التاريخ السعردي ٢، ص ٨٨؛ ماري، ص ٥٣؛ صليبا، ص ٤٢.

حالة المسيحية في عهد الجاثليق يوسف

لم يحدث اضطهاد سافر على المسيحيين منذ موت مار آبا. ولكن هذا لا يعني ان المسيحيين كانوا ينعمون بالسلام والحرية الكاملة في جميع مناطق الأمبراطورية الفارسية. فأعمال الشهداء تشير إلى الحظر الساري على المزديين من اعتناق الديانة المسيحية. فلا يحق للمسيحيين أن يقوموا بأية دعاية أو أي تبشير بين صفوف الوثنيين، لا سيما في الأُسر الإيرانية العريقة. وكل مخالفة تلقى عذابًا صارمًا. ولنا خير دليل على ذلك في قصة الشهيدة شيرين التي أبصرت النور في كرخ سلوخ في حضن أُسرة مزدية، ثم اعتنقت الدين المسيحي وقبلت العماد المقدس من يد الأسقف يوحنا. وحينما بلغ الأمر إلى «راد» المدينة، ألقى القبض عليها واستاقها إلى الملك في حلوان وقُتلت في ساليق في ٢٨ شباط سنة ٥٥٩ ونُقلت رفاتها إلى منزل رجل مؤمن من لاشوم اسمه «باطي».

وهناك شهداء آخرون كثيرون قُتلوا في فترات قريبة من استشهاد شيرين. وكانت القوانين الفارسية تمنع المسيحيين من إقامة كنائس جديدة وتقبل بوجود القديمة منها فقط. وهذا ما يشير إليه من طرف خفي القانون الثاني من مجمع يوسف لسنة ٥٥٤. إلاّ أن حالة المسيحيين تحسّنت كثيرًا في البلاد الفارسية حينما تطورت الهدنة التي اقترحها كسرى الأول سنة ٥٥٥ على الملك الروماني يوستنيانس إلى معاهدة صلح سنة ٥٦٢ أُبرمت لمدة خمسين سنة، فيها تنازل الفرس للرومان عن مقاطعة «لازيق» لقاء ضريبة باهظة تُدفع لهم سنويًا، وتعهدوا بمنح الحرية الدينية للمسيحيين شريطة ألاّ يعكفوا على التغلغل بين المزديين وأن يتجنبوا الدعاية الدينية.

آفات وكوارث

هناك أمور عديدة ومصائب كبيرة حدثت في القرن السادس. ويظهر ان التاريخ السعردي يريد أن يضعها جميعًا في عهد الجاثليق يوسف لتسويد صفحة أعماله.

ومن جملة هذه الأحداث، يذكر التاريخ السعردي احتلال كسرى أنوشروان لمدينة أنطاكيا في عهد الملك يوستنيانس ويقول: «وفي هذه المدة المذمومة قصد كسرى أنوشروان أنطاكيا والملك على الروم في ذلك الوقت يوسطانس. فسباها وأهلها وحملهم إلى المداين وبنى لهم مدينة على شكل أنطاكيا وسماها انطياخسرو وأسكنهم فيها وهي

٦. وتسمى هذه الوثيقة «العملية» (براقطيقي) وهي تتطرق إلى القوانين العملية الخاصة بالخلافة على الكرسي الجاثليقي بعد موت مار آبا. فهي تبعد عن هذا المنصب كل شخص محروم أو مذنب أو طماع أو أناني أو جشع أو كل من يفضّل اللذة على محبة الله. ثم تحدد الوثيقة كيفية انتخاب البطريرك: يتفق أساقفة الأبرشية البطريركية ويستقدمون مطارنة الأبرشيات الأربع الكبرى بيث لافاط، فرات ميشان، اربيل وبيث سلوخ، أو على الأقل ثلاثة من هؤلاء المطارنة. ويصطحب كل مطران ثلاثة من أساقفته ويأتون إلى الانتخاب ويتفق الجميع على انتخاب شخص بعيد عن كل خبث وثابت في السهر على الإيمان الصحيح وغيور على العقيدة الأرثوذكسية ومتمسك بالقوانين لكي يدير بحكمة وطهارة وقداسة. ثم تتم رسامته في كنيسة كوخي بحسب تقليد الآباء القديسين ويقيمونه على كرسي الجثلقة.

وعدا هذه الوثائق المجمعية، سَنّ مار آبا الكبير أربعين قانوناً تتناول المسائل العملية وتنظّم شؤون الكنيسة وواجبات رعاتها والتزامات المؤمنين[٤].

وقد أسّس مار آبا أيضًا مدرسة في ساليق أصبحت من المراكز الهامة للثقافة الدينية واللغوية.

الجاثليق يوسف (٥٥٢–٥٧٠)

رغم الإصلاحات الهامة التي أجراها مار آبا الكبير في كنيسة المشرق والقوانين الكثيرة التي سنها لمنع كل اضطراب وفوضى في الرئاسة، فإن خلفه لم يكن على مستوى المسؤولية الكبرى التي أُنيطت به. فهو لم يتسم بصفات الرئاسة والإدارة، إنما كان مختصًا بالطب، وقد درسه في بلاد الروم حيث قضى معظم حياته السابقة لفترة الجثلقة. ولدى عودته من بلاد الروم. قدم إلى نصيبين فأقام في دير هناك مدة واتصل بمرزبان المقاطعة الذي أكرمه بسبب لباسه ومهنته[٥]. وقد جعلته مهنة الطب في احتكاك بالبلاط الفارسي وأفلح في معالجة كسرى أنوشروان. ولذا فقد أظهر كسرى رغبته في إقامة يوسف خلفاً لمار آبا المتوفى. فانتخبه الأساقفة نزولاً عند رغبة العاهل الفارسي في أيار سنة **٥٥٢**. ولما

٤) المجامع الشرقية، ص ٥٤٥–٥٥٠ والترجمة. ص ٥٥٥–٥٥٩: طالع أيضًا حياة مار آبا الكبير التي نشرها بيجان في باريس سنة ١٨٩٥، مع حياة مار يهبالاها الثالث (ص ٢٠٦–٢٧٤). وفي ذيلها رسالة مار آبا (ص ٢٧٤–٢٨٧). وقد ترجم المؤلف حياة مار آبا إلى العربية ولكنها لم تُنشر حتى الآن.

٥) طالع التاريخ السعردي ٢، ص ٨٤.

أراد الأساقفة عقد مجمع في بدء عهده، ماطلهم يوسف سنتين متذرعًا بشتى الحجج التي نجد إشارات إليها في القوانين التي سنها مجمعه الذي عُقد سنة ٥٥٤. وكان عددها ٢٣ قانونًا تدور حول صورة الإيمان وتنظيم الشؤون الكنسية وتحديد سلطات البطريرك والأساقفة والتحذير من تدخل العلمانيين، لا سيما الغرباء، في الأمور الدينية والإدارة الكنسية. وكان بعض هذه القوانين موجهًا بصورة واضحة إلى الحد من طموح البطريرك وإلى تحديد سلطاته على الأبرشيات الأخرى. وقد وقّع مقرّرات هذا المجمع. بالإضافة إلى الجاثليق يوسف. ٣٦ مطرافوليطًا وأسقفًا. منهم ١٨ حاضرين و ١٨ غائبين أُرسلوا رضاهم وتواقيعهم. أما يوحنان مطرافوليط فرات ميشان فقد تخلّف عن المجيء، ومع ذلك حفظت له المرتبة الثالثة بين المطرافوليطين، بعد مطرافوليطي بيث هوزايي ونصيبين. ومن الجدير بالذكر ان مجمع يوسف يرتب الكراسي الكبرى على هذا المنوال: ١) بيث هوزايي؛ ٢) نصيبين؛ ٣) فرات ميشان؛ ٤) حدياب؛ ٥) بيث كرماي؛ ٦) روارداشير؛ ٧) مرو. وعلى رأسهم الجاثليق الجالس في ساليق وقطيسفون[٦].

وظنّ الجميع أن الأمور ستسير سيرًا حسنًا بعد هذا المجمع. إلاّ أن الأيام فضحت نوايا الجاثليق وأظهرت أساليبه التعسفية، مستندًا في ذلك إلى قوة ملك الملوك وأصدقائه العلمانيين النافذين في البلاط الفارسي. وإذا به ينقلب مضطهدًا للأساقفة والكهنة. «فطرد الأساقفة والمطارنة عن كراسيهم ووثب على القسان وشدهم بالأرسان وابتنى لهم المعالف وملأها من الأتبان وقال لهم اعتلفوا ذلك فانكم حيوان بغير تمييز ولا بيان. ثم صار يحلق رؤوسهم ويصفعهم – لعنه الله – ويضحك هو السخيف العقل الجاهل المعثر ويقهقه»[٧]. ولم يكتف بالإساءة إلى الكهنة، بل أدت به الجسارة إلى إهانة الأساقفة أيضًا. فحبس شمعون أسقف الأنبار بمعاضدة مرزبان مقاطعة بيث أرامايي. فاضطر شمعون «لطول مكثه في الحبس إلى أن اتخذ في الموضع الذي هو فيه مذبحًا يقدس عليه في يوم عيد ويوم أحد ويتقرب. فدخل إليه الطاغي يوسف يومًا وقد قدس الرهبان (القربان؟). فقبل أن يتقرب به أخذه يوسف من المذبح ووثب على الأسقف ثم داس القربان برجله النجسة الطفسة وأهرق الكأس على الأرض...»[٨]. وقد قضى شمعون نحبه في السجن

٦) المجامع الشرقية. ص ٩٥-١١٠ والترجمة. ص ٣٥٢-٣٦٧.

٧) التاريخ السعردي ٢. ص ٨٥؛ ماري في المجدل. ص ٥٣؛ صليبا. ص ٤٢.

٨) التاريخ السعردي ٢. ص ٨٥-٨٦.

وإلى القسطنطينية بغية تعلّم اللغة اليونانية ، عاد إلى نصيبين حيث أُقيم أستاذًا في مدرستها حتى انتخابه جاثليقًا سنة ٥٤٠ . وما إن أخذ بزمام الرئاسة حتى راح يصلح بهمة ونشاط كل الفساد الذي تسرب في الأنظمة الكنسية . وبدأ جولته الراعوية في خريف هذه السنة عينها ، يرافقه فيها تسعة أساقفة . فذهب إلى فرات ميشان ، ثم إلى هرمزارداشير ومنها إلى روارداشير حيث أقال الأسقف آقاق . ومن هناك توجه إلى شوشتر حيث كان أسقف غير شرعي يسوس الأمور الكنسية ، فرده مار آبا إلى خدمته الكهنوتية وانطلق إلى بيث لافاط حيث كان شخص جاحد قد اغتصب لقب المطرافوليط ، فحرمه مار آبا وعزله[٢] . ولما لم يتمكن من الذهاب إلى منطقة سجستان ، قرر ، بالاتفاق مع الأساقفة معاونيه ، ان يقسموا هذه الأبرشية بين أسقفيها ، على أن تُعاد إليها وحدتها حالما يموت أحد الأسقفين . ثم أكد مار آبا سلطته المباشرة على الأبرشيتين الكبريين نصيبين وبيث لافاط ، واختص نفسه بحق إقرار وتثبيت مطارنتها .

ولكن هذا النشاط الرسولي أقض مضاجع المجوس . لا سيما وان مار آبا هدى منهم خلقًا كثيرًا إلى النصرانية في أرزن وفي مناطق أخرى من الأمبراطورية الفارسية . وكان المجوس يعتبرونه دومًا جاحدًا مرتدًا عن ديانة آبائه وعن دين الدولة الرسمي . وتوصلوا إلى دفع الملك كسرى الأول أنوشروان إلى نفيه إلى بلدة « كنزك » الواقعة في منطقة نائية من أذربيجان . ومكث هناك سبع سنين إلاّ أن هذا الإبعاد لم يثنِ البطريرك العظيم عن نشاطه . فقد ظل يدير شؤون الكنيسة من هناك برسائله الراعوية وبالاجتماعات التي كان يعقدها مع المتقاطرين إلى زيارته في منفاه ، وما أكثر المسيحيين الذين تجشموا مشاق هذا السفر الطويل للالتقاء براعيهم العظيم .

وحينما أحس مار آبا ان مؤامرة تُحاك لاغتياله هناك ، فرّ قاصدًا المداين وظهر أمام الملك على حين غرة ، وطلب منه أن يبت هو في أمره وألاّ يدعه عرضة لظلم أناس مغرضين يضمرون العداء للمسيحية . ولكن الملك أظهر نحوه تسامحًا كبيرًا وحماه من كيد المجوس وأعوانهم وأكرم مثواه ، لا سيما بعد أن عاين إخلاصه وعمله السلمي في مشكلة تمرد أثارها أحد أبنائه عليه في منطقة بيث لافاط . وقضى مار آبا أيامه الأخيرة متمتعًا بحرية نسبية ، إلى أن وافته المنية في ساليق في الجمعة الثانية من الصوم الكبير الواقعة في ٢٩ شباط سنة ٥٥٢ .

---

٢) المجامع الشرقية . ص ٦٨ - ٩٥ والترجمة . ص ٣١٨ - ٣٥١ .

أما الأعمال الجليلة التي قام بها هذا الجاثليق الهمام فهي كثيرة تدور حول تنظيم شؤون الكنيسة وترتيب طقوسها. ورغم الاضطراب الذي تعرّض له في حياته، فقد نقل كتابات كثيرة إلى السريانية ووضع غيرها لفائدة المؤمنين. ولكن عظمة مار آبا تظهر خصوصًا بالقوانين التي سنها للكنيسة وبالحلول التي قدمها للمشاكل الكثيرة التي خلقها أسلافه الجثالقة. فقد عقد مجمعًا سنة ٥٤٤ فيه سنّ ست وثائق هامة:

١. تدور الوثيقة الأولى حول الإصلاحات التي أجراها في شتى الأبرشيات التي كان قد تسرّب فيها كثير من الاضطرابات والمنافسات على السلطة. فبدأ حملة، كما قلنا، استهدفت إعادة النظام والسلطة إلى أصحابها الشرعيين. وقد لاقى مار آبا صعوبات جمّة في إعادة الأمور إلى حالتها الطبيعية بعد تلك الفوضى التي كانت قد ضربت أطنابها في الكنيسة الشرقية.

٢. تتطرّق الوثيقة الثانية إلى الإيمان الأرثوذكسي مستعرضة صورة هذا الإيمان[٣] التي تظهر لنا صحيحة التعابير في خطوطها الكبرى فيما يخص الاعتراف بالثالوث وبوحدة الشخص في يسوع المسيح الذي هو إله واتخذ الطبيعة البشرية التي بها احتمل الآلام والموت فداءً عن البشر.

٣. وفي الوثيقة الثالثة يحاول مار آبا إصلاح ما فسد في أخلاق الرؤساء الكنسيين وفي تصرفات المؤمنين، فيقدّم للجميع التقوى وخوف الرب كأساس للحياة الروحية وللعيشة الصالحة، ويحذّر الإقليروس من التدخل فيما لا يعنيهم ومن إثارة الفتن بين العلمانيين وبين بعضهم، ويمنعهم من تسلم إدارة الشؤون المادية والتفرغ لها. ثم تتطرق الوثيقة إلى الزواجات غير الشرعية التي أقدم عليها المسيحيون أسوة بالمجوس وباليهود، فتمنع تعدّد الزوجات والاقتران بمن يأباه الشرع الطبيعي من جراء القرابة الدموية.

٤. تلغي هذه الوثيقة ما جرى إبّان فترة الرئاسة المزدوجة في كنيسة المشرق، فتبطل الجاثليقين نرساي واليشاع كليهما من الرتبة البطريركية وتسقطهما من لائحة الجثالقة، وتبطل أيضًا كل ما جرى بينهما من الحرومات المتبادلة وتنظّم شؤون المطارنة الذين أُقيموا على الأبرشيات خلال هذه المدة المضطربة.

٥. ترتب هذه الوثيقة الشؤون الخاصة بأبرشيتي نصيبين وبيث لافاط وتخضعها مباشرة لسلطة الجاثليق الذي بدونه لا يجوز إقامة مطرافوليطين لهاتين الأبرشيتين.

---

٣) المجامع الشرقية. ص ٥٤٠-٥٤٣ والترجمة. ص ٥٥٠-٥٥٣.

النور والديجور

إن حيوية الكنيسة منوطة برؤسائها الذين عليهم تقع مهمة إدارة دفتها وتنظيم شؤونها. وقد اجتازت الكنيسة الشرقية فترة مظلمة دامت أكثر من ربع قرن، فيها سادت الفوضى والمنافسة على الرئاسة التي أصبحت زعامة تستغل للمصالح البشرية وليست خدمة تتطلّب الكثير من السخاء في المحبة.

الجاثليق مار آبا الكبير وإصلاحاته (٥٤٠–٥٥٢)

كانت سنة ٥٤٠ بدء عهد مشرق ومطلع فجر جديد لكنيسة المشرق. ففي هذه السنة تمّ انتخاب مار آبا الكبير جاثليقاً عليها. وتجمع المصادر على إطراء مناقب هذا الرجل العظيم والتحدث عن سيرته الفاضلة وأعماله الإصلاحية المجيدة[1].

أبصر مار آبا النور سنة ٤٩٠ في قرية «حالا» من أعمال رادان الواقعة جنوبي جبال حمرين على الشاطئ الشرقي من دجلة بين نهري ديالى والعظيم، وتربّى في الديانة المزدية وتقلّد وظيفة مرموقة في الدولة. ولكن النعمة مسته بواسطة تلميذ من مدرسة نصيبين يُدعى يوسف الملقّب بموسى. فاهتدى إلى النصرانية وعكف على ارتشاف العلوم الدينية في مدرسة نصيبين. وبعد أن قام بأسفار تبشيرية في منطقة أرزن وأخرى إلى الاسكندرية

١) طالع كتاب أدب اللغة الآرامية. ص ١٤٢–١٥١.

الشرق. وكان يعقوب ابن كاهن من تلموزلت، وقد ترهب في دير بالقرب من نصيبين، ثم جاء إلى القسطنطينية سنة ٥٢٨ مع جحافل الرهبان لينعم بحماية تيودورة. وما ان سيم مطرانًا، حتى أخذ يطوف في المناطق الشرقية ويرسم أساقفة وكهنة وشمامسة عديدين، حتى قيل انه رسم ١٢٧ أسقفًا وبطريركين ونحو مائة ألف إكليريكي على مختلف درجاتهم. وبفضله استطاعت الكنيسة المنوفيزية أن تنظم شؤونها وتستعيد نشاطها وتستمر على البقاء في هذه البلدان. ولقد مارس يعقوب عمله هذا في هذه الأصقاع وحتى في مصر حيث دفع تيودوسيوس البطريرك المعزول إلى رسامة اثني عشر أسقفًا لمصر، وجاء هو يعقوب نفسه إلى الإسكندرية حيث رسم أسقفين آخرين.

وهكذا كانت حياة يعقوب كلها نشاطًا زاخرًا بذله بسخاء في سبيل إحياء كنيسته وإعلاء شأنها في تلك الظروف القاسية. واستحق أن يحتلّ موضع الصدارة بين الذين عملوا في نشر المنوفيزية في الشرق، حتى انتسب أبناء هذا المذهب إليه عهدًا طويلاً، فعرفوا «باليعاقبة». إلاّ أن هذه التسمية باتت غير مرغوبة في هذا العصر وحلّ محلها اسم «السريان الأرثوذكس»[7].

سمعان الأرشمي (+ قبل ٥٤٠)

رغم الجهود التي بذلها برصوما النصيبيني في إرغام الناس على اعتناق المذهب النسطوري، واستخدام القوة في سبيل البلوغ إلى تحقيق مآربه، فقد ظلّ قوم منهم متعلقين بالأفكار المنوفيزية. ونجد نفرًا منهم في نصيبين ذاتها، وحتى بين مصاف الأساقفة كما مر بنا. إلاّ أن الموجات المنوفيزية الهامة تدفقت على البلاد الفارسية إبّان الاضطهاد الذي شُنّ عليهم في بلاد الروم في نحو سنة ٥٢٠ أو ٥٢١.

وهناك شخص لعب دورًا هامًا في نشر المنوفيزية في المناطق الفارسية منذ مطلع القرن السادس، وهو سمعان الأرشمي الذي يُعدّ من أكبر المناضلين في سبيل توطيد دعائمها في الشرق[8]. وبالاضافة إلى المصادر السريانية، هناك مصادر أخرى أرمنية تلقي بعض الأضواء على هذه الفترة من انتشار المنوفيزية في الشرق وعلى نشاط الأرشمي الزاخر.

---

٧) طالع عنه أدب اللغة الآرامية. ص ٢٤٥-٢٤٨.

٨) طالع عنه: يوحنا الأفسسي في الباترولوجية الشرقية ١٧. ١. ص ١٣٧-١٥٨؛ تاريخ ميخائيل السرياني ٢، ص ١٦٥-١٦٧؛ السمعاني في م. ش. ١. ص ١٤١-٣٨٦؛ البطريرك يعقوب الثالث. الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية. دمشق ١٩٦٦.

ويظهر ان مدينة الحيرة كانت المسرح الرئيسي لهذا النشاط ، لما كانت تنعم به مع أمرائها المناذرة من الحكم الذاتي ولقربها من الحدود الرومانية ، مما يسهل الفرار منها إلى بلاد الروم وقت الاضطهاد. فسمعان الذي رُسم مطرانًا في نحو سنة ٥١٠ لم يكن له مركز أبرشية ثابت. إنما نسب إلى بيت أرشم. البلدة القريبة من المداين. لكونها مسقط رأسه ليس إلاّ. وقد اكتسب سمعان عطف بعض الأشراف في الحيرة فبنوا له فيها كنيسة ، رغم وجود أسقف نسطوري فيها. إلاّ أن الاضطهادات كانت متوقعة دومًا. فتارة يتجنبها سمعان بتنكره وبتغيير زيه ، وطورًا بفضل رسالة من الأمبراطور الروماني انسطاس إلى العاهل الفارسي. ولكنه وقع أحيانًا في قبضة أعدائه فحجر عليه في سجن نصيبين طيلة سبع سنين ، حتى تدخل ملك الحبشة وتشفع فيه فأنقذه.

واشتهر سمعان خصوصًا بجدالاته مع النساطرة[٩] ، حتى انه لُقِّب «بالمجادل الفارسي» (داروشا فارسايا). وأفلح في الحصول على مجموعة هامة من صور الإيمان صادرة عن أناس ينتمون إلى شتى الطبقات والفئات ، ليظهر بذلك أن مذهبه جدير بالاحترام ، وانه ليس مذهب الأقلية الضئيلة ، كما كان يدعيه خصومه النساطرة أمام الملك الفارسي...

وقد قيل الكثير عن تنقلاته المفاجئة وحضوره في الوقت المناسب في الأمكنة اللازمة ، وعن جدالاته العديدة ونشاطه التبشيري الذي امتدّ حتى إلى البلدان الأرمنية وبلاد الروم ، بالإضافة إلى البلاد الفارسية بطولها وعرضها. وأدّى المطاف به إلى العاصمة البيزنطية حيث مكث سبع سنين (٥٢٤–٥٣١). ثم جاءها مرة أخرى واستوقفته الملكة تيودورة سنة أخرى هناك. ويُقال انه توفي بعد سنة ٥٣٣ ، وقبل سنة ٥٤٠ على كل حال.

ومهّد سمعان بعمله هذا لما سيقوم به يعقوب البرادعي واحودامه وغيرهما من الذين نشروا المذهب المنوفيزي في البلاد الفارسية في القرن السادس.

* * *

وهكذا فإن العنف والاضطهاد عاجزان عن القضاء على الأفكار والمعتقدات ، بل من شأنهما أن يخلقا غالبًا ردة فعل عنيفة تؤدي إلى التصلب في المواقف. وقد يكون هذا التصلب على حساب الحقيقة والمحبة ، ويا للأسف.

---

٩) راجع أدب اللغة الآرامية. ص ٢٤١–٢٤٣.

الرهبان يوحنا الآسيوي أو الأفسسي أو الآمدي الذي كان يتقن اللغتين السريانية واليونانية ، وكان قد أتى إلى العاصمة إبّان موجة الاضطهاد الذي أثاره يوستينس على المنوفيزيين سنة ٥٢١ . فتطوع يوحنا لكي يذهب ويشتغل في هداية الوثنيين المتبقين في نواحي أزمير وأفسس . وقد أفلح في هذه الرسالة ، حتى انه ، على حد قوله ، بعد سنوات قلائل ، لم يبقَ وثني واحد في آسيا الصغرى . وكان الملك نفسه يزوّد المهتدين بالحلل والنفقات اللازمة للعماد . ويظهر أن يوحنا لم يحاول تلقين المهتدين التعاليم المنوفيزية الخاصة . وكان يوحنا قد اقتبل الرسامة الأسقفية كمطران على أفسس وأُعطي صلاحيات واسعة جدًا على آسيا الصغرى برمّتها . وكان نفوذه كبيرًا حتى في العاصمة حيث لاحق الوثنيين وأراد اجتثاث جذورهم منها . وقد قضى على عدد منهم بقوة السلطة المدنية . وتجاوبًا مع هذه الحملة ، أمر الملك بإغلاق مدرسة أثينا للقضاء بذلك على مركز الأفكار الوثنية الممزوجة بالأفلاطونية الجديدة ، وذلك سنة ٥٢٩ . فاضطر مديرها « دامسكيوس » مع ستة من أساتذتها إلى اللجوء إلى البلاد الفارسية حيث استقبلهم كسرى الأول انوشروان في بدء عهده سنة ٥٣١ وأكرمهم وأناط بهم نقل عدد من محاورات أفلاطون إلى البهلوية أو إلى السريانية . وكتب له دامسكيوس مقالاً فلسفيًا شرح فيه الأساطير اليونانية والشرقية . وحينما عقد كسرى سنة ٥٣٢ معاهدة صلح مع يوستينيانس ، اشترط عليه بأن يسمح لهؤلاء الفلاسفة بالعودة إلى أوطانهم دون إرغامهم على التخلي عن معتقداتهم الوثنية .

وسَنّ الأمبراطور أيضًا شرائع ضد اليهود السامريين والهراطقة بمختلف أشكالهم ، ولا سيما ضد الأريوسيين . أما المنوفيزيون ، فلم تُطَبّق هذه القوانين بحقهم بصرامة . بل حاول الملك تفهم عقيدتهم ، ولا سيما السويريين منهم ، وشاء التوفيق بين معتقدهم المستند إلى كتابات قورلس الإسكندري وبين ما صرّح به المجمع الخلقيدوني . واذا لم يفلح تمامًا في محاولة التوفيق هذه ، فقد أبدى تجاههم كثيرًا من الرحمة والعطف . أما تيودورة فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك . فإنها أثرت على الملك لكي يستدعي من المنفى الأساقفة والرهبان المنوفيزيين ، حتى ظهر قوم منهم في العاصمة ذاتها وأخذوا يبثون الدعاية لمذهبهم علنًا[٦] . وقد ربا عدد الرهبان منهم على الخمسمائة وشكّلوا ديرًا خاصًا بهم في قلب العاصمة .

٦) طالع تاريخ ميخائيل السرياني الكبير ٢ . ص ١٧٧ .

وفي سنة ٥٣٣ دعا الملك إلى مؤتمر في العاصمة يشترك فيه المنوفيزيون والخلقيدونيون للتفاوض حول الأمور العقائدية. ولكن هذا المؤتمر أيضًا كان نصيبه الفشل الذريع. وجرت أحداث أخرى مؤاتية للمنوفيزيين اشتدّ فيها ساعد تيودورة حتى عيّنت شخصًا منوفيزيًا صميمًا على كرسي الإسكندرية هو تيودوسيوس. ولما مات بطريرك القسطنطينية ابيفانوس، توصلت تيودورة إلى تعيين انتيموس خلفًا له. وكان هذا يتظاهر بالخلقيدونية. ولكنه ما ان أُعطي الكرسي البطريركي حتى بان على حقيقته، فأرسل صورة إيمانه إلى سويريوس المنفي وإلى تيودوسيوس. وجاء سويريوس ذاته سنة ٥٣٥ إلى العاصمة وظل فيها سنة كاملة يبذل نشاطًا عارمًا لإقناع البطريرك وكسبه نهائيًا لمذهبه. واشتغل الرهبان بدورهم لدعم الدعاية المنوفيزية. ولكن مجيء البابا اغابيطس إلى العاصمة البيزنطية في شباط سنة ٥٣٦ اضطر البطريرك انتيموس إلى اعتزال منصبه والاختفاء. فرسم البابا في ١٣ آذار شخصًا خلقيدونيًا اسمه ميناس، وطلب إلى الأمبراطور عقد مجمع لحرم أنتيموس. إلاّ أن البابا توفي في ٢٢ نيسان قبل أن يرى المجمع الذي عُقد في ٢٢ أيار وناشد أنتيموس الحضور. وعندما رفض هذا الحضور حكم عليه المجمع غيابيًا وجرّده من السلطة الأسقفية والكهنوتية. ثم جاء دور الحكم على سويريوس ومناصريه الذين تشتّتوا وفرّوا من العاصمة خلال آب سنة ٥٣٦. ومارس افرام بطريرك أنطاكيا من جهته ضغطًا شديدًا على المناوئين للمجمع الخلقيدوني وأرغم الكثيرين منهم إلى العودة. واستدعى الأمبراطور بطريرك الإسكندرية إلى العاصمة سنة ٥٣٧ وطلب إليه أن يعترف بمجمع خلقيدونية. ولما أبى عزله الملك عن منصبه وعيّن خلفًا له شخصًا يُدعى بولس نال الرسامة من بطريرك القسطنطينية ثم ذهب واحتلّ الكرسي الإسكندري. أما تيودوسيوس فقد أُرسل إلى المنفى. ولكن سرعان ما عُزل بولس أيضًا لتصرفاته التعسفية.

وتوفي سويريوس في ٨ شباط سنة ٥٣٨. أما الأمبراطورة تيودورة فقد استقدمت سرًا إلى العاصمة البطريرك الإسكندري الذي كان يعيش في المنفى وطلبت إليه أن يرسم عددًا من الأساقفة لضمان استمرار السلطة لدى المنوفيزيين.

يعقوب البرادعي (+٥٧٨)

وفي سنة ٥٤٣، جاء إلى القسطنطينية الأمير العربي الغساني حارث بن جبلة المنوفيزي وطلب إلى تيودورة أن تزوّد بلاده بمطران. فرسم له تيودوسيوس مطرانًا هو تيودور مطران بصرى، وعيّن مطرانًا آخر للرها هو يعقوب البرادعي، وخوّله السلطة على

نغّص العيش على الأمبراطور انسطاس. فمال إلى استرضاء الشعب والخلقيدونيين الذين كانت قوتهم الهائلة تكمن في الرهبان العديدين المتهيئين للزحف على العاصمة في أية لحظة كانت. ثم كتب الأمبراطور إلى البابا هرمزداس يطلب إليه أن يعقد مجمعًا لحسم هذه المشاكل لا سيما وان منافسًا للأمبراطور كان يهدد دومًا بغزو العاصمة. وكان هذا القائد قد جمع حوله عددًا غفيرًا من الجنود ومن أنصار المجمع الخلقيدوني. ولما مني القائد بالهزيمة في احدى المعارك، عاد الأمبراطور إلى موقفه السابق المتذبذب تجاه روما والخلقيدونيين، ورفض كل مساومة معهم في الأمور الدينية.

ومات انسطاس في ٩ تموز سنة ٥١٨ في عاصفة هوجاء انقضّت على العاصمة البيزنطية على حين غرة. ولحقه إلى اللحد عن كثب ايليا بطريرك أورشليم ثم فلابيانس بطريرك أنطاكية، وكانا كلاهما معزولين وعائشين في المنفى.

الأمبراطور يوستينس الأول (٥١٨-٥٢٧)

خلف يوستينس الأمبراطور انسطاس على العرش البيزنطي. وكان يوستينس متمسكًا بتعاليم المجمع الخلقيدوني. ولذا فقد انقلبت الأمور رأسًا على عقب. فأعلن بطريرك القسطنطينية تمسكه بتعاليم هذا المجمع ونبذه لسويريوس والموالين له. وأخذ التقارب يتحقق مع روما بعد فترة من الركود، بل من القطيعة. وأصدر الملك أمرًا يحتم على الجميع، رؤساء ورعايا، قبول تعاليم المجمع الخلقيدوني، وإلاّ فيتعرّضون لفقدان مناصبهم وأملاكهم أو للنفي بعيدًا عن أوطانهم. واقتضى هذا الأمر أيضًا إعادة المنفيين الذين أقصاهم أنسطاس عن بلدانهم. وقد لاقى هذا الأمر ترحيبًا حارًا في الأوساط الفلسطينية وفي سورية الجنوبية. أما سورية الشمالية فقابلته بالاستياء والمعارضة. ولم تعر له مصر أذنًا صاغية. وإذ أحسّ سويريوس الأنطاكي بالخطر المحدق به، فرّ من أنطاكية في ٢٩ أيلول سنة ٥١٨ وأبحر خفية شطر الإسكندرية المصرية. وأُقيم عوضه بولس بطريركًا على أنطاكية. وتحسنت علاقات القسطنطينية مع روما على الصعيدين الديني والمدني، وتبودلت الوفود ورضي الأمبراطور والبطريرك أن يوقّعا صورة الإيمان التي أرسلتها روما. ولكن الاضطرابات استمرت في أنحاء مختلفة من سورية وتعاقب البطاركة على كرسي أنطاكيا بعد سويريوس: بولس الثاني وأوفرازيانس (٥١٩-٥٢٦) ثم أفرام (٥٢٦-٥٤٥). ولم تسر الأمور على ما يرام في الرها أيضًا حيث تذبذب أساقفتها مدة طويلة بين تعاليم مجمع خلقيدونية وبين التعاليم المنوفيزية. ومما زاد الطينَ بلّة هو تدخل

العنصر النسطوري أيضًا في المعركة. ففي بلدة قورش جرت مسيرة كبيرة لإكرام تيودوريطس القورشي، ثم احتفلوا بعيد لإكرام ديودوروس وتيودوروس وتيودوريطس و «القديس نسطوريوس» وذلك سنة ٥١٩. وكان سويريوس من منفاه يوجّه المعركة ضد الخلقيدونيين ويحرّض الأساقفة والرهبان على رفض تعاليم المجمع الخلقيدوني.

الأمبراطور يوستنيانس (٥٢٧–٥٦٥)

تولى الحكم سنة ٥٢٧، بعد موت يوستينس، ودام حكمه إلى سنة ٥٦٥. وكان هذا الأمبراطور ذا ثقافة عالية. عاكفًا على الدرس والمطالعة وعائشًا عيشة صارمة مليئة بالأشغال. وسن عددًا كبيرًا من القوانين والشرائع. وكان يميل إلى التبحر في الشؤون الدينية ويهدف إلى توحيد شمل المملكة سياسيًا ودينيًا. لذا فقد سنّ الشرائع وخوّل نفسه صلاحية حسم القضايا أو شرح العقائد بدون الرجوع إلى السلطة الكنسية.

تيودورة

هي زوجة الأمبراطور يوستنيانس. ويختلف المؤرّخون في أصلها. فهناك من يحسبها ابنة حارس الدببة في الملعب الروماني في العاصمة البيزنطية. وآخرون يقولون انها كانت راقصة في الإسكندرية. أما المنوفيزيون عامة فيقولون انها ابنة كاهن منوفيزي من الرقة (قالونيقس) السورية[٤]. مهما يكن من أصلها، فإنها عاشت حياة مسيحية لائقة بمقامها الرفيع بعد زواجها من الأمبراطور. وسرعان ما اكتسبت نفوذًا كبيرًا على الأمبراطور ولعبت دورًا هامًا في شؤون الدولة كلها، لا سيما الدينية منها. وكانت منوفيزية شديدة التمسك بمذهبها. ولا تنضب أقلام المنوفيزيين من إطراء مناقبها وخلع أبهر الألقاب عليها[٥]. وقد عملت فعلاً كل ما في وسعها لمساعدة بني مذهبها ولدفع الملك إلى حمايتهم والتقرب منهم...

ولما كان الملك غيورًا على الديانة المسيحية، فقد أصدر مراسيم وأوامر تقضي بوجوب رجوع كل الوثنيين إلى الديانة المسيحية. ولتحقيق هذه الغاية، نظّمت إرساليات مكوّنة غالبيتها من رهبان منوفيزيين كانت تيودورة تحتفظ بهم تحت حمايتها. واشتهر بين هؤلاء

---

٤) راجع مثلاً تاريخ ميخائيل السرياني الكبير. ٢. ص ٤١٩–٤٢٠.

٥) المصدر عينه. ص ١٩٢–١٩٣.

ويمكننا القول ان النصف الأول من حكم انسطاس اتسم بالتسامح إزاء الخلقيدونيين ، رغم كون المرسوم مفروضًا على الجميع مبدئيًا . وهكذا نرى ان فلابيانس الخلقيدوني خلف بلاديوس على الكرسي الانطاكي سنة ٤٩٨ . وكذلك ايليا الخلقيدوني أصبح بطريركًا على أورشليم . ولكن الأمبراطور خرج من الحياد سنة ٥٠٦ ومال بوضوح نحو المنوفيزيين ، حينما قرر أن يضع حدًا للحرب الدائرة بينه وبين الفرس بعقد معاهدة صلح معهم . وبدأت الخصومات الدينية من جديد . وقد وجد الأمبراطور دعمًا قويًا لجهوده في شخصين بارزين هما فيلوكسينس المنبجي وسويريوس الأنطاكي .

سويريوس الأنطاكي

وُلد سويريوس في سوزوبوليس في مقاطعة بيزيدية ودرس الآداب والبلاغة في الإسكندرية والحقوق في بيروت في كلية الفقه الروماني[٣] . ونال العماد المقدس سنة ٤٨٨ في سن الشباب . ثم قصد أورشليم . وفي رحلته هذه التقى رهبان دير مايوما القريب من غزة وترهب هناك ، ثم انعزل فترة في الصحراء . وبعد ذلك قضى زمنًا بين رهبان دير رومانس ، ثم عاد إلى مايوما وأسس هناك ديرًا ، ونال ثمة الدرجة الكهنوتية على يد ابيفانوس مطران ماجدو المعزول لآرائه المنوفيزية ... امتاز سويريوس بثقافة دينية ومدنية شاملة ، وكان له معرفة واسعة بالكتب المقدسة وكتابات الآباء .

أما الذي بدأ الحملة المنوفيزية فكان « فيلوكسينس المنبجي » . فقد اتهم البطريرك الأنطاكي فلابيانس بالتحيز للمذهب النسطوري وأثار سنة ٥٠٦/٥٠٧ المنوفيزيين عليه وعلى الأساتذة الانطاكيين الشهيرين ، ديودوروس وأصحابه . ولكن فلابيانس رد على مزاعمه بحرم نسطوريوس وتعاليمه . إلاّ أن المنوفيزيين لم يقتنعوا بهذا العمل . فقد كتب فيلوكسينس عرضًا للإيمان أرسله إلى الأمبراطور انسطاس . فاستدعى هذا فيلوكسينس إلى العاصمة . ولكن المنبجي لم يلق هناك تجاوبًا من البطريرك مقدونيوس الخلقيدوني ومن الشعب بأسره المتمسك ببطريركه فلم يسعه إلاّ الهرب من العاصمة سرًا . وما إن غادر العاصمة حتى وصلها سويريوس على رأس وفد مكوَّن من مائتي راهب من بني مذهبه لكي يساند القضية المنوفيزية . وظل سويريوس هناك ثلاث سنين (٥٠٨-٥١١) يبذل نشاطًا عارمًا لدعم هذه القضية وإثارة الناس على البطريرك ، حتى توصل إلى عزله بقرار

٣) أدب اللغة الآرامية ، ص ٢٣٥-٢٤٠ .

من مجمع عُقد هناك في ٦ آب سنة ٥١١، بعد أن منع الرهبان أنصار البطريرك من الدخول إلى المدينة، وأقنع معظم إقليروس العاصمة بالتخلي عن البطريرك، وألصق به شتّى التهم التي هو منها براء. وفي اليوم التالي، أصدر الأمبراطور أمرًا بنفي البطريرك المعزول وإقصائه. وأقاموا خلفًا له في العاصمة طيمثاوس الذي أصبح ألعوبة بيد المنوفيزيين.

أما فيلوكسينس فقد أعاد الكرة على فلابيانس الأنطاكي، وتوصل إلى دفع البطريرك إلى أن يحرم الملافنة الشرقيين ديودوروس وتيودوروس وهيبا وجميع الأساتذة الأنطاكيين. ولكن فيلوكسينس لم يتوقف عند هذا الحد، بل اقتضى من فلابيانس ان يحرم مجمع خلقيدونية أيضًا وجميع الذين يعترفون بطبيعتين في المسيح بعد الاتحاد. فرفض البطريرك أن يحرم المجمع الخلقيدوني. ثم دعا إلى عقد مجمع في صيدا لحسم النزاع. والتأم المجمع في تشرين الأول سنة ٥١٢. وحضره ممثل الأمبراطور، وجاء إليه البطريرك الأورشليمي والأنطاكي وسويريوس وأنصاره وفيلوكسينس والأساتذة الذين يؤيّدونه. ولكن المجتمعين لم يتوصلوا إلى نتيجة، بل تفاقم الشغب وتوترت الأمور وأنذرت بالانفجار. وإذ ذاك تدخل ممثل الأمبراطور وأمر بارفضاض المجمع الفاشل. وعلى الفور رجع كل إلى منطقته. وعاد سويريوس إلى ديره في فلسطين حيث شرع في الكتابة والتأليف. أما فيلوكسينس فقد واصل الحملة على فلابيانس وأخذ يثير الرهبان عليه، وأرسل عددًا منهم إلى العاصمة يلحون على الملك بعزل البطريرك الأنطاكي. ويقال ان فلابيانس ملّ من هذه المعاكسات فرضي بنبذ المجمع الخلقيدوني. ولكن هيهات. إذ لم يجده ذلك فتيلا. فقد جاءه قرار العزل من الأمبراطور يؤيده مجمع عُقد في العاصمة. فنفي فلابيانس إلى البتراء. وعلى الفور اختار المنوفيزيون سويريوس ليخلفه على الكرسي الأنطاكي في ٦ تشرين الثاني سنة ٥١٢، وأعلن البطريرك الجديد حالاً قبوله المجامع المسكونية الثلاثة الأولى مع مرسوم الاتحاد، وحرم نسطوريوس وأوطيخا والمجمع الخلقيدوني ورسالة البابا لاون...

وعمل سويريوس الأنطاكي على تهدئة الخواطر وكسب الثقة في أنطاكيا خاصة وفي الأبرشيات الشرقية عامة، ودعا إلى مجمع عُقد في صور، ولكنه لم يسفر هو أيضًا عن أية نتيجة. ولكن سويريوس بلغ مرامه بالوعد والوعيد، وعزل كل أسقف لم يسايره أو لم يخضع له. وتوصل إلى عزل بطريرك أورشليم سنة ٥١٦ وإلى نفيه وتنصيب يوحنا مكانه. إلاّ أن يوحنا هذا خيّب آماله في حفلة كنسية حرم فيها سويريوس الأنطاكي وأعلن قبوله المجامع المسكونية الأربعة. وجرت في العاصمة أيضًا حوادث شغب واسعة النطاق. مما

بصورة عابرة وبدون أي تشديد. ولكن المرسوم انطوى على عناصر خطيرة نظرًا إلى الظروف الراهنة. وكيف يمكن للأساقفة أن ينبذوا مجمع خلقيدونية أو ألاّ يعيروا التفاتًا إلى رسالة لاون العقائدية الشهيرة، هم الذين ناضلوا طيلة ثلاثين سنة في سبيل المجمع الخلقيدوني. فهل بوسعهم الآن أن يتخلوا عنه بسهولة؟

أما المنوفيزيون فقد رحّبوا بهذا المرسوم وأخذوا في نشر الدعاية له وحرّضوا الرؤساء والمؤمنين على قبوله. وكانت الدعاية الكبرى تنطلق من الأديرة الكثيرة المنتشرة في آسيا الصغرى وفي المنطقة السورية.

ولكن البطريرك الخلقيدوني «قلنديون» رفض قبول المرسوم في أنطاكيا، فاتهمه زينون بالتآمر لقلب نظام المملكة، ولذا فقد نفاه من كرسيه سنة ٤٨٤ وأتى ببطرس القصار ونصّبه على الكرسي الأنطاكي للمرة الرابعة، بعد أن وقّع هذا المرسوم بدون تردد، وأمر بأن يتلى في الكنيسة قانون إيمان نيقية للنيل من قيمة المجمع الخلقيدوني. وأضاف إلى التقاديس الثلاثة عبارة «يا من صُلبت لأجلنا» التي كان لها صبغة منوفيزية. وقد خضع لهذا المرسوم أيضًا بطريرك أورشليم وكنيسة الإسكندرية ومعظم الأبرشيات التابعة لها.

وإذ ذاك أرسل البابا الروماني وفدًا يضم ثلاثة أشخاص للبحث في هذه القضية في العاصمة البيزنطية، وهم يحملون رسائل إلى الملك زينون والى البطريرك القسطنطيني آقاق. إلاّ أن البطريرك عرف بدهائه أن يضل الوفد الروماني ويشركه معه في الليتورجية التي من خلالها أعلن اسم البطريرك الإسكندري بطرس منغوس المنوفيزي المعروف. وكان يهدف إلى إشراك الوفد البابوي في أفكاره ومعتقداته. ولما رجع الوفد إلى روما، كانت أخبار هذا التصرف قد سبقته إليها. فعقد البابا فيلكس الثالث سنة ٤٨٤ مجمعًا مكوّنًا من ٧٧ مطرانًا وحرم أعضاء الوفد وشجب عملهم غير الفطن، وقرر عزل آقاق القسطنطيني، وأرسل إليه بهذا المعنى رسالة شديدة اللهجة. واستطاع الرهبان الأمناء لروما أن يُعلّقوا نص هذه الرسالة على ظهر حلة البطريرك أثناء احتفاله بالقداس في الكاتدرائية البيزنطية. ولكنهم دفعوا ثمن هذه الجسارة غاليًا. وكأني بالبابا بهذا الإجراء فصل الكنائس الشرقية عن روما، ذلك لأن هذه الكنائس لم تعرف ان تتحرر من نفوذ الأمبراطور وأرادت المساومة حتى في الأمور العقائدية. وهذا أمر لا يمكن لحارس وديعة الإيمان المقدس أن يرضى به البتة...

ولكن أبطال هذه المأساة تواروا الواحد تلو الآخر. فمات بطرس القصار في نحو سنة

٤٨٨ . وتبعه إلى اللحد البطريرك القسطنطيني آقاق سنة ٤٨٩ . ثم بطرس منغوس الإسكندري . وأخيرًا لحق بهم الأمبراطور زينون سنة ٤٩١ . وأراد « فرافيتا » الذي خلف آقاق أن يتقرب من البابا ومن الكرسي الإسكندري ولكن عباراته كانت غامضة ، وهو لم يدم طويلاً ، إذ انه مات بعد أربعة أشهر وخلفه على الكرسي القسطنطيني أوفيميوس الأفامي الخلقيدوني الصميم . فحاول إصلاح ما تصدع في العلاقات بين الشرق والغرب ، ولكنه لم يفلح كثيرًا في مسعاه الحميد هذا .

الأمبراطور أنسطاس

تولى الحكم بعد زينون سنة ٤٩١ ، وكان من أصل سلافي وينتمي إلى أُسرة متواضعة . إلاّ أنه امتاز بالتقوى . وكان يميل إلى المذهب المنوفيزي . وأفلح الأمبراطور الجديد في القضاء على خصومه السياسيين وفي إخماد نيران الثورات والفتن في شتى أرجاء الأمبراطورية وفي توطيد دعائم السلام فيها والظهور بمظهر الملك العظيم وسيد العالم الغربي . ولكن سياسته الدينية كانت أقل توفيقًا . إذ انه زاد في الطين بلة بتدخله في الشؤون الدينية المضطربة آنذاك في الشرق . أما في الإسكندرية فيظهر أن الأمور تبلورت وأن التقليد اقتضى أن يحرم كل بطريرك جديد المجمع الخلقيدوني ورسالة البابا لاون . وكانت الأمور أشد تعقدًا في أنطاكيا . فقد جلس بلاديوس على الكرسي البطريركي خلفًا لبطرس القصار سنة ٤٨٨ . وكان بلاديوس متمسكًا بالمذهب المنوفيزي وعمل جهده لكي يقبل بهينوتيكون جميع من تحت ولايته . وقد وجد خير مساعد له في هذه المهمة فيلوكسينس (أحسنايا)[٢] مطران منبج الشهير الذي كان قد اغترف المزيد من العلم في مدرسة الرها والمزيد من الكراهية أيضًا للتعاليم النسطورية ، رغم كونه من المنطقة الفارسية أصلاً ، من بلدة تحل الواقعة في مقاطعة بيث كرماي . وكان فيلوكسينس قد طُرد من أنطاكيا في عهد بطريركها قلنديون ، ولكنه عاد إليها في عهد بطرس القصار الذي لم يكتفِ بالترحيب به فيها ، بل رسمه أيضًا مطرانًا لمنبج وأصبح فيلوكسينس أكبر مدافع عن المذهب المنوفيزي بأقواله وكتاباته الشهيرة الكثيرة . وقام أيضًا بأسفار عديدة في سبيل دحض آراء الذين يناهضون مرسوم الاتحاد .

---

٢) طالع عنه أدب اللغة الآرامية . ص ٢١٦ - ٢٢٩ .

وتعيين خلف له في هذه السنة نفسها ، وهو يوليانس . وأفلح بطرس في العودة إلى أنطاكيا للمرة الثالثة والاستيلاء على الكرسي لمدة وجيزة . ثم نني وجاء عوضه « كودونا » ، وهو أحد أصدقائه . وكان قد رسم مطرانًا لأفامية ولم يرض به الأهلون ، فاضطر إلى العيش منعزلاً في أنطاكيا . ولكن مجمعًا رومانيًا عُقد سنة ٤٧٨ رشق كودونا بالحرم وأقصاه عن منصبه . فحل محله شخص يدعى اسطيفان في السنة عينها ... ولم تدم رئاسته سوى سنتين ، لأن المنوفيزيين أجهزوا عليه سنة ٤٨١ بضربات قصبات مرضوضة وحادة[1] . فاضطرت القسطنطينية إلى أن ترسل إلى أنطاكيا « قلنديون » الذي اختير ونال الرسامة الأسقفية في العاصمة البيزنطية نفسها ...

وجرت أحداث مماثلة في أنحاء شتى من سورية . فإن المذهب المنوفيزي تغلغل بين صفوف الرهبان الذين تجنّدوا له وراحوا يطوفون في طول البلاد وعرضها ويعلنون على الملأ أفكارهم ، بل يفرضونها على الناس في المدن والقرى . وكان الأمبراطور « بازيليسكس » قد أصدر « براءة » تقضي بنبذ المجمع الخلقيدوني ورسالة البابا لاون إلى فلابيانس . وكان لزامًا على الأساقفة في الأمبراطورية كلها أن يقروا هذه البراءة . وقد بلغ عدد الذين رضخوا لها ٥٠٠ أو ٧٠٠ أسقف .

مرسوم الاتحاد (هينوتيكون)

كان آقاق بطريرك القسطنطينية في مقدمة الذين رفضوا البراءة الملكية وخالفوا بذلك أمر الأمبراطور بازيليسكس . ولما وصل النزاع بين السلطة الكنسية والسلطة المدنية أشده ، إذا بزينون يزيح بازيليسكس ويأخذ بزمام الأمور في العاصمة البيزنطية سنة ٤٧٦ ويبعد الأمبراطور السابق وينفيه مع ذويه إلى قبدوقية حيث قضوا جوعًا . وفي بادئ الأمر ، مال الأمبراطور الجديد إلى الخلقيدونيين وألغى جميع الإجراءات التي قرّرها ضدهم . فاجتمع إليه كثير من الأساقفة في العاصمة وأبدوا له خضوعهم وتأييدهم سنة ٤٧٧ ، واستنكروا ما جاء في براءة بازيليسكس . أما بطرس القصار ، فقد طُرد من أبرشية أنطاكية هذه المرة أيضًا . إلاّ أن هذا التأرجح في موقف الأساقفة أظهر دخيلة أمرهم وميلهم إلى المنوفيزية وخضوعهم الظاهر فقط لما تفرضه السياسة الحالية .

إزاء هذا الواقع ، شاء آقاق القسطنطيني أن يحقق بعض المساومة لكي يوحّد الآراء

---

١) طالع التاريخ الكنسي لأواغريس ٣ . ١٠ .

ويجمع تحت سلطته أكبر عدد ممكن من الأساقفة. وكانت هذه المساومة تتوقف على أن يتخلى عن المجمع الخلقيدوني ويتبنى حرم قورلس الاسكندري، وهكذا يمكنه التوفيق بين النزعتين في الكنيسة ويقرّب وجهتي النظر ويكتسب نفوذًا على الأساقفة. ولم يكن من العسير على آقاق إقناع الملك زينون بتبني هذه الفكرة. وقد جرت أحداث في الإسكندرية أيضًا أظهرت ميل الملك إلى المذهب المنوفيزي، إذ فرض تعيين بطريرك من هذا المذهب على كرسي مار مرقس الرسولي. وعلى أثر هذه المساومات أصدر مرسومه الشهير «هينوتيكون» وأراد تعميمه على الإقليروس والشعب المسيحي قاطبة في جميع أنحاء الأمبراطورية. وإليك نص هذا المرسوم:

«نريد أن نعلمكم بأننا. نحن وجميع كنائس العالم. لا نعترف بقانون أو صورة أخرى للإيمان ما عدا قانون الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر الذي أيّده الآباء المائة والخمسون. فإذا كان لأحد إيمان غير هذا فإننا نعلن حرمه. إذ بهذا القانون وحده يتم الخلاص لأمبراطوريتنا. كما نعتقد. وليس لكل الشعوب التي تنال معمودية الخلاص قانون إيمان غيره. والآباء المجتمعون في أفسس الذين نبذوا نسطوريوس الكافر وأعوانه لم يتبعوا إلاّ هذا القانون. فنحن إذ نحرم سوية نسطوريوس وأوطيخا، لأنهما يخالفان شعور الآباء، نقبل الفصول الاثني عشر التي نشرها قورلس المقدس الذكر الذي كان في السابق رئيس أساقفة الكنيسة المقدسة في الإسكندرية. اننا نعترف بابن الله الوحيد، الذي هو الله والذي أصبح إنسانًا حقًا، ربنا يسوع المسيح، المساوي للآب في اللاهوت، والمساوي لنا في الناسوت، الذي نزل وتجسد من الروح القدس ومن العذراء مريم والدة الله، وهو واحد وليس اثنين. ونقول إن المعجزات والآلام التي قاساها إراديًا في الجسد هي لواحد. واننا لا نقبل أولئك الذين يقسمون أو يمزجون أو يقولون بوجود هيئة. ذلك لأن التجسد المنزه عن الخطيئة من والدة الله لم يضف ابنًا آخر. فان الثالوث قد ظل هو الثالوث حتى حينما تجسد واحد من الثالوث وهو الله الكلمة. واذ نعلم ان لا كنائس الله المقدسة الأرثوذكسية في العالم، ولا الأساقفة محبو الله الذين يترأسونها، ولا أمبراطوريتنا برمّتها. لا تقبل قانونًا أو إقرار إيمان آخر عدا ذاك الذي أعلنّاه، لذا فنحن أيضًا كلنا ننضم إليها في تأييده. وكل من يفكّر أو فكّر بخلاف هذا. الآن وفي كل الظروف، في خلقيدونية أو في مجمع آخر، فإننا نعلن حرمه. ونحرم بنوع خاص نسطوريوس وأوطيخا وأعوانهما. فاتحدوا إذن مع الكنيسة أمنا الروحية، لكي تنعموا فيها بشركة إلهية واحدة. بحسب إيمان الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر الذي هو تحديد الإيمان الوحيد».

اننا نلاحظ لدى قراءتنا هذا المرسوم انه ينبذ نسطوريوس وأوطيخا ويتمسك بمجمع نيقية. وإذا هو يقبل حروم قورلس وينبذ مجمع خلقيدونية، فلا يظهر ذلك فيه إلاّ

الكنيسة الأنطاكية بعد المجمع الخلقيدوني

لقد اطّلعنا على موقف كنيسة أنطاكيا تجاه كنيسة المشرق والأحداث التي دارت في النصف الأول من القرن الخامس حتى المجمع الخلقيدوني. وليس في حوزتنا معلومات دقيقة عن هذه الكنيسة في السنين القليلة التي تلت المجمع الخلقيدوني. إنما نعرف ان مكسيم خلفَ دمنوس على الكرسي الأنطاكي. ولكنه عُزِل سنة ٤٥٥/٤٥٦، ثم تتابع من بعده على هذا الكرسي باسيليوس وآقاق ومرتيريوس.

بطرس القصار

بينما كان زينون قائد القوات الرومانية موجودًا في الشرق، جاء إلى أنطاكيا راهب من خلقيدونية، منوفيزي المذهب، اسمه بطرس الملقب بالقصار. وأخذ بطرس يثير الشعب في أنطاكيا على مطرانها مرتيريوس الذي اضطر إلى مغادرة المدينة على أثر شغب حدث فيها. وما إن خلا الكرسي الأنطاكي، حتى احتله بطرس الذي كان قد اقتبل الرسامة الأسقفية في سلوقية سورية بوضع أيدي بعض المطارنة وتحت ضغط من زينون. إلاّ ان مرتيريوس عاد إلى كرسيه بعد سنتين. بعد أن رفع شكواه إلى القسطنطينية واكتسب الدعوى ضد خصمه، وذلك سنة ٤٧٠. ولكنه تخلى عن كرسي أنطاكيا نهائيًا سنة ٤٧١، وقد ملّ من المشاغبات التي أثارها ضده بطرس القصار. وإذ ذاك ظهر بطرس ثانية واعتلى الكرسي الأنطاكي. غير ان أمرًا صدر ضده قضى بإبعاده عن أنطاكيا

أربعين سنة[٤٩] . ففي سنة ٤٩٨ ، أزاح قباذ أخاه زاماسف عن الحكم وتولى زمام الأمور بنفسه . غير أن الخبرة علمته أن يستند إلى رؤساء الدين المجوسي وإلى الأشراف وأن يكتسب مساعدتهم . ولكي يلهي الشعب ، زجه في حرب ضد الرومان سنة ٥٠١ ، فاكتسح المقاطعات الرومانية المتاخمة للملكة ابتداءً من ريشعينا وآمد ، حتى اضطر انسطاس الروماني إلى عقد معاهدة صلح مع قباذ الذي رحّب بها نظرًا إلى التهديد الذي كانت البلاد الفارسية معرضة له من الأقوام الهونية (الهياطلة) . وتمت هذه المعاهدة أو الهدنة سنة ٥٠٦ .

وفي غمرة هذه الأحداث الدامية ، وافت المنية الجاثليق باباي سنة ٥٠٣ فخلفه شيلا الذي كان اركذياقونًا عنده والذي وقّع عنه في مجمع سنة ٤٩٧ ، كما مر بنا . ولكنه يبدو انه لم يُقَم جاثليقًا إلاّ سنة ٥٠٥ ، وقد يكون ذلك لانشغال الملك الفارسي بالحرب ضد الرومان . ويصف المؤرّخون شيلا بالعلم الغزير ، ولكنهم يذمّونه لجشعه المفرط ، وينحون باللائمة على زوجته التي دفعته إلى حب المال والغنى[٥٠] . فعاتبه الملفان ماري التحلي على هذا الجشع ، ولكن الجاثليق ، عوضًا عن أن يرعوي ، رشق ماري بالحرم . وكان « بوزق » مطران هرمزارداشير يؤيد هو أيضًا شيلا ويسانده على جميع مناوئيه . وكان بوزق هذا قد شفى قباذ وابنته ونال من جرّاء ذلك حظوة كبيرة لدى الملك الفارسي . ولهذا فقد عاش المسيحيون في زمان شيلا بسلام وطمأنينة وأُقيمت الكنائس في شتى أرجاء المملكة الفارسية[٥١] .

ولكن الصعوبة الكبيرة بدأت عند موته سنة ٥٢٣ . فقد أوصى بالخلافة لصهره الطبيب أليشاع . إلاّ أن المرشح كان ذا سيرة معيبة ، فلم يرضَ به الأساقفة رئيسًا عليهم ، بل اجتمع قوم منهم وتكتلوا لينتخبوا شخصًا آخر هو نرساي الذي يُقال انه كان أسقف الحيرة ، ويُقال أيضًا انه لم يكن سوى كاتب من الأهواز . وقد أيّد بوزق هذا الحزب وأراد أن يطلب إلى الملك السماح بالانتخاب لنرساي . وكان الملك آنذاك في منطقة حلوان . إلاّ أن داود مطران مرو سبقه ورسم أليشاع قبل أن يُقام نرساي في الكنيسة

---

٤٩) طالع عن هذه الفترة كتاب أدب اللغة الآرامية للمؤلف ، ص ١٤٠–١٤٢ .

٥٠) طالع عنه ماري في المجدل ، ص ٤٧–٤٨ ؛ صليبا ، ص ٣٧ ؛ ابن العبري ، التاريخ الكنسي ٢ ، ٨١–٨٢ ؛ التاريخ السعردي ٢ ، ص ٤٣–٤٦ ؛ المجامع الشرقية ، ص ٣٢٤ ، حاشية ١ ؛ لابور ، ص ١٥٩–١٦٠ ؛ تيسران في معجم اللاهوت الكاثوليكي ١١ ، عمود ١٧٨ .

٥١) التاريخ السعردي ٢ ، ص ٤٤ .

الكاتدرائية في ساليق. وتمكن أليشاع بواسطة صديق له اسمه «بيروي» طبيب الملك وبالهدايا الكثيرة الدسمة أن ينال من العاهل الفارسي مرسومًا يخوّله السلطة الشرعية على الكنيسة الشرقية جمعاء...

وهكذا عمّت الفوضى، حتى ان مطرافوليط بيث لافاط وأسقف كشكر فضّلا الوقوف على الحياد في هذه النكبة القاسية التي فيها ضاعت المقاييس وفُقدت القيم الأصيلة. وأخذ كل من الجاثليقين، خلال اثنتي عشرة سنة، يواصل النضال ضد زميله ومنافسه ويرسم الأساقفة من الموالين له ويرشق الحزب الآخر بالحرم[٥٢]. ويقول ماري وكتّاب المجامع[٥٣] ان فترة الخلافات هذه دامت ١٥ سنة وهذا ما يؤدي بنا إلى سنة ٥٣٨. وفي هذه السنة مات نرساي. فظن أليشاع ان الجو قد خلا له لينفرد بالسلطة على الكنيسة كلها. ولكن تصرفاته الخرقاء نفرت القلوب منه. فاجتمع الأساقفة وقرّروا عزله وحذف اسمه واسم نرساي من لائحة الرؤساء. وأقام الأساقفة بولس جاثليقًا عليهم بالإجماع في مطلع سنة ٥٣٩. وكان بولس هذا مطرانًا على كرسي هرمزارداشير خلفًا لبوزق المتوفي، حسبما يقول المؤرّخون الشرقيون[٥٤]. أما ابن العبري فيقول انه كان اركذياقونًا لكنيسة ساليق[٥٥]. ويظهر ان المنتخب الجديد كان محايدًا طيلة مدة النزاع، وانه كان ذا حظوة لدى كسرى الأول انوشروان الذي تولى الحكم سنة ٥٣١ بعد موت أبيه قباذ. إلاّ أن رئاسة بولس لم تكن طويلة الأمد، إذ لم تدم إلاّ بضعة أشهر، ويقال شهرين فقط. وتوفي في أحد الشعانين سنة ٥٣٩. ويقول عنه التاريخ السعردي ان بولس «لما صار جاثليقًا مال قليلاً إلى حب أليشاع ونسي عهده وما عقد على نفسه»[٥٦].

وكانت الكنيسة الشرقية بأمسّ الحاجة إلى من ينهض بها ويصلحها ويزيل عنها آثار هذه الرئاسة المزدوجة التي جرّت عليها المصائب والويلات...

وقد مَنَّ الله عليها بهذا المصلح في شخص مار أبا الكبير.

---

٥٢) التاريخ السعردي. ص ٥٥ – ٦٠.

٥٣) ماري. ص ٤٩؛ المجامع الشرقية. ص ٨١ والترجمة. ص ٣٣٤.

٥٤) ماري. ص ٤٩؛ صليبا. ص ٣٩؛ التاريخ السعردي ٢. ص ٦١.

٥٥) ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢. ٨٩.

٥٦) التاريخ السعردي ٢. ص ٦١.

بينه وبين الجاثليق باباي في شأن إكرام ذخائر القديسين وإكرام الموتى.

وحينما توفي الجاثليق آقاق سنة ٤٩٦، انتُخب باباي خلفًا له. وينسب ماري وصليبا هذا الانتخاب إلى تدخل رباني. مهما يكن من أمر فقد كان هناك تأثيرات أخرى أيضًا لدى البلاط الفارسي، يلمح إليها التاريخ السعردي[٤٤]. وكان باباي هذا ابن هرمزد طاعنًا في السن، متزوجًا وله أولاد. ويقال انه كان أمينًا لمرزبان بيث أراماييي. ولكن التناقض ظاهر بين ما يقوله ماري[٤٥] من انه كان «أميًا لا يكتب ولا يقرأ» أو صليبا الذي يقول انه «كان شيخًا كبيرًا خيّرًا تقيًا حسن الأمانة والديانة من أهل المداين»[٤٦]، وبين ما يرويه التاريخ السعردي عنه انه كان «حسن الطريقة والفهم بالكتب»[٤٧].

ولما كانت الديانة المجوسية مهدّدة بالانهيار أو التفسخ تحت تأثير المحدثين الذين اندسوا فيها ودعوا إلى عوائد جديدة، كما قلنا سابقًا، فقد أراد الملك أن يسانده المسيحيون في مقاومة دعاة الشر في الديانة المجوسية، فوجّه الجاثليق مرسومًا يقضي باستدعاء الأساقفة الخاضعين له إلى مجمع لكي يجروا إصلاحًا بشأن الزواج الشرعي وإنجاب الأولاد ويفرضوه على الاقليروس في البلاد كلها. ولذا فقد اجتمع الأساقفة في ساليق في تشرين الثاني سنة ٤٩٧ وعقدوا مجمعهم الشهير الذي أعاد النظر في مجمع بيث لافاط ومجمع ساليق السابق. وقد تمخض هذا المجمع عن المقررات التالية:

١. أيّد ما جاء في مجمع برصوما النصيبيني في بيث لافاط سنة ٤٨٤ بشأن زواج الاقليروس، وأجازه للبطريرك نفسه وحتى آخر شخص في الدرجات المقدسة.
٢. ألغى المجمع ما تراشق به أصحاب الجاثليق آقاق وأنصار برصوما من التهم والحروم منذ سنة ٤٩١ حتى سنة ٤٩٦. وفرض المجمع إحراق كل الوثائق الخاصة بهذه الفترة.
٣. أقرّ المجمع كل القوانين التي سُنَّت في مجامع الآباء الأقدمين والتي تهدف إلى الدفاع عن كرامة الكرسي الرسولي لكنيسة كوخي الكبرى وعن أولويته (وهذا يعني عدم اللجوء إلى أنطاكية والغرب)، وهدَّد الآباء بفصل كل من تسول له نفسه بالمروق

---

٤٤) التاريخ السعردي ٢. ص ٣٦–٣٧.

٤٥) ماري. ص ٤٦.

٤٦) صليبا. ص ٣٥.

٤٧) التاريخ السعردي. ص ٣٧. طالع في شأنه أيضًا ابن العبري في تاريخه الكنسي ٢. ٨؛ السمعاني في المكتبة الشرقية ٣. ١. ص ٤٢٧–٤٣٠.

عن طاعة الجاثليق الذي هو الرئيس الأعلى للكنيسة الشرقية.

٤. قرر الآباء أن يعقد مجمع كل أربع سنوات لدى الجاثليق، وذلك في تشرين الأول، مع الاحتفاظ للجاثليق بحق استدعاء المجمع كلما دعت الضرورة إلى ذلك. ويترتب على جميع الأساقفة الحضور فيه، إلاّ إذا حال حائل دون حضور أحدهم، فيرسل من ينوب عنه من بين كهنته الأمناء.

٥. أعطى الآباء مهلة سنة للمطرانين فافا مطران بيث لافاط ويزداد مطران رواردشير لكي يقدما الخضوع للجاثليق وإلاّ فسوف يُعتَبران معزولين ومفصولين عن الكنيسة.

٦. تطرّق المجمع إلى الرسامات الأسقفية التي جرت في عهد الخصام. فإن كان انتخاب هؤلاء الأساقفة شرعيًا، فانهم يُقبَلون بمحبة أخوية بين مصاف الأساقفة. أما من اختصّ نفسه بهذه الدرجة قسرًا وبصورة غير شرعية وبدون انتخاب الاقليروس والمؤمنين، فهذا لن يقبل البتة في الكنيسة ولن يُعتبر أسقفًا فيها.

وذيّل الآباء هذه الوثيقة بتسعة وثلاثين توقيعًا، يتقدمهم توقيع شيلا اركذياقون الجاثليق باباي الذي وقّع بالنيابة عن رئيسه الجاثليق[٤٨].

... فنرى ان مجمع باباي لم يأتِ بأمور هامة جديدة، إنما جاء دعمًا نهائيًا لمقررات بيث لافاط ومقررات مجمع آقاق. ولهذا فانه يعتبر المجمع الحاسم الذي قرر مصير الكنيسة الشرقية وانفصالها الإداري عن الغرب وتبنيها المذهب الشرقي، كما أقرّه مجمع آقاق بشأن الثالوث والتجسد. وسيحاول اللاهوتيون الشرقيون خلال الأجيال اللاحقة إيلاء هذا المذهب صيغته النهائية وتزويده بالتعابير الملائمة...

فترة الركود

كان النصف الأول من القرن السادس فترة ركود للكنيسة الشرقية، عمّت فيها الخصومات والمنافسات على السلطة، وقلّ الاهتمام بالشؤون الدينية، وأهملت القوانين والمشترعات. فلا مجمع ثمة ولا تجديد ولا حركة تهدف إلى السير بالكنيسة إلى الأمام. وأخذ كل يفتش عن مصالحه الشخصية ويتزلف إلى رئيس يختاره على هواه، حتى إذا لم تتوفر فيه الشروط اللازمة... وظلت الكنيسة تئن وترزح تحت وطأة الفوضى نحو

---

٤٨) طالع المجامع الشرقية، ص ٦٢-٦٨ والترجمة، ص ٣١٠-٣١٧.

الدنيا من الكهنوت. وإذا رأينا قريبًا شخصًا غير متزوج يشغل كرسي ساليق، فذلك لأنه من الرهبان المتبتلين، انتشلوه من ديره لعلمه الغزير وسيرته الفاضلة وأقاموه رئيسًا على المؤمنين.

ولكن هل أفلح هذا المجمع في توثيق عرى الوحدة بين الجاثليق وأساقفته؟

وهل قدر الجاثليق أن يكتسب ثقة برصوما النصيبيني؟

قد يكون المجمع حقّق شيئًا من الهدف الأول. أما في العلاقات بين الجاثليق وبرصوما فلم يكن ثمة سوى هدنة قصيرة الأمد، تقبلها برصوما على مضض، نظرًا إلى الظروف الصعبة التي يجتازها.

وحينما أرسل الملك بالش الجاثليق آقاق بسفارة إلى القسطنطينية سنة ٤٨٧، أبدى البطريرك القسطنطيني تحفظه في صحة معتقده وطلب إليه أن يحرم برصوما الذي بلغتهم عنه أمور عديدة، فاضطر الجاثليق إلى تلبية رغبة الرومان ليتسنى له الاشتراك معهم في الأسرار. وفي طريق عودته، مر بنصيبين حيث كان الأهلون حانقين على مطرانهم برصوما وطلبوا إلى البطريرك إبداله. ولكن آقاق توصّل إلى تهدئتهم وإقناعهم بضرورة إبقاء برصوما على رأس أبرشيتهم نظرًا إلى شخصيته وإلى النفوذ الذي كان ما يزال يتمتع به بعض الشيء في البلاط الفارسي لأجل خدماته السابقة.

غير أنه سرعان ما تلبدت السماء ثانية بالسحب الدكناء وأخذت الأمور تتردى بين الجاثليق ومطران نصيبين. ويطلعنا مجمع باباي[٣٦] على ان الخصومات بدأت من جديد بين الجاثليق وبرصوما وأتباعهما منذ السنة الرابعة لقباذ (أي سنة ٤٩١) حتى السنة الثانية للملك زاماسف (أي سنة ٤٩٧). ولكنه في الواقع قد وافت المنية برصوما قبل سنة ٤٩٧. إذ اننا نرى سنة ٤٩٦ شخصًا آخر يشغل كرسي نصيبين وهو «هوشع». ولحقه آقاق إلى اللحد بعد مدة قصيرة، بعد أن شغل كرسي ساليق نحو اثنتي عشرة سنة (٤٨٤–٤٩٦).

ولكن هذه الاضطرابات والخصومات الجارية في الكنيسة الشرقية لم تحل دون انتشار الديانة المسيحية في هضبات ايران وبين الأكراد حيث اندفع المسيحيون إلى بذل دمائهم في سبيل المسيح، أمثال القديس سابا[٣٧] الذي كان من منطقة بلشفر وتتلمذ على

٣٦) المجامع الشرقية. ص ٦٣ والترجمة. ص ٣١٢.

٣٧) سير الشهداء والقديسين ٢. ص ٦٣٥–٦٨٠.

راهب اسمه كليليشوع[٣٨] واستشهد سنة ٤٨٧ في منطقة بيث ارامايي. إلاّ أن هذه الاضطرابات كانت حقلاً خصبًا للمنوفيزيين الذين أحسنوا استغلالها وزادوا من نفوذهم في المنطقة الشرقية.

أجل لقد اكتسب المنوفيزيون نفوذًا قويًا في المنطقة الرومانية وبدأوا يتسربون في المنطقة الفارسية أيضًا. وقد رأيناهم يزعجون برصوما حتى في نصيبين مركز أبرشيته، مما دفعه إلى أن يتقرّب من الجاثليق ويطلب منه أن يحرمهم[٣٩]. وأفلحوا في تنظيم صفوفهم بين القبائل العربية المتاخمة للأمبراطورية الفارسية، ولاقوا كل مؤازرة من الأمراء اللخميين. ولعب سمعان الأرشمي دورًا رئيسًا في هذا الانتشار. فانه كان لولب الحركة المنوفيزية بين الشرق والغرب. وسيأتي الكلام عنه وعن نشاطه في المنطقة الشرقية. وكان بعض الأباطرة الرومان يساعدونهم أيضًا، أمثال الملك زينون في مرسوم الاتحاد أو المصالحة «هينوتيكون» الذي أراد فرضه على النساطرة. وحتى في المجمع الذي عقده باباي سنة ٤٩٧، تحزب أسقفان شرقيان للمذهب المنوفيزي، وهما: فافا أسقف بيث لافاط الذي كان زميلاً في الدراسة لفيلوكسينس المنبجي، ويزداد أسقف روارداشير[٤٠].

مجمع باباي (٤٩٧)

ان العلاقات الحسنة التي كانت سائدة بين المملكة الفارسية والكنيسة الشرقية في عهد الجاثليق آقاق استمرت في عهد خلفه أيضًا، رغم الظروف السياسية الحرجة التي اجتازتها البلاد. فان قباذ الأول. الذي خلف بالش سنة ٤٨٨ على عرش الأمبراطورية الفارسية، أراد أن يطبق فيها بعض النظريات المزدكية[٤١]. وقد استهدف من وراء ذلك تحطيم الطبقة الارستقراطية في البلاد والسيطرة على أموال الاقطاعيين الكبار. ولكن المجوس لم يرضوا بذلك، فعملوا على عزله وإقامة أخيه «زاماسف» بن فيروز مكانه في الحكم. وكان زاماسف أيضًا عطوفًا على المسيحيين. وقد نقل إلينا ماري[٤٢] وصليبا[٤٣] حوارًا جرى

٣٨) وعلى اسم هذا الراهب دعي دير البطاركة في بغداد.

٣٩) المجامع الشرقية. ص ٥٢٨ والترجمة. ص ٥٧٤–٥٧٦.

٤٠) المصدر نفسه. ص ٦٥ والترجمة. ص ٣١٤.

٤١) نسبة إلى شخص يدعى مزدك عاش في هذا العهد وناضل في سبيل فرض النظرية الداعية إلى الاشتراكية في الأموال والنساء.

٤٢) ماري في المجدل، ص ٤٦–٤٧.

٤٣) صليبا في المجدل. ص ٣٦–٣٧.

ان كل مرة لم تخضع نصيبين لمديرها الجالس على كرسي الكنيسة المقدسة في ساليق ، حدثت في الشرق نتائج وخيمة وحلّت مصائب كبيرة[32]. وإذ شعر برصوما بصعوبة موقفه في نصيبين من جراء أناس مناوئين ولتغلغل العنصر المنوفيزي في المدينة ، التجأ إلى الجاثليق وطلب منه التدخل للحد من المعارضة في مركز أبرشيته ورشق المشاغبين بالحرم لعلهم يرجعون عن غيهم. وتمكن برصوما بدهائه من الحصول على رسالة من الملك فيها يأمره بالبقاء في مركز أبرشيته بالنظر إلى الاضطرابات السياسية المتوقعة في المنطقة الشمالية. وحاول برصوما إرضاء الجاثليق فأرسل له هدية نقدية دسمة مع بولس أسقف ليدان...

هذه كانت الأعذار الخارجية التي قدمها برصوما. ولكننا نشعر ان لتصرفه هذا أسبابًا أخرى تتلخص في تردده أو خوفه من الحضور في هذا المجمع بالنظر إلى سلوكه الشخصي وإلى ما قام به من المعارضة للسلطة الكنسية. لا سيما وان قضية بابوي ما زالت حديثة العهد. وقد أثر تخلفه هذا على الأساقفة في المناطق المجاورة ، فأحجم عدد منهم عن الحضور أيضًا. لذا فإن المجمع لم يضم في الواقع سوى مطرافوليط بيث كرماي وأسقف كشكر وبقية الأساقفة الدائرين في فلك الأبرشية البطريركية ، ونفر آخر أتوا من بعيد ، أمثال جبرائيل أسقف هراة (خرسان). وكان الجاثليق نفسه يرئس المجمع.

بدأ المجمع جلساته في شهر شباط سنة ٤٨٦. وبعد مقدمة قصيرة ، توصل الآباء إلى سن ثلاثة قوانين هامة تطرقوا فيها إلى الشؤون الكنسية الراهنة:

القانون الأول

تطرق إلى قضية الرهبان الذين يتجولون من موضع إلى آخر ، في المدن والقرى ، وهم يعلّمون تعاليم فاسدة فيما يتعلّق بالإيمان الصحيح بالمسيح. ففرض المجمع على هؤلاء الرهبان العودة إلى مناسكهم أو إلى ديورتهم. ثم حدد الآباء عقيدة الكنيسة الشرقية بقولهم: «يجب أن يكون إيماننا جميعًا بالاعتراف بطبيعة إلٰهيّة واحدة في ثلاثة أقانيم كاملة لثالوث واحد حقيقي وأزلي ، الآب والابن والروح القدس. (هذا الثالوث) الذي به تقهر الوثنية وتدان اليهودية. ويكون إيماننا أيضًا بتدبير المسيح بالاعتراف بالطبيعتين: اللاهوت والناسوت. ولا يتجاسرنَّ أحد منا أن يدخل في اختلافات هاتين الطبيعتين مزجًا أو خلطًا أو بلبلة. فبينما يكون اللاهوت قائمًا ومحتفظًا بخواصه ، نضم في سيادة واحدة وسجود

---

٣٢) الموضع عينه. ص ٥٢٨.

واحد اختلافات الطبائع لأجل الاقتران الكامل والغير المنفصل الذي صار بين اللاهوت والناسوت. وإذا فكر أحد أو علم لآخرين ان الألم والتغيير يلحق بلاهوت ربنا. ولا يحفظ، بالنظر إلى وحدة شخص (فرصوفا) ربنا، الاعتراف بإله كامل وإنسان كامل. ليكن هذا محرومًا»[٣٣].

القانون الثاني

يعيد الكرة على الرهبان المتشردين ويأمرهم بالعودة إلى ديارهم ويمنعهم من الإقامة في المدن والقرى أو تسلم الخدمات الدينية أو القيام بالمراسيم الكنسية حيثما يوجد مطران أو كهنة أبرشيون. ويناشد المؤمنين والرؤساء عدم الاستجابة إلى مطاليب هؤلاء الرهبان أو مساعدتهم، وإلاّ فإنهم يعرّضون أنفسهم للحرم[٣٤].

القانون الثالث

يرفض على المطران. أيًا كان، الحق في منع الزواج في نطاق أبرشيته، ويأمره بألاّ يفرض البتولية قسرًا على اقليروسه، كهنة كانوا أم رهبانًا، ويستند في ذلك إلى قول الرب (متى ١٩/١١–١٢) وكتابات القديس بولس الرسول (١ كور ١/٧، ٢، ٨، ٩). فعلى كل واحد أن يختار بين البتولية والزواج الشرعي. وسمح هذا القانون للشمامسة بأن يتزوجوا وكذلك للكهنة إذا توفيت زوجتهم، وحذّر عليهم منع اثمار الزواج، إلاّ لعلة العقم. أما المتبتلون منهم، فعليهم أن يقيموا في الأديرة. وهكذا فإن هذا المجمع جاء في الواقع تأييدًا لما وضعه برصوما النصيبيني في مجمع بيث لافاط[٣٥].

ثم تُليت تواقيع الآباء الخمسة والعشرين الحاضرين وفي مقدّمتهم الجاثليق آقاق.

وقد يكون الدافع الذي حدا الآباء إلى اتخاذ هذا الموقف المتساهل تفشي الشرور والعادات المجوسية بين المؤمنين وحتى بين الاقليروس نفسه. فلكي يتجنبوا الوقوع في المعاثر ويعطوا الكنيسة مظهرًا لائقًا أمام الفرس الوثنيين الذين كانوا يقدّسون الزواج ويستهجنون من يرغب عنه لأية علة كانت. التجأ آباء هذا المجمع إلى إعادة الشرعية لزواج الاقليروس. وأصبحت هذه القوانين سارية المفعول في الكنيسة الشرقية منذئذ للدرجات

---

٣٣) المجامع الشرقية. ص ٥٤–٥٥ والترجمة. ص ٣٠٢.

٣٤) الموضع عينه. ص ٥٥–٥٦ والترجمة. ص ٣٠٢–٣٠٣.

٣٥) الموضع عينه. ص ٥٦–٥٩.

بضربات المفاتيح. أما ابن العبري فيضع هذا الحادث عينه في منطقة طور عبدين[٢٦].

إلاّ أن الملك فيروز الذي كان يساند برصوما النصيبيني ويحميه توفي هو أيضًا في صيف عام ٤٨٤، منتحرًا في المعركة التي خاضها ضد الهونيين. وخلفه بالش على العرش الفارسي. ولم يكن برصوما يلاقي أذنًا صاغية لدى هذا الملك. ورأى المسيحيون الفرصة مؤاتية، فانتخبوا لهم جاثليقًا خلفًا لبابوي. وكان هذا المنتخَب «آقاق» الذي كان من خريجي مدرسة الرها وزميلاً لبرصوما في هذه المدرسة. وكان قد رافق نرساي وبرصوما عند تيودولس خلف تيودوروس المصيصي، فباركهم هذا الملفان وأسبغ الألقاب على الأستاذ الكبير نرساي، وسمى آقاق أيضًا عمود المشرق[٢٧]. وكان آقاق من جهة أخرى يمت بصلة القرابة إلى الجاثليق بابوي، وقد استقدمه هذا إلى المداين لكي يعلم في مدرسة ساليق الشهيرة، ولكي يدحض أيضًا مزاعم برصوما وآراءه المناهضة للجاثليق. وحاول برصوما الطعن في سيرة الجاثليق الجديد أيضًا وإظهاره بمظهر سيء أمام المؤمنين، وحرّض المجوس عليه، فحبسوه زمانًا وآذوه»[٢٨]. ولكن آقاق دحض مزاعم برصوما ببرهان قاطع لا يترك مجالاً للشك في فضيلته، كما يرويه لنا ماري ببساطته المعهودة[٢٩]. فخزي برصوما إذ ذاك ولم يسعه إلاّ التقرّب من الجاثليق والإقرار بسوء تصرفه تجاه سلفه الراحل.

أما الأسباب التي حدت برصوما إلى اتخاذ هذا الموقف المسالم فهي عديدة، منها:

١. شعر برصوما بتضعضع موقفه من جراء موت الملك فيروز.
٢. علم أيضًا ان آقاق من الثقافة والسيرة الفاضلة بحيث لا يتسنى له مقاومته.
٣. تحقّق ان الصراع غير مجدٍ. بل هو مضر جدًا في الظروف العسرة التي تجتازها الكنيسة الشرقية. لأن النفوذ المنوفيزي أخذ في الازدياد وبدأ يتسرّب في الشرق أيضًا فليس من المعقول أن يعمل هو برصوما على تفريق القوى أمام هذا العدو المشترك المداهم. وقد تحقّق مطرافوليط نصيبين ان هذا الخطر يهدّد مركزه بالذات. وهذا ما نستشفه من رسالته الثالثة إلى الجاثليق آقاق[٣٠]. فإن المنوفيزيين كانوا يلقون كل عون وتأييد من الأمبراطورية الرومانية آنذاك. ومن ثمة فقد شعر برصوما بافتقاره إلى تأييد الجاثليق

---

٢٦) ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢، ٧٧.

٢٧) التاريخ السعردي ٢. ص ٢٠-٢١.

٢٨) الموضع عينه. ص ٢١.

٢٩) ماري. ص ٤٣.

٣٠) المجامع الشرقية. ص ٥٣٥.

للحد من نفوذهم المتصاعد حتى في مدينته وإيقاف تغلغلهم فيها.

مجمع بيث عذراي (٤٨٥)

ما ان أظهر برصوما رغبته في التفاهم، حتى رحب بها الجاثليق آقاق وأبدى استعداده التام لإجراء المفاوضات. واتفق الفريقان على أن تكون المفاوضات في بلدة بيث عذراي (باعدري) الواقعة بالقرب من القوش شمالي الموصل. وهناك، بعد مداولات طويلة وشاقة توصلوا إلى نتيجة ايجابية. وكان ذلك في شهر آب من سنة ٤٨٥. فقدم برصوما الطاعة للجاثليق واستنكر كل ما جاء في مجمع بيث لافاط سنة ٤٨٤ وألغى مقرراته. ثم طلب إلى آقاق أن يدعو إلى مجمع آخر عام يُعقد في ساليق للنظر في قضايا الكنيسة وإعطائها الصيغة الرسمية النهائية. ولقي هذا الاقتراح استحسان الجميع.

مجمع ساليق (٤٨٦)

نزولاً عند رغبة برصوما وابتغاء توحيد الآراء في الكنيسة الشرقية، عقد الجاثليق آقاق مجمعًا في ساليق سنة ٤٨٦، حضره عدد من الأساقفة، ومن بينهم بعض أتباع برصوما. أما برصوما نفسه، فقد تخلّف عنه متذرّعًا بشتى الحجج والأعذار، في سلسلة من الرسائل وجهها إلى الجاثليق يعلن له فيها ولاءه ويقدم احترامه وطاعته ويبدي أسفه على ما صدر عنه ضد الجاثليق بابوي في مجمع بيث لافاط[٣١].

أما الأعذار التي قدمها برصوما لعدم حضوره فهي ان المقاطعات الشمالية من المملكة الفارسية معرضة لمجاعة شديدة ولهجوم الرومان الانتقامي على بعض القبائل الرحل التي عاثت فسادًا في منطقتهم... ولهذا فهو يطلب إلى الجاثليق ان يؤجل المجمع إلى السنة التالية، ريثما يرجع من العاصمة البيزنطية حيث أرسله الملك الفارسي بالش لكي يُطلع الرومان على تسلمه زمام الملك في البلاد الفارسية. ولكن الجاثليق حرّض برصوما على الحضور في المجمع رغم ذلك. فاعتذر برصوما في رسالة أخرى أقرّ فيها أنه في السابق أثار الأساقفة على بابوي، ولكنهم هم أيضًا حرّضوه على العصيان وأشاروا عليه بأشياء «غريبة عن المسلك المسيحي». ثم استنكر من جديد مجمع بيث لافاط وألغى مقرراته واعترف

(٣١) طالع في شأنها المجامع الشرقية. ص ٥٢٥ - ٥٣١ والترجمة. ص ٥٣١ — ٥٣٩.

ليتدخل في تلطيف الجو على المسيحيين في المملكة الفارسية. ولدينا وثائق عديدة تنقل إلينا هذا الحادث، منها نسطورية وأخرى منوفيزية[١٨].

وقد يكون ما يرويه التاريخ السعردي هو الأقرب إلى الحقيقة والواقع. فإنه يقول في سياق حديثه عن الاضطهاد الذي شنّه الملك فيروز على النصارى في البلاد الفارسية: «... واغتم بابوي بذلك غمًا شديدًا. وكتب إلى زينون ملك الروم كتابًا يشكو إليه فيه ما جرى على رعيته ويسأله مكاتبة فيروز في تخفيف الأذى. وأنفذه مع رسول وجعله في جوف عصاه. فلما وصل نصيبين. وقف أصحاب برصوما ما عليه. فأخذوا الكتاب وأنفذوه إلى فيروز. ويقال ان برصوما فعل ذلك. فأحضر بابوي وعرض عليه الكتاب مختومًا بخاتمه. فاعترف بصحة الختم. وكان قد ضمّنه ما قاله بنو حننيا في أمر بختنصر. وأسلمه الله إلى «المملكة الأثيمة» (ملكوثا رشيعتا) التي هي شر من سائر ممالك الأرض[١٩]. فلما قرئ الكتاب بحضرة فيروز وفسر إلى الفارسية اغتاظ. وقال انت مستحق القتل لأنك سميت مملكتي الجبارة أثيمة. وقد كانت سبيلي أن أقتلك منذ وقت خالفت أمري وأسمت الأساقفة. ولكن تغافلت عنك. فتجاوزت ذلك إلى غيره فقال من حضر من النصارى إنما أراد بالمملكة الأثيمة. أي المخالفة للنصارى. ولو عدل عن ذلك لظن الروم انك نصراني وفيه وضع من ملكك. واعتذر بابوي وقال أنا أدعو للملك دائمًا وأصلي عليه وأحب مملكته. فقال له فيروز خطأك أعظم من أن يُغفر. فإن كان ما ذكرته من محبتك صحيحًا فاسجد للشمس لاعلم حقيقة ذلك. فامتنع. فأمر أن يعلّق على خشبة باصبعه التي فيها الخاتم المختوم به الكتاب. فعُلِّق بخنصره خارج المداين إلى أن مات. وأخذ جسده قوم من الحيرة ودفنوه بها وكُتب اسمه مع الشهداء»[٢٠]. وتضيف قصة حياته قائلة: «لأنه صُلب بدافع بغض المجوس وبني شعبه»[٢١]. والإشارة ههنا واضحة إلى برصوما والذين آزروه في حملته ضد الجاثليق بابوي. وقد حدث هذا بعد

---

١٨) طالع مثلاً ميخائيل السرياني. طبعة شابو، ص ٢٣٩. ٤٢٥؛ والترجمة ٢، ص ١٢٣ و٤٣٧؛ ماري، ص ٤١-٤٣؛ صليبا، ص ٢٩-٣١؛ ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥؛ التاريخ السعردي ٢. ص ٧-١٠؛ بيجان، سير الشهداء والقديسين ٢. ص ٦٣١-٦٣٤؛ ادي شير. أشهر شهداء المشرق ٢. ص ٣٨٠-٣٨٤.

١٩) طالع سفر دانيال النبي ٣/٣٢.

٢٠) التاريخ السعردي ٢، ص ٩. ١٠.

٢١) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٦٣٤؛ شهداء المشرق ٢، ص ٣٨٠-٣٨٤.

مجمع بيث لافاط بمدة وجيزة ، أي قبل موت الملك فيروز الذي جرى في صيف سنة ٤٨٤ . وكانت مدة بابوي في الجثلقة ٢٧ سنة .

برصوما المضطهد

استطاع برصوما التخلص من خصمه الأكبر الجاثليق بابوي . فخلا له الجو ليمارس نفوذه ويظهر بطشه لكل من لا يسايره في المذهب والآراء ، لا سيما وان الملك فيروز يسانده ويضع قوة تحت تصرفه . إلاّ أن برصوما أصبح عرضة للطعن وبولغ في قساوته . حتى لقد قيل انه قتل أكثر من سبعة آلاف منوفيزي . لا نكير انه أظهر قساوة كبيرة ضد خصومه . وقد شهد على ذلك الكتبة الشرقيون أنفسهم . فان ماري يقول ، « طلب فيروز الملك اليعاقبة وقتلهم وقتل منهم بتكريت خلق وتمجّس الباقون ... وقتل من اليعاقبة في شرقي الموصل خلق »[٢٢] . ويقول صليبا : « ... وجرى لأجل ذلك أشياء يطول شرحها بين برصوما وأهل مذهب جبرائيل أُريق فيها الدماء »[٢٣] . وهنا يسمي صليبا المنوفيزيين من أهل جبرائيل وهي تسمية سابقة لأوانها . إذ إن جبرائيل السنجاري كان طبيب الملك كسرى الثاني في مطلع القرن السابع . ومن الغريب ان سمعان الأرشمي (+ قبل ٥٤٠) الذي عاش قريبًا من هذه الأحداث لا يذكر شيئًا عن اضطهاد برصوما لبني مذهبه[٢٤] . أما ميخائيل السرياني الكبير[٢٥] ، فانه يستند في حديثه إلى ما كتبه ماروثا التكريتي في نحو سنة ٦٣١ ، أي بعد قرن ونصف قرن من وقوع هذه الأحداث الدامية .

ويمكننا تحديد زمان اضطهاد برصوما بين موت بابوي سنة ٤٨٤ ومجمع بيث عذراي سنة ٤٨٥ . أما مسرح هذه الأحداث فيتسنى لنا تعيينه في منطقة تمتد ما بين المداين حتى شمالي نينوى (الموصل) . ويبان ان ما قيل عن مقاومة تكريت لبرصوما ليس إلاّ من العناصر التي أُضيفت إلى الوثائق في عهد متأخر ، وذلك لكي تعطي أهمية لتكريت التي أصبحت قلعة المنوفيزية بعد منتصف القرن السادس خصوصًا ، حتى قيل ان برصوما قُتل في كرمى بالقرب من تكريت ، وان اغتياله جرى على يد راهبة أرثوذكسية قضت عليه

٢٢) ماري ، ص ٤٥ .
٢٣) صليبا ، ص ٣٤ .
٢٤) طالع رسالته الأولى في م . ش . ١ . ص ٣٥٤-٣٥٦ .
٢٥) راجع تاريخه ٢ . ص ٤٣٨-٤٤٠ .

الجاثليق في السجن حتى سنة ٤٦٤ حيث عُقدت معاهدة صلح بين الروم والفرس فأُخلي سبيله. أم ابن العبري، فإنه يوجز هذه الأحداث ويقول: كان (بابوي) من أصل مجوسي وأحب المسيحية فآمن واعتمد وعكف على قراءة الكتب المقدسة جهد استطاعته. ولما سمع به ملك الفرس انه رذل ديانة المجوس، غضب عليه وسجنه سبع سنوات وهو يسومه العذاب ليكفر بالمسيح. ولكن عزيمته لم ترتخِ. ولما استتب السلام بين الروم والفرس، خرج من السجن. وحينما رأى الأساقفة رسوخ إيمانه، انتخبوه وأقاموه جاثليقاً[١٢].

ولكن حياة بابوي لم تخلُ من الصعوبات. فقد أصبح له السجن مدعاة للافتخار، واعتبر نفسه شهيد الإيمان. فاستولى عليه الجشع وأهمل القوانين الكنسية[١٣]. وفي مقدمة الساخطين عليه كان برصوما الذي عرف أن يكتسب تأييد كثير من الأساقفة أقرانه، فالتفوا حوله وعقدوا في نيسان سنة ٤٨٤ مجمعاً في بيث لافاط عاصمة هوزستان. ومن بين الذين تضامنوا معه كان يوحنا من بيث سلوخ ومعنا من رواردشير مع رؤساء أبرشيات ليدان وفارس وبيث كرماي وميشان وعيلام، يؤازرهم في حركتهم هذه العلماء المتخرجون من مدرسة الرها الذين معظمهم كانوا زملاء لبرصوما النصيبيني. وترأس المجمع برصوما نفسه وناني مطران فرات ميشان. وقرر المجتمعون إسقاط الجاثليق وشجب أعماله. وقد تضمن هذا الشجب «تشكيات ومذمات وافتراءات وشهادات على مار بابوي»، كما جاء في رسالة برصوما نفسه[١٤] إلى الجاثليق آقاق. ومن جملة ما قرره هذا المجمع انه حرم هرطقة المنوفيزيين و«كل من لا يقبل كتب تيودوروس المفسر الممتلئة حكمةً وصواباً»[١٥]. وسمح المجمع أيضًا للكهنة والرهبان والأساقفة أن يتزوجوا إن لم يقدروا أن يضبطوا أنفسهم. ومن مقرراته أيضًا أنه منع السيمونية والتزوج بامرأة الأب والأخ وبامرأتين، كما كانت العادة عند المجوس...

ولم يقف الجاثليق بابوي مكتوف اليدين أمام هذه الإجراءات. بل عقد هو أيضًا مجمعًا في المداين ضم الأساقفة الموالين للكرسي الجاثليقي، وكلهم من الأبرشية البطريركية. وهم: ميهر نرسا أسقف الزوابي وشمعون أسقف الحيرة وموسى أسقف

---

١٢) التاريخ الكنسي لابن العبري ٢. ٥٩؛ سير الشهداء والقديسين ٢. ص ٦٣١. حاشية ١.

١٣) ويفتتح القسم الثاني من التاريخ السعردي بسرد نقائص بابوي. طالعه ٢. ص ٧-٩.

١٤) المجامع الشرقية. ص ٥٢٦ و٥٣٢.

١٥) المصدر نفسه. ص ٢١١.

فيروزشابور (الأنبار) ويزدجرد أسقف بيث داراي ودانيال أسقف كرمى (القرية من تكريت). وحرموا هم أيضًا برصوما والموالين له في مجمع بيث لافاط.

ويوجز التاريخ السعردي هذه الأحداث الأليمة قائلاً: «لما رأى الآباء ما يجري (من تصرفات بابوي). اجتمعوا في السنة الخامسة والعشرين (بالأحرى السابعة والعشرين) لفيروز لمعاتبة بابوي على ما يستعمله. وعملوا قوانين حظّروا التزويج بامرأة الأب والأخ وبامرأتين وأشياء كثيرة. فقاومهم بابوي ومن في جملته من الأساقفة وقترسهم (حرمهم). وفعلوا هم مثل ذلك وحرموا كل من يخالف ذلك وما وضعوه ورسموه. وكتب برصوما مطران نصيبين كتابًا أطلق فيه أن يتزوج الديرانيون والكهنة الذين لا يمكنهم ضبط أنفسهم. واحتج بقول فولوس التزويج خير للإنسان من الاحتراق بالشهوة (١ كور ٧/٩). ورضي بذلك الأساقفة المجتمعون معه»[١٦].

وقد زعم البعض ان هذا المجمع البيلافاطي هو الذي قرّر مصير الكنيسة الشرقية وبتّ أمر تبني المذهب النسطوري فيها. ولكني أرى في هذا القول كثيرًا من المبالغة. نظرًا إلى كون هذا المجمع ضيق النطاق. إذ انه لم يضم إلاّ بعض الأساقفة الموالين لبرصوما ضد إرادة الجاثليق الذي كان يُعتبر بحق رئيس الكنيسة الشرقية وإليه يعود أمر تقرير مصيرها. ثم ان برصوما نفسه نقض وأبطل هذا المجمع بعد أشهر قلائل. حينما وجّه رسائله إلى الجاثليق الجديد آقاق. واستنكر ما جاء فيه من الأقوال النابية بحق الجاثليق المتوفى بابوي. هذا بالإضافة إلى أن هذا المجمع لم يحتوِ على أي تجديد عقائدي ولم يسنّ قانونًا بقي نافذ المفعول. ما خلا ذلك الذي أيده المجمع العام الذي عقده الجاثليق باباي سنة ٤٩٧ من السماح بتزويج الكهنة والأساقفة وحتى الجاثليق نفسه[١٧]. ولم يعترف الشرقيون، حتى مجمع غريغور الأول (سنة ٦٠٥). بأن مجمع بيث لافاط هو الذي كان قد قرّر الاعتراف بشروح تيودوروس المصيصي كتفسير رسمي للكتاب المقدس في الكنيسة الشرقية. وذلك ردًا على افتراءات أناس مغرضين على هذا المفسر الكبير.

ولكن برصوما النصيبيني لم يقف عند هذا الحد. بل أخذ يتحين الفرص للإيقاع بالجاثليق الذي ثقل عليه ظله. فأراد التخلص منه بأية وسيلة كانت. ووجد الفرصة مؤاتية حينما قبض على رسالة أنفذها الجاثليق إلى الأمبراطور الروماني زينون فيها يستنجده

---

١٦) التاريخ السعردي ٢. ص ٨ - ٩

١٧) المجامع الشرقية. ص ٣٠٨ - ٣٠٩. ٦٢١ - ٦٣٥

العلماء الذين نشروا الثقافة السريانية في الشرق ، وتبوأ معظمهم كراسي أسقفية وساهموا في إدارة الكنيسة وتسيير دفتها .

غير ان هذه المدرسة الشهيرة تأثرت بتيارات الأفكار السائدة آنذاك في أنطاكيا وما حولها ، وسرعان ما تبنت النظرية الأنطاكية ، فأصبح ديودوروس الطرسوسي وتيودوروس المصيصي الرائدين الرئيسين في هذه المدرسة بأفكارهما . ومع هذا فإن ربولا مطران الرها اتخذ موقفاً مناوئاً لتعاليم نسطوريوس الذي اعتلى العرش القسطنطيني ، كما قلنا ، سنة ٤٢٨ ، وبذلك عارض ربولا أفكار « المفسر » (أي تيودوروس) أيضاً وانضم إلى رأي قورلس الإسكندري . ويُقال ان سبب ذلك كان ان « المفسر » افحم ربولا مرة في جدال جرى في العاصمة البيزنطية ، فحقد ربولا عليه . إلاّ أن « هيبا » مدير المدرسة كان من المتمسكين بتعاليم « المفسر » ومن المجاهدين في سبيل نشرها في مدرسة الفرس ، فأدى ذلك إلى خلاف عميق بينه وبين ربولا أسقف الرها الذي لم يتردّد ، في سورة غضبه ، في إحراق ما كان هيبا قد نقله من اليونانية إلى السريانية من كتابات المفسر . ولما أصبح هيبا أسقفاً للرها سنة ٤٣٥ ، بعد موت ربولا ، انفتح المجال أمامه لكي يعمم على المدرسة تعاليم تيودوروس ونسطوريوس . وحينما مات قيورا الذي خلف هيبا في إدارة المدرسة . عهدت إدارتها إلى نرساي الملفان الشهير . فأخذ المدير الجديد يبث فيها تعاليم تيودوروس المصيصي بكل حماس ...

إلاّ أن النفوذ المنوفيزي أخذ يتسرّب هو أيضاً في مدرسة الفرس ، لا سيما حينما طُرد من الرها هيبا أسقفها وحلّ محله « نونا » المنوفيزي بأمر من المجمع الذي عُقد سنة ٤٤٩ ، إلاّ أن نونا أُقصي عن كرسي الرها بحسب قرار مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ . ولكنه عاد فاحتلّ هذا الكرسي من جديد سنة ٤٥٧ . وفي سنة ٤٤٩ غادر المدرسة عدد كبير من الأساتذة والطلاب وتوجّهوا شطر البلاد الشرقية . وكان برصوما واحداً من هؤلاء المغادرين ، وقد أصبح مطراناً على نصيبين قبل سنة ٤٥٧ ، إذ انه في هذه السنة استوقف نرساي ، الذي فرّ بدوره من المدرسة الرهاوية ، وطلب إليه أن يؤسس مدرسة في نصيبين ، لكي تواصل عمل المدرسة التي كان مار يعقوب النصيبيني قد سلّم إدارتها بيد القديس افرام الملفان في نحو سنة ٣٢٥ ... وأخذت عوامل الانحلال تدب في مدرسة الرها والخلافات تتفاقم بين الأساتذة والطلاب من المتمسكين بمذهب نسطوريوس ومن المتحزبين للمذهب المنوفيزي المناوئ . وأضحت المدرسة مركزاً للمشاحنات والخصومات ، ولم تعد تؤدي الرسالة العلمية التي امتازت بها في عهدها الزاهر . وفي سنة

٤٨٩ ، نال قورا أسقف الرها اذنًا من الأمبراطور زينون بإغلاق المدرسة.

برصوما النصيبيني ونرساي الملفان[٩]

ان مجيء نرساي الملفان إلى نصيبين لفت الأنظار إلى هذه المدينة التي سرعان ما أصبحت مدرستها قبلة أنظار الطلاب ومنبت العلماء. وقد زاد هذا من شهرة مطرانها الطموح الذي كان زميلاً لنرساي في مدرسة الرها. وعرف برصوما أن يكتسب بدهائه عطف الحاكمين الذين استغلوه لأغراضهم السياسية. فبرصوما كان مطّلعًا على الشؤون الرومانية، وكان من رعايا المملكة الفارسية. فارتبط بروابط الصداقة مع مرزبان المقاطعة، ونال حظوة لدى الملك فيروز حتى أصبح أحد مستشاريه. وهذا ما جعل من برصوما خبيرًا في السياسة أكثر منه مطرانًا. وأخذت تصرفاته تتسم بطابع العلمنة وأخلاقه تتردى، حتى أجاز لنفسه معاشرة راهبة اسمها «ماموي». وأدى ذلك إلى خلاف نشب بينه وبين مدير مدرسته نرساي الملفان الذي قرن العلم الواسع بفضيلة راسخة. وما أكثر الكتابات التي تدل على ذلك. وقد بذل نرساي النصح لصديقه لكي يعدل عن تصرفاته المشينة ولكن برصوما أصغى إلى شيطان الهوى، حتى قيل انه، مدفوعًا من ماموي، طرد مدير مدرسته... وسيحاول برصوما تبرير عمله المنحرف وإيلائه صبغة قانونية في المجمع الذي سيعقده في بيث لافاط سنة ٤٨٤.

برصوما والجاثليق بابوي

بعد موت الجاثليق داديشوع سنة ٤٥٦، انتخب بابوي سنة ٤٥٧. وذلك في عهد الأمبراطور الروماني مرقيان (٤٥٠–٤٥٧) والملك الفارسي هرمزد الثالث الذي لم يدم حكمه سوى سنتين (٤٥٧–٤٥٩). ثم خلفه الملك فيروز الذي تكلمنا عنه سابقًا. كان بابوي من بلدة «تلا»[١٠] على نهر صرصر[١١] وكان من أصل مجوسي. وما ان أتى فيروز إلى الحكم حتى اضطهد كل الذين كانوا موالين للملك السابق هرمزد الثالث أو من الذين اعتلوا بعض المناصب في عهده. وكان بابوي من جملة الذين اعتُقلوا بأمر الملك، وظل رهن الاعتقال سنتين بحسب ماري وسبع سنين بحسب صليبا. مهما يكن من أمر فقد ظل

٩) طالع عنها كتاب أدب اللغة الآرامية. ص ١٢٠–١٣٤.
١٠) هي تل فخار القريبة من واسط في منطقة كشكر.
١١) ماري. ص ٤١؛ صليبا. ص ٢٩.

إلى الاستنتاج ان المسيحية هي أسمى الديانات، فقد شن عليها الاضطهاد بين الفينة والفينة. جاء إلى الحكم سنة ٤٣٨ بعد موت أبيه بهرام. ويقول عنه تاريخ شهداء كرخ سلوخ[٢] انه كان في البدء يعطف على المسيحيين، ولكنه بعد سبع سنين انقلب عليهم مضطهدًا، وابتدأ بقتل ابنته التي كانت زوجته أيضًا. ثم أخذ يقصي المسيحيين عن وظائف الدولة المرموقة والرتب العسكرية الرفيعة. ونظّم حملة ضدهم وجهها إلى كرخ سلوخ (كركوك) بقيادة «طهمزجرد». وأوصاه بأن يدعو المسيحيين إلى جحود دينهم والسجود للشمس والنار والماء، وإلاّ فينزل بهم أشد العذابات. فقبض جنوده على المطرافوليط يوحنا[٣] وعلى عدد من الأساقفة والأشراف، وأعدموهم في ٢٤ آب سنة ٤٤٦. ثم تبعتهم جموع غفيرة من المسيحيين إلى الاستشهاد. وقد أثر هذا الاندفاع في نفس «طهمزجرد» فإذا به ينضمّ إلى الدين المسيحي ويعلن تنصره بشجاعة. ولم يثنه عن عزمه وعيد يزدجرد ولا وعوده. وأخيرًا مات معلقًا على الصليب في ٢٥ أيلول من السنة نفسها. وفي ٢٥ تشرين الأول سنة ٤٤٧ قُتل الشهيد بثيون الشهير في موضع قريب من مدينة حلوان. وقد نشر الأب بيجان أعمال هؤلاء الشهداء[٤]. وجدّد الملك يزدجرد اضطهاده للمسيحيين مرة أخرى قبيل سنة ٤٥٠. ومات في ٣٠ تموز سنة ٤٥٧.

أما الجاثليق داديشوع فقد سبق الملك الفارسي إلى اللحد، واتسمت حياته بالصعوبات، من الخارج بالاضطهادات ومن الداخل بالمعارضة التي لقيها من مصاف الأساقفة. وقلّة المعلومات التي لدينا عن رئاسة هذا الجاثليق قد تكون نتيجة ابتعاده عن العاصمة مع محافظته على لقب الجاثليق. وهذا ما قد يشرح عدم تعرضه للاضطهاد المباشر في عهد يزدجرد الثاني. ولا نعلم أيضًا مدى اشتراكه في الجدالات الدائرة آنذاك في العالم البيزنطي والروماني حول المعتقدات الجديدة. فهل تحزب للنساطرة؟ أم هل انه انفرد في الحيرة ينعم بالاستقلال الذي انتزعه من أنطاكيا في مستهل رئاسته إلى أن توفي ودُفن هناك بعيدًا عن كرسيه؟ ان هناك من يرى أن الرسالة التي كتبها هيبا الرهاوي كانت موجهة إلى الجاثليق داديشوع الساكن في «فيه ارداشير» معللين ذلك بخطأ في

---

٢) راجع سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٢١٨.

٣) وقد كتب يوحنا هذا، قبيل القبض عليه، إلى بطريرك أنطاكيا بشأن هذا الاضطهاد الذي حل بكنيسة فارس. ونرى من ثمّة أن كنيسة المشرق ما زالت نوعًا ما ملتزمة باطّلاع أنطاكيا على شؤونها الخاصة.

٤) راجع سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٥٠٧ – ٥٣٥، ٥٥٩ – ٦٣١. ومع كون هذه الوثيقة قد كُتبت بعد مرور قرن على هذه الحوادث، فهي مع ذلك لا تخلو من زبدة قيمة من الحقائق التاريخية.

اللقب وقع في لفظة «ماري» الآرامية التي تعني «السيد» والتي تؤخذ أيضًا كاسم علم، وفي لفظة «روارداشير» و«فيه ارداشير»، والله أعلم[٥]. وقد نسب عبديشوع الصوباوي إلى كل من داديشوع وماري (أسقف روارداشير) شرحًا لسفر دانيال النبي[٦]. فهل اعتبرهما التقليد الشرقي إذن شخصًا واحدًا؟

الملك فيروز (٤٥٩–٤٨٤)

كان هذا الملك مسالمًا للمسيحيين وصديقًا لبرصوما مطران نصيبين. إلاّ أنه في سنته الأخيرة حذّر من الاعتراف بغير الديانة المجوسية وأمر بأن يُسمّي النصارى الشمس إلٰهًا والماء والنهر والكواكب أولاد الآلهة[٧]. ولكن هذه المضايقات لم تدم إلاّ وقتًا قصيرًا، ودارت حوادثها الأليمة في منطقة بيث ارامايي وحدها. وكان الجاثليق بابوي احدى ضحاياها، كما سنبين ذلك مفصلاً. إلاّ أن الموت وضع حدًا لهذه القساوة قبل أن يستفحل شرها. فقضى الملك فيروز في صيف سنة ٤٨٤، خلال احدى المعارك التي خاضها ضد الهونيين (الهياطلة).

الملك بالش (٤٨٤–٤٨٨)

هو ابن الملك فيروز، ويسمّيه التاريخ السعردي ميلاس. أبدى رفقًا بالمسيحيين وسمح لهم بإعادة بناء كنائسهم. ونال الجاثليق آقاق حظوة عند هذا الملك الذي أرسله بسفارة إلى الأمبراطور الروماني زينون[٨].

مدرسة الفرس في الرها (٣٦٣–٤٨٩)

كان القديس افرام الملفان قد أسس هذه المدرسة سنة ٣٦٣ خصيصًا للنازحين إلى الرها من المنطقة الفارسية، لا سيا بعد استيلاء الفرس على نصيبين. وأصبحت هذه المدرسة مدة قرن وربع قرن أهم مركز ثقافي في المنطقة الشرقية وقد تخرّج منها جملة من

---

٥) طالع لابور. ص ١٣٣. حاشية ٦.

٦) السمعاني في المكتبة الشرقية ٣. ١. ص ١٧١ و٢١٤.

٧) التاريخ السعردي ٢. ص ٩–١٠. ١٥. ١٦.

٨) التاريخ السعردي ٢. ص ٣٠–٣٢. ٢٣٧؛ ميخائيل السرياني ٢. ص ١٥١.

الفصل السابع

انتشار المذهبين النسطوري والمنوفيزي في المشرق

ليس في حوزتنا وثائق أصيلة تطلعنا على نشاط الكنيسة الفارسية في الفترة الواقعة بعد مجمع داد يشوع الذي عُقد سنة ٤٢٤. فإن كتاب المجامع الشرقية يلزم الصمت المطبق مدة ستين سنة. وكذا الشأن مع التاريخ السعردي الذي جاء مخروماً في الفترة الواقعة ما بين سنة ٤٢٢ و ٤٨٤. مع ان هذه الحقبة هي في غاية الأهمية للكنيسة الشرقية التي بدأت تسير نحو الانفصال عن الغرب في سياستها ثم في عقيدتها التي أخذت في الاختمار والتبلور شيئاً فشيئاً. إنما هناك معلومات نستقيها من مؤرّخين آخرين، أمثال كتبة المجدل وغيرهم، ومن المؤرّخين المنوفيزيين أمثال سمعان الأرشمي الذي كتب عن دخول المذهب النسطوري وانتشاره في المنطقة الفارسية. وكان سمعان الشاهد العيان لهذا الانتشار، لأنه كان أسقفاً على بلدة ارشم غير البعيدة عن العاصمة الساسانية[1]. وهناك أحداث سياسية دينية جرت في المنطقة الشرقية وكان لها دور هام في توجيه الأمور فيها. ونخص بالذكر منها:

اضطهاد يزدجرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧)

هو ابن بهرام الخامس. وكان رجلاً متقلّباً. ومع كونه توصل في مقارنته للديانات

١) طالع السمعاني. م. ش. ١. ص ٣٤٦-٣٥٨.

عزله، فبُرئت الآن ساحته، بعد أن حُرم نسطوريوس وأوطيخا، ثم أعيد إلى كرسيه الأسقفي الذي كان نونا قد احتله منذ سنة ٤٤٩.

ثم عكف الآباء على سن بعض القوانين الخاصة بتنظيم الحياة في الكنيسة واقليروسها ورهبانها. غير ان الآباء في إحدى الجلسات، وبغياب ممثلي البابا، قرّروا إعطاء أهمية كبرى لكرسي القسطنطينية وتخويله سلطة واسعة توازي سلطة الكرسيين الإسكندري والانطاكي، بل تضاهي نوعًا ما سلطة الكرسي الرسولي في روما. فاحتج ممثلو البابا على هذا القرار، وطلبوا ان يدوَّن هذا الاحتجاج في أعمال المجمع دلالة على عدم مسايرتهم لأطماع القسطنطينية المجحفة بحق الكرسي الروماني.

وعلى أثر ذلك ارفضَّ المجمعُ الخلقيدوني في نهاية تشرين الأول سنة ٤٥١، ووجّه الآباء رسالة إلى البابا بواسطة ممثلية يبدون له فيها كل احترام ويطلعونه على ما تمخّض عنه المجمع وعلى القرارات الإدارية التي اتخذت لإعلاء شأن الكرسي القسطنطيني، وذلك لتيسير الأمور في الإدارة الكنيسية. ولما تلقى البابا هذه المقررات أرجأ جوابه عليها ستة أشهر. ثم وجّه ثلاث رسائل، واحدة إلى الأمبراطور مرقيان وأخرى إلى بولكيريا وثالثة إلى أناتول بطريرك القسطنطينية. وفيها ينحي باللائمة على هذا الأخير لتجاسره على التدخل في الشؤون التي لا تعود إلى كرسيه، ولإقدامه على رسامة بطريرك أنطاكيا، بالإضافة إلى السلطة التي يطالب بها لرسامة مطرافوليطي المقاطعات الكبرى التي هي أعرق في القدم من كرسيه. وقد ألغى البابا هذه المقررات الأخيرة، ولكنه أيّد بسلطته العليا كل ما جاء في المجمع بشأن الإيمان، وأعلن حرم أنصار نسطوريوس وأوطيخا وديوسقوروس، إذا هم لم يرجعوا عن ضلالهم... أخيرًا تدخّل الأمبراطور وسوي الخلاف بين البابا وأناتول القسطنطيني الذي أعلن خضوعه التام للبابا ونيته السلمية في الاتفاق والمحبة.

* * *

ولكن حين ظنّ آباء مجمع خلقيدونية ان القضية انتهت وظنّ البابا لاون ان الوحدة والسلام استقرا في الكنيسة، لم يكن المجمع الخلقيدوني في الواقع إلاّ نقطة انطلاق لحقبة جديدة طويلة وأليمة من الجدالات والاضطرابات التي أسفرت عن انفكاك عرى الوحدة المسيحية في الشرق وعن انفصال كنيسة فارس واستقلالها عن الكنيسة الغربية (الانطاكية)، ثم عن انشقاق كنيستي مصر وسورية.

... وهكذا نرى ان إيمان الكنيسة شقَّ طريقه إلى التعبير عن ذاته بتعابير نهائية واضحة خلال عشرين سنة من التذبذب ومن الجدالات التي لم تكن جميعها متَّسمة دومًا بالمحبة المسيحية وبروح الإنجيل ، وغالبًا ما دارت حول الألفاظ والكلمات التي أُسيء فهمها .

ومن المؤسف أن تكون هذه الانشقاقات قد جاءت نتيجة أطماع شخصية وأنه تمخَّض عنها تعنُّد الرؤساء وكبرياؤهم وتمسّكهم المفرط بكراسيهم. فان الاختلاف لم يكن سوى في الألفاظ والتعابير ، دون أن يمسَّ جوهر العقيدة المسيحية في التجسّد . في حين ان لفظة « كيانا – ܟܝܢܐ » تشير عند المشارقة إلى الطبيعة بشكل عام ، تشير عند المغاربة إلى « الشخص » ، وفي حين ان لفظة « قنوما – ܩܢܘܡܐ » تشير عند المشارقة إلى الذات الفردية ، أي إلى الطبيعة بشكل خاص ، تشير عند اليونان إلى الشخص « هيبوستاز » . أما المشارقة فيشيرون إلى الشخص بكلمة « برصوبا – ܦܪܨܘܦܐ » ... وهكذا فإن « كيانا » عند الشرقيين لا يوجد إلا في الأقنوم ، وان الكيانين (الطبيعتين) البشري والإلٰهي في المسيح موجودان في أقنومين حقيقيين – أي في ذاتين أو طبيعتين خاصتين – يوحّدهما شخص المسيح . والاتحاد في المسيح هو اتحاد في « الشخص » ، وفيه تحتفظ كل طبيعة حقيقية (أي أقنوم) بصفاتها وخواصّها .

قرار الأمبراطور. ولما لم يتمكن من الحضور شخصيًا، أوفد أربعة ممثلين عنه ليرئسوا المجمع المقرر، وليس فقط لكي يحضروا فيه شأن سائر المجتمعين.

وفي الأول من أيلول، حضر في نيقية نحو ٦٠٠ أو ٦٣٠ أسقفًا لافتتاح المجمع. ولكن الأمبراطور وجَّه رسالة إلى الآباء يخبرهم فيها بأن أمورًا إدارية طارئة تضطره إلى البقاء في العاصمة وتحول دون حضوره في المجمع، ويطلب فيها إلى الأساقفة أن ينتظروه قليلاً. ولما لم يجد الآباء إلى الصبر سبيلاً، كتبوا إلى الأمبراطور رسالة يطلبون إليه القدوم سريعًا. وإذ ذاك أمر الملك بنقل المجمع إلى مدينة خلقيدونية الواقعة على شاطئ البوسفور ازاء العاصمة البيزنطية، حيث يتسنى للملك الاهتمام بالشؤون الإدارية وتتبع سير المجمع، لقرب المكان من العاصمة.

افتتح المجمع أولى جلساته في ٨ تشرين الأول سنة ٤٥١ بحضور جميع الفئات المتخاصمة، روما والقسطنطينية وخصوم ديوسقوروس من جهة، وأنصار ديوسقوروس وأوطيخا من جهة أخرى. وكان كتاب الإنجيل الكريم موضوعًا على منصة بين الفريقين. وفي افتتاح الجلسة، قام بسكازينوس ممثل البابا وأعلن تعليمات لاون التي كانت تقضي بعدم حضور ديوسقوروس في المجمع، وإلاّ فسينسحب ممثلو البابا من المجمع. أما سبب ذلك فلأن ديوسقوروس كان قد تجاسر على عقد مجمع (سنة ٤٤٩) بدون اذن من البابا. ولأنه تصرف في ذلك المجمع كيفما شاء واستعمل حتى العنف للبلوغ إلى مآربه. وهكذا بدأت محاكمة ديوسقوروس وقُرئت وثائق مجمع سنة ٤٤٩. ولما سمح لتيودوريطس بالحضور في المجمع، أحدث دخوله ضجة كبيرة بين أنصار الشرقيين وأنصار ديوسقوروس. حتى اضطر الشرط إلى التدخل لإعادة النظام. وبعد مداولات طويلة، توصل المجمع إلى إعادة الاعتبار إلى فلابيانس – ولو بعد موته – وبذلك وجّه ضربة أليمة إلى ديوسقوروس. وبهذا عمت الفرحة بين الشرقيين الذين انبروا ينشدون في نهاية هذا النهار بحماس منقطع النظير أنشودة «قدوس الله...» باليونانية. وفي ختام هذه الجلسة دُعي الأساقفة إلى التوقيع على إقرار إيمان مطابق لمقررات نيقية والقسطنطينية وأفسس وما جاء في رسالة لاون إلى فلابيانس.

وعُقدت الجلسة الثانية في ١٩ تشرين الأول، وفيها تعالت الهتافات المؤيّدة لتعاليم قورلس ولاون، وأعلن الآباء «ان بطرس يتكلّم بواسطة لاون».

أما الجلسة الثالثة فعُقدت بعد ثلاثة أيام برئاسة بسكازينوس رئيس وفد البابا لاون. واستُدعي ديوسقوروس ثلاث مرات إلى الحضور في المجمع، ولكنه رفض المثول بحجة

المرض. وإذ ذاك فوّض الآباء ممثلي البابا باتخاذ قرار بشأن موقف ديوسقوروس. فأعلن بسكازينوس رسميًا باسم لاون وباتفاق المجمع قرارًا يقضي بعزل ديوسقوروس لأسباب عديدة. منها:

١. تأييده لأوطيخا الذي حرم في المجمع الذي عقده فلابيانس في القسطنطينية وعدم العدول عن موقفه هذا.
٢. رفضه السماح بقراءة رسالة البابا لاون إلى فلابيانس.
٣. تجاسره على رشق البابا لاون نفسه بالحرم.
٤. عدم حضوره في المجمع الحالي للإدلاء بآرائه والدفاع عنها.

وأُبلغ القرار إلى ديوسقوروس وإلى الاقليروس الإسكندري الحاضر في المجمع، وطلب الآباء إلى هؤلاء الإقليروس أن ينتخبوا مطرانًا آخر لمدينتهم خلفًا لديوسقوروس. واطّلع الأمبراطور أيضًا على ماجريات الأمور وعلى قرارات المجمع. فأرسل ديوسقوروس على الفور إلى المنفى في غنغرة الواقعة في مقاطعة بفلاغونية.

وتوالت جلسات أخرى تخللتها نقاشات حادة حول تحديد المعتقد. وأخيرًا قرّ رأيهم على هذه العبارة: في المسيح طبيعتان متحدتان بدون تغيير ولا انفصال ولا امتزاج.

وعُقدت الجلسة السادسة في ٢٥ تشرين الأول بحضور الأمبراطور والأمبراطورة. وفيها أيد الأمبراطور ما قرّره المجمع الخلقيدوني. وذيّل الآباء هذه المقررات بـ ٤٥٢ توقيعًا. وعلى أثر ذلك تعالت الهتافات باسم العاهلين الكبيرين وتبودلت التهانئ وكلمات الشكر. وهدّد الأمبراطور باتخاذ إجراءات صارمة بحق كل من تسوّل له نفسه بمقاومة هذه المقررات.

وقد أبدى الامبراطور مرقيان، في جلسة ٢٥ تشرين الأول، رغبته في أن لا يغادر الآباء خلقيدونية قبل التوصل إلى تسوية كل القضايا المتعلقة ببعض الأشخاص. فخصصوا لهذا الغرض جلسات ٢٦–٣١ تشرين الأول. وفي مقدمة هذه القضايا أتت مشكلة سلطة جوفينال الأورشليمي الذي اختص نفسه بسلطة واسعة. سرعان ما تطورت إلى بطريركية جديدة بجانب بطريركية أنطاكيا بل على حسابها. ثم تطرق الآباء إلى مشكلة تيودوريطس القورشي، وفرضوا عليه أن يحرم نسطوريوس وتعاليمه بنوع صريح فأبى في البداية. ولكنه اضطر أخيرًا إلى إعلان هذا الحرم ضد صديقه القديم. وإذ ذاك رُد إليه اعتباره وأُعيد إلى أبرشيته. وبعد ذلك فُحصت قضية هيبا مطران الرها الذي كان مجمع سنة ٤٤٩ قد

سنة ٤٤٩ لم تبلغه إلاّ في ١٦ أيار. وفي ١٣ حزيران كتب البابا رسائل عديدة وجّهها إلى مختلف الأشخاص في الشرق، وأوفد إلى المجمع المقترح ثلاثة أشخاص يمثلونه وحملهم رسالة هامة إلى البطريرك فلابيانس (*Tome à Flavien*)، فيها يستعرض المعتقد القويم ويشجب أوطيخا وتعاليمه «الفاسدة الحمقاء».

مجمع أفسس الثاني (٤٤٩)[٥]

كان افتتاح هذا المجمع قد تقرر في الأول من شهر آب. غير أن الجلسة الأولى لم تُعقد إلاّ في ٨ آب ٤٤٩ تحت نفوذ الأمبراطور الذي كان مواليًا لأوطيخا. وقد سلم الأمبراطور رئاسة المجمع إلى ديوسقورس بطريرك الإسكندرية. ومنذ البدء ظهرت أهداف الذين دعوا إلى هذا المجمع. فقد رفعوا، بادئ ذي بدء، الشجب عن أوطيخا، ووجّهوا اللوم والتهم إلى فلابيانس بطريرك القسطنطينية وإلى جميع مؤيدي نسطوريوس، ولم يسمحوا للأساقفة الذين شجبوا أوطيخا في مجمع القسطنطينية الخاص بالإدلاء بآرائهم في هذا المجمع الذي عُرف في التاريخ باسم «مجمع اللصوص» (*Brigandage d'Ephèse*)، لما دار فيه من الأساليب التعسّفية والتصرفات غير القانونية. وقد ضم هذا المجمع نحو ١٣٠ أسقفًا، معظمهم من مؤيدي الأمبراطور، عدا فلابيانس وأعضاء مجمعه البالغ ٤٢ أسقفًا، وقد أُرغموا على السكوت. والتفّ حول المجمع جملة من الرهبان الغوغائيين ومن عملاء الأمبراطور للضغط على المجتمعين وإجبارهم على اتخاذ قرار لصالح أوطيخا. أما ممثلو البابا لاون، فلم يتسنَّ لهم التعبير عن آرائهم باليونانية، ولم يعيروهم انتباهًا كبيرًا وقد أجلسوهم بعيدين عن بعضهم في المجمع لمنعهم من التشاور، ولم يعطوا فرصة لتبيان وجهة نظر البابا، وحتى لم يسمحوا لهم بقراءة رسالة البابا الموجهة إلى البطريرك فلابيانس. وبينما كانت الأمور على تلك الحال. إذا بأوطيخا يدخل إلى المجمع ويشرع في المطالبة بحقه في التبرئة ويشجب خصومه. وأخذ ديوسقوروس يثير العواطف ويهيب بالمجتمعين بصورة مسرحية إلى تأييده ونبذ آراء خصومه، تحت أنظار ممثلي البابا الذين تألّموا كثيرًا لهذه المأساة ولكنهم لم يستطيعوا مقاومة العاصفة التي أثارها ديوسقوروس، الذي دعا إلى عزل فلابيانس وإبعاده عن العاصمة. فاحتجّ فلابيانس

٥) إننا لا نرمي إلى الانحاء باللائمة على فئة من المسيحيين وتبرئة ساحة فئة أخرى في هذه الصفحات. لا سيما وان المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني قد بث بين المسيحيين قاطبة روح التسامح والمحبة. إنما ننقل الحقائق التاريخية بما فيها من الأحداث المؤلمة تارة ومن الأمور الداعية إلى الفرح طورًا.

على ذلك الإجراء، وأيّده في ذلك هيلاريوس ممثل البابا. وسادت الفوضى وعمَّ الاضطراب وتدخل الجنود بسيوفهم المستلة، ولاذ بعض الأساقفة بالفرار، ولم ينج غيرهم من الإهانات والضربات. وأُرسل فلابيانس إلى المنفى، ولكنه مات في طريق منفاه متأثّرًا بالمعاملات السيئة التي تعرّض لها في المجمع...

وبعد إعادة الهدوء، جمع ديوسقوروس عددًا كبيرًا من تواقيع الآباء تحت الضغط والتهديد. وعزل الحاضرون هيبا أسقف الرها وتيودوريطس القورشي ودمنوس بطريرك أنطاكية. رغم تخاذل هذا الأخير وانضمامه إليهم لاسترضائهم. ثم أعلنوا تأييدهم لحرم قورلس الإسكندري...

ولما بلغت هذه الأخبار إلى البابا الروماني، أبدى أسفه واستياءه الشديدين لهذه الإجراءات التي اتُّخذت تحت ستار الدفاع عن الحقيقة الأرثوذكسية. وتمكن هيلاريوس من الفرار والوصول إلى روما، حيث قدم للبابا احتجاج فلابيانس. وكتب بعض الأساقفة المظلومين رسائل مماثلة إلى البابا، يدعونه فيها إلى الدفاع عن حقوقهم والعمل على رفع الغبن عنهم. فكتب البابا إلى الأمبراطور مرات عديدة لكي يعيد الحق إلى أصحابه. إلاّ أن الأمبراطور لم يعره اذنًا صاغية.

ومات الأمبراطور تاودوسيوس الثاني في ٢٨ تموز سنة ٤٥٠، على أثر سقطة من الحصان. وإذ لم يكن له وريث، أخذت أخته بولكيريا بزمام الأمور وعقدت زواجًا شكليًا على أحد أعضاء مجلس الأعيان اسمه مرقيان الذي أُعلن أمبراطورًا في ٢٤ آب سنة ٤٥٠.

وتمكنت بولكيريا بحزم من السيطرة على الوضع حتى على الصعيد الديني، وعملت على التقليص من نفوذ ديوسقوروس وزجت أوطيخا في سجن بالقرب من العاصمة.

مجمع خلقيدونية (٤٥١)

توطدت العلاقات الحسنة بين الأمبراطور الجديد مرقيان والبابا القديس لاون، وذلك تحت تأثير الأمبراطورة بولكيريا. وفكّر الأمبراطور بعقد مجمع يؤيده البابا ويرئسه. ولكن البابا لم ير عقد مثل هذا المجمع ضروريًا، خشية أن يعكر صفاء الكنيسة من جديد، ولأن أساقفة الغرب لا يستطيعون ترك أبرشياتهم المهددة دومًا بغزو الهونيين. إلاّ أن الأمبراطور، قبل أن يتلقى جوابًا حاسمًا من البابا، دعا إلى عقد مجمع في نيقية في الأول من أيلول سنة ٤٥١، فأظهر البابا امتعاضه من هذا الأمر. ولكنه لم يعارض

حول شخص المسيح وطبيعته ، وألقى ضوءًا كبيرًا على مجرى الأفكار السائدة في الشرق والغرب .

وإذا خمدت الآن ثورة هذا البركان الهادر ، فهي لن تزال حاضرة للوثوب كلما دعت إليها الظروف وكلما استفزتها التصرفات التي لا تتسم بطابع المحبة المسيحية الصادقة . إنها أفكار تسربت إلى الشرق من مدرسة أنطاكيا وراحت تشق طريقها إلى العقول . ولن يمضي عليها نصف قرن حتى تختمر وتولي اتجاهًا خاصًا لشطر كبير من الكنيسة في الشرق .

أجل ، لقد تبودلت الرسائل في نيسان سنة ٤٣٣ بين يوحنا الأنطاكي وقورلس الإسكندري ، فيها عبّر كلا الطرفين عن اتفاقهما على التعابير الخاصة بالتجسد ، فأكّدا على الوحدة في المسيح ضد نسطوريوس وعلى حقيقة الطبيعتين فيه ضد ابوليناريوس .

التيار المعاكس

ولكن كل شيء لم ينته . فهناك التعبير الوارد في تعليم قورلس القائل « بالطبيعة الواحدة » ، الذي سوف يلاقي معارضة قوية لدى الشرقيين الذين اعتبروا قورلس منحرفًا عن الإيمان القويم . وقد أحدثت هذه المعارضة ضجة في سورية أدت إلى تدخل السلطة الحاكمة لنفي بعض المطارنة الموالين لنسطوريوس .

غير ان الأمانة المفرطة لتعابير قورلس بخصوص الطبيعة الواحدة في المسيح أحدثت انحرافًا جديدًا أدى إلى قيام المذهب الذي نادى به أوطيخا . وأخذت كتابات تيودوروس المصيصي تتسرب حتى في المناطق الأرمنية ، رغم أن آقاق مطران ملاطية وربولا مطران الرها[3] حذرا الناس من خطر هذه التعاليم إلاّ أن الأرمن استوضحوا بشأنها بروكلس بطريرك القسطنطينية الذي وجه إليهم رسالة خاصة هامة جدًا حول معتقد أفسس . وقد وافق يوحنا الأنطاكي وقورلس الإسكندري على مضمون هذه الرسالة ... وحينما توفي ربولا في آب سنة ٤٣٥ خلفه على كرسي الرها هيبا الموالي لتعاليم تيودوروس المصيصي ، وقد نقل كتابات « المفسر » (تيودوروس) من اليونانية إلى السريانية ، وكان قد وجّه رسالة

٣) طالع حياة ربولا والرسائل التي تبودلت بينه وبين قورلس الإسكندري وبعض كناياته النصحية في بيجان ، سير الشهداء والقديسين ٤ ، ص ٣٩٦ – ٤٧٠ .

إلى ماري مطران فارس[4] فيها يعرض آراءه. ولكن هيبا أصبح موضع الريبة لاقليروسه، فحوكم في أنطاكيا وفي بيروت، ثم أوقف سنة ٤٤٩ بأمر الأمبراطور الذي دعا إلى مجمع أفسس الثاني، وأوصى بعزل هيبا وبإيجاد خلف له على كرسي الرها.

أوطيخا

وفي تلك الغضون توفي يوحنا الأنطاكي سنة ٤٤٢ وخلفه دمنوس، ومات كذلك قورلس الإسكندري وخلفه ديوسقوروس سنة ٤٤٤، ووافت المنية بروكلس سنة ٤٤٦ وخلفه فلابيانس على كرسي القسطنطينية، وظل على المسرح تيودوريطس القورشي، وهو أكبر ممثل للفكرة الانطاكية ومن أقوى مؤيدي نسطوريوس، ولو أنه لا يوافقه على جميع آرائه. وكتب تيودوريطس القورشي مؤلفًا بثلاثة أجزاء أسماه «المتسول»، وهو في كتابه ينسب إلى هذا المتسوّل أخطاء في المعتقد جمعها من هراطقة عديدين. ويظهر من خلال تعابيره أنه يلمح بالمتسوّل إلى «أوطيخا» الذي كان آنذاك رئيسًا على دير كبير بجوار القسطنطينية، وكان يشاطر آراء قورلس، بدون أن يستوعبها على حقيقتها. وتوصل أوطيخا إلى كسب نفوذ واسع في البلاط أتاح له أن يساعد أصدقاءه ويقصي أعداءه. وكان ما يفتأ ينادي بعبارة قورلس: طبيعة واحدة بعد التجسد. فلم يكن لأوطيخا مذهب خاص. إنما تمسك بافراط بعبارة قورلس وأساء فهمها. وأخذت هذه التعابير تنتشر في العاصمة. فدعا فلابيانس إذ ذاك إلى عقد مجمع فيها للنظر في هذه التعاليم الجديدة. واتفق آباء المجمع الدائم في العاصمة على شجب أوطيخا وعزله وحرمه. ووقّع على هذه الوثيقة نحو ٣٠ مطرانًا و٢٣ رئيس دير. ولكن أوطيخا رفع شكواه إلى البابا لاون وإلى ديوسقوروس الإسكندري وإلى غيرهم من كبار الرؤساء. وأطلع فلابيانس بدوره البابا على تعاليم أوطيخا، وتلقى من البابا كل تأييد وتشجيع في مقاومته «للآراء الفاسدة». غير أن الأمبراطور تاودوسيوس كان ألعوبة بيد الموالين لأوطيخا. فاستعمل نفوذه لرفع الشجب عنه، ودعا إلى عقد مجمع مسكوني آخر في أفسس ليعيد الأمور إلى نصابها. وكان ديوسقوروس أيضًا مؤيدًا لأوطيخا. فاصطحب معه إلى المجمع ١٠ مطرافوليطين و١٠ أساقفة مصريين. وأقبل الارشمندريت برصوما أيضًا مع جحافل رهبانه. ودُعي البابا لاون كذلك إلى هذا المجمع. إلاّ أن الدعوة الموجهة إليه في ٣٠ آذار

---

٤) هناك من يظن ان ماري هذا ليس إلاّ الجاثليق داديشوع ذاته (طالع مثلاً لابور، المسيحية في الأمبراطورية الفارسية، ص ١٣٣، حاشية ٦).

مجمع أفسس (٤٣١)

وإذ ذاك لم يرَ الأمبراطور تاودوسيوس الثاني بدًا من التدخّل لحسم النزاع وإعادة النظام والوحدة في الكنيسة. فوجّه إلى الطرفين رسالة في ١٩ تشرين الثاني سنة ٤٣٠، فيها يدعو الأساقفة إلى مجمع عام في مدينة أفسس. ودُعي إليه البابا نفسه الذي أيد التئام المجمع وأرسل إليه وفدًا عنه يتكوّن من المطرانين ارقاديوس وبروجكتس والكاهن فيلبس. وقد عهد إليهم البابا بمهمة احترام السلطة البابوية وتأييد ما يقرّره قورلس الذي خوّل سلطة واسعة في تقرير مصير المجمع. وكان الوفد البابوي يحمل أيضًا رسائل وتوصيات من البابا إلى المجمع وإلى الأمبراطور.

وفي اليوم المعين، اجتمع في أفسس نحو ١٦٠ أسقفًا. أما غيرهم فقد تخلّفوا عن الموعد لصعوبة المواصلات وأخطار الطرق. وكان من جماعة المتأخرين وفد البابا نفسه ويوحنا بطريرك أنطاكيا مع مطارنة سورية الذين كانوا يواكبونه. وقد كتب يوحنا إلى قورلس يستمهله قليلاً، ريثما يتسنى لهم البلوغ إلى المدينة، وكان نسطوريوس نفسه حاضرًا في أفسس في الوقت المعين. إلاّ أن قورلس لم يصبر، بل قرر افتتاح المجمع في ٢٢ حزيران، قبل وصول الآباء بكاملهم. ودُعي نسطوريوس للحضور في هذه الجلسة الأولى. ولكنه امتنع مع ستة أو سبعة من أساقفته. ولم يولِ قورلس ذلك أهمية كبرى، بل افتتح المجمع وشرع الآباء الحاضرون يفحصون الوثائق والرسائل المتبادلة بين قورلس ونسطوريوس، ثم قرّروا إسقاط نسطوريوس من الدرجة الأسقفية، وذلك في الجلسة الأولى ذاتها التي دامت نهارًا كاملاً. وعند انتهاء هذه الجلسة، خرج الآباء من المجمع ترافقهم جموع غفيرة من المؤمنين الذين أوصلوهم إلى مساكنهم على ضوء المشاعل والوف الأفواه تهتف بمريم «أم الله».

وفي ٢٤ حزيران وصل إلى أفسس يوحنا بطريرك أنطاكيا مع أساقفة سورية. وما إن علم بما حدث في المجمع وبالغبن الذي لحق صديقه نسطوريوس حتى عقد هو أيضًا مجمعًا قرّر فيه عزل قورلس ومؤيّديه. وكان هذا القرار مذيّلاً بتواقيع ٤٣ أسقفًا (أو ٥٣). وقدم كل من الفريقين تقريرًا بأعماله إلى الأمبراطور. وإذا بالأمبراطور يصدر قرارًا في ٢٩ حزيران بإلغاء كل ما جرى في ٢٢ حزيران أي في المجمع الذي ترأسه مار قورلس.

وفي تلك الغضون وصل وفد البابا أيضًا في مطلع تموز. وفي ١٠ تموز عُقد المجمع ثانية، وتُليت رسالة البابا التي جاءت مطابقة لمعتقد قورلس وزملائه. وفي اليوم التالي،

أيّدوا بدورهم قرار شجب نسطوريوس ووقّعوا عليه، وبذلك انضموا إلى اخوانهم الشرقيين ليجعلوا من المجمع الأفسسي مجمعًا مسكونيًا للكنيسة الجامعة. وفي ١٦ و١٧ تموز فحصت قضية يوحنا بطريرك أنطاكيا الذي لم يرد الحضور إلى المجمع، فحُرم هو أيضًا مع ٣٤ من الأساقفة الموالين له، منهم تيودوريطس القورشي الشهير.

إلاّ أن مجمع الشرقيين (يوحنا الأنطاكي) كان ما يزال منعقدًا ينتظر قرار الأمبراطور تاودوسيوس. وإذا بالكونت يوحنا يأتيهم حاملاً رسالة من الأمبراطور فيها يعزل نسطوريوس وكذلك «ممنون» مطران أفسس لتواطئه مع أنصار قورلس، ويضعهم جميعًا رهن الاعتقال. ودامت هذه الحالة المزرية حتى شهر أيلول. وإذ ذاك قرّر الملك حل المجمع وأمر الأساقفة بالعودة إلى بلدانهم، ما خلا قورلس وممنون اللذين اعتبرهما مسقطين من الأسقفية...

وهنا لعبت الأهواء البشرية دورها الكبير في إقناع الأمبراطور وبطانته والتأثير على المتنفذين في البلاط لمحاولة ترجيح كفة على أخرى... وتمكّن قورلس من الوصول إلى الإسكندرية في ٣٠ تشرين الأول. أما نسطوريوس فقد أُرسل إلى ديره في كورة أنطاكيا، وشغل مكسيميان كرسي القسطنطينية عوضه. ولكن نسطوريوس لم يخلد إلى الراحة والهدوء، بل أثار اضطرابات في أنطاكيا نفي على اثرها إلى البتراء، ثم إلى الواحة الكبرى الواقعة في قلب الصحراء الليبية. وهناك وافته المنية قبيل انعقاد المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١.

وظلّ الإسكندريون والأنطاكيون متباعدين في نظرياتهم متنافرين في آرائهم حتى سنة ٤٣٣ حيث تم الاتفاق بين الفريقين، فأقر الشرقيون أيضًا بأن مريم هي أم الله، وحرموا نسطوريوس ووافقوا على عزله، ما خلا تيودوريطس القورشي الذي أبى أن يتخلى الآن عن صديقه نسطوريوس. وأرسل البابا سكستس تهنئاته إلى الفريقين وأيد صورة الاتفاق الذي تم بينهما والرسالة التي أنفذها قورلس إلى يوحنا الأنطاكي، التي تُعتبر رسالة عقائدية في غاية الأهمية...

* * *

وهكذا فإن مجمع أفسس، رغم ما تخلله من الشوائب والتصرفات التعسفية التي أبداها كل فريق ضد خصمه، كان خطوة كبيرة إلى الأمام في توضيح الفكرة اللاهوتية

في أنطاكيا كان اللاهوتيون والمفسرون أكثر ميلاً إلى النظرة الأرسطوطالية، ومهتمين بالحقائق الملموسة المرئية. ففي إقرارهم بألوهية المسيح كانوا ينظرون بالأكثر إلى حياته الإنسانية الأرضية.

أما مدرسة الإسكندرية، فكانت أكثر ميلاً إلى الأفلاطونية وإلى التفسير التأويلي الرمزي للحقائق. فالأمر الذي كان يشدّ اهتمام أساتذة الإسكندرية في المسيح كان لاهوته أكثر من ناسوته.

وكان هذا الاختلاف في الأسلوب المدرسي يزداد حدّة بسبب النعرة العنصرية والتنافس على الكراسي الأسقفية.

وقد زاد تدخّلُ القسطنطينية الأمور تعقيدًا، إذ اتّخذ طابعًا سياسيًا باعتبارها عاصمة الأمبراطورية الجديدة.

وهكذا كان مطلع القرن الخامس يحمل تيارات جديدة سرعان ما ظهرت بين أساتذة المدرسة الانطاكية بزعامة تيودوروس المصيصي، وأصبح نسطوريوس البطريرك القسطنطيني رائدها الأكبر ينشرها ويدافع عنها دفاعًا مستميتًا.

نسطوريوس

وُلد نسطوريوس في جرمانيقي السورية في نحو سنة ٣٨١، ثم أقبل إلى مدينة أنطاكيا حيث تلقى العلم وصار راهبًا واقتبل الدرجة الكهنوتية. وتأثر بتعاليم تيودوروس المصيصي السائدة في أنطاكيا والمناطق المجاورة. وقد امتاز نسطوريوس بقسط كبير من الذكاء وبطلاقة في الكلام وفصاحة في التعبير عن آرائه. وفي ١٠ نيسان سنة ٤٢٨ أُقيم بطريركًا على العاصمة البيزنطية، تجاوبًا مع رغبة الملك تاودوسيوس الثاني. ومنذ بدء بطريركيته سمح بإعلان التعاليم المستقاة من كتابات تيودوروس المصيصي، ثم أخذ هو نفسه ينادي بها على الملأ ويقول ان مريم العذراء لم تلد الله، ولذا لا يحق لها أن تُدعى «أم الله» (تيوتوكس) مع أن هذا اللقب كان متداولاً في الكنيسة منذ القرن الثالث على الأقل. وبهذا خالف نسطوريوس التقليد الجاري في الكنيسة جمعاء ووضع مفاهيم سرَّي التجسد والفداء في خطر. ففي نظر نسطوريوس، ليست الوحدة في المسيح سوى وحدة خارجية، وحدة المقدس مع الشخص الذي يسكنه، وحدة الثوب مع من يرتديه، وحدة الآلة مع من يستخدمها، الخ... فيسوع يُدعى إلهًا لأنه متحد بالكلمة بالشرف والسلطة. فنرى ان نقطة الضعف في اللاهوت الانطاكي هو الانطلاق من الطبيعة باعتبارها كلاً مستقلاً

بذاته، كاملاً بميزاته وشخصه. وهكذا فإن نظريتهم الثنائية تضع وحدة المسيح في خطر، ومن ثم فهي تضع أيضًا الخلاص كله في خطر...

ولكن إيمان الكنيسة رفض آراء نسطوريوس هذه. وحدثت ضجة كبيرة في القسطنطينية ضد البطريرك. فأطلع نسطوريوس البابا سلستينس الأول (٤٢٢-٤٣٢) على هذه الآراء، ولكنه لم يتلق من البابا جوابًا عاجلاً[٢].

القديس قورلس

كان قورلس، الذي أصبح بطريركًا للإسكندرية منذ سنة ٤١٢، يراقب عن كثب الأحداث الجارية في العاصمة البيزنطية. وفي سنة ٤٢٩ كتب إلى نسطوريوس يستوضحه آراءه. ولكن هذا قابله بجواب يستشف منه الأنفة والعجرفة، فيه يدعوه إلى الاعتدال المسيحي في آرائه وأحكامه...

وكان هذا بدء الخصومات الأليمة بين البطريركين الإسكندري والقسطنطيني. إذ أخذ كل منهما يشرح موقفه ووجهة نظره في المسيح ونظرته اللاهوتية فيما يخص الطبيعتين في المسيح... ثم عاد قورلس وكتب ثانية إلى نسطوريوس سنة ٤٣٠ رسالة تُعتبر وثيقة هامة حول التجسد وحول كون مريم أم الله، كما سيقرر مجمع أفسس هذه العقيدة. وأخذ قورلس يوجّه رسائل عديدة إلى أشخاص من مختلف الميول اللاهوتية والطبقات الاجتماعية يحاول فيها كسب تأييدهم. ثم جمع وثائق عديدة من كتابات الآباء تدعم نظريته. وكتب إلى البابا في صيف عام ٤٣٠ وأرسل إليه هذه الوثائق التي تدين نسطوريوس. فعقد البابا مجمعًا خاصًا شجب فيه تعاليم نسطوريوس وهدده بالحرم ما لم يرجع عن تلك التعاليم. ثم عهد إلى قورلس الإسكندري بمهمة تنفيذ هذه الإجراءات ضد نسطوريوس في حالة إصراره على موقفه. وعقد قورلس بدوره مجمعًا خاصًا في الإسكندرية فيه جدّد شجب نسطوريوس، ثم أنفذ إليه رسالة تحتوي على ١٢ مادة حول الإيمان بالتجسد ويدعوه إلى الإقرار بمحتوياتها. ولكن انى لنسطوريوس التسليم بنظرية الإسكندريين حول الاتحاد «الأقنومي»؟ فعمت الفوضى وتصلب كل في آرائه ودافع عنها بما أوتيه من الوسائل والبراهين.

---

٢) راجع مختصر تواريخ الكنيسة، تأليف لومون وترجمة الخوري يوسف داود. ص ٢٥٠-٢٦١.

٢. أراد آباء المجمع بهذا القرار أن يربطوا مصير الكنيسة الشرقية بالأمبراطورية الفارسية ويقضوا على النظرية التي كانت تعتبر المسيحيين في البلاد الفارسية حلفاء الأمبراطورية الرومانية المسيحية وأعداء ألدّاء لملك الملوك وبلاده وبهذا أعطوا لكنيستهم صبغة شرقية حقيقية مع حق المواطنة في البلاد الفارسية ومهّدوا للاستقلال الإداري الذي سيؤدي قريبًا إلى الاستقلال العقائدي للكنيسة الشرقية خلال هذا القرن الخامس.

الفصل السادس

أفسس وخلقيدونية

كان القرن الرابع عصر الجدالات حول الثالوث، بينما ظهر القرن الخامس كعصر الجدالات حول سر المسيح الإله - المتجسد. فإن أريوس، متأثرًا بالفكر الإغريقي، ادّعى ان الكلمة (لوغوس) هو خليقة الله الأولى والوسيط بين الآب والعالم المخلوق. فردت الكنيسة على هذه البدعة، في المجمع المسكوني النيقاوي الأول سنة ٣٢٥، بإعلانها ان الكلمة مساو للآب في الجوهر والكمالات وأزلي مثله... وحينما أُثير الجدال حول الروح القدس، وزعم مقدونيوس وأتباعه انه خليقة الله، أعلنت الكنيسة ألوهية الروح القدس ومساواته للآب والابن، وذلك في مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني سنة ٣٨١.[1]

الاسكندرية - أنطاكيا

ظهر الخلاف بين مدرستي الإسكندرية وأنطاكيا وأخذ يتفاقم. وكان هذا الخلاف في جوهره خلافًا فكريًا فلسفيًا بين المدرستين الكبريين. فكل منهما تبنّت طريقة خاصة في تفسير الكتاب المقدس، مما أدى إلى سوء التفاهم وإلى التباعد.

١) طالع أفسس وخلقيدونية. بقلم الأب توما كاملو [بالفرنسية]. باريس ١٩٦٢. ص ٧.

بالسيمونية والطمع والفساد والتواطؤ مع السلطات الفارسية لاضطهاد المسيحيين ، وإلى غير ذلك من التهم التي هو منها براء . وقد أفلحوا في مسعاهم هذا ، فألقي داديشوع في السجن بأمر الملك وظل الجاثليق رهن الاعتقال نحو سنة . ولما عقد الصلح بين الملك بهرام وتاودوسيوس الروماني ، توسط رسل الملك الروماني لدى الملك الفارسي ، فأفرج عن الجاثليق . غير أن المعارضين لم يكفوا عن إزعاجه . لذا فقد قر رأيه على اعتزال منصبه والانزواء في مدينة العرب التي يسميها كتاب المجامع « مركبثا دطيايي » . ويرى المطران أدي شير أنها الحيرة التي كانت تنعم بنوع من الحكم الذاتي[٤٣] . أما ماري وصليبا فيقولان انه انزوى في دير القبوث الواقع في منطقة بيث زبدى[٤٤] .

ولكن معظم المطارنة والأساقفة الشرقيين رفضوا استقالة الجاثليق ، واجتمعوا إليه في السنة الرابعة لحكم بهرام الخامس (سنة ٤٢٤) وحاولوا إقناعه بالعدول عن رأيه والعودة إلى ممارسة السلطة على الكنيسة الشرقية . وكان عدد هؤلاء الأحبار **٣٦** أسقفاً برئاسة مطرافوليطي بيث لافاط ونصيبين وميشان وأربيل وكرخ سلوخ ورواردشير ، وقد جاء بعضهم من أماكن نائية ، من مرو مثلاً ومن أصفهان وعمان (بضم العين) ...

وقام آغبطا (حبيب) مطرافوليط بيث لافاط ، في مستهل الاجتماع ، واستعرض قضية رئاسة كرسي ساليق . وبعد أن استأذن الجاثليق ، تلا على مسامع المجتمعين مقررات الآباء الغربيين والمجامع السابقة وأشار إلى مشكلة الجاثليق فافا والذين عارضوا رئاسته ، ثم خلص إلى القول أنه لا يجوز عقد مجمع ضد الجاثليق. إنما باستطاعة الأساقفة أن يقدموا إليه اعتراضاتهم أو مطاليبهم أو أن يوجهوا إليه اللوم ، على أن يفعلوا ذلك باحترام .

واستطرد «آغبطا» قائلاً : ان مار اسحق «مجدد البطريركية» تعرّض هو أيضًا لهجمات المناوئين الذين توصّلوا إلى زجه في السجن . ولكن تدخل «الآباء الغربيين» بوساطة ماروثا أفلح في إنقاذه من السجن ، بل دفع الملك يزدجرد الأول إلى شجب جميع معارضي الجاثليق اسحق في المجمع الذي عُقد في ساليق سنة ٤١٠ . وجرت أحداث مماثلة في عهد الجاثليق يهبالاها ، فتدخل آقاق لحسم النزاع باسم مطارنة ما بين النهرين . وهكذا ، كلما وقعت أزمة في كنيسة المشرق ، كان الغربيون يتدخلون بوساطة

---

٤٣) ادي شير . كلدو وآثور ٢ . ص ١١٩ . حاشية ١ ؛ المجامع الشرقية : ص ٢٨٥ ، ٦٧٦ .

٤٤) ماري . ص ٣٦ ؛ صليبا . ص ٢٨ .

سفرائهم لحل المعضلات ودعم الرئاسة والحيلولة دون اضطهاد المجوس للشعب المسيحي في المنطقة الفارسية. ولكن الآن، وقد ثقلت علينا وطأة الاضطهاد ولا مجال للغربيين إلى مساعدتنا، ينبغي للفرس أنفسهم أن يحلّوا مشكلتهم وأن يرجوا داديشوع الذي هو لنا بطرس زعيم الجماعة الكنسية أن يسحب استقالته[٤٥].

وانبرى «هوشع» مطران نصيبين يدعم موقف «آغبطا» ويؤيد أقواله موجّهًا كلامه إلى الأحبار المجتمعين قائلاً: «مالي أراكم ساكتين وراضين بالاشتراك مع هؤلاء المرذولين والمسقطين؟» وكان في كلامه قوة كبيرة أفلحت في إنهاض الهمم وتوحيد الكلمة وتوطيد العزم. وإذا بالمطارنة جميعًا يخرون راكعين عند قدمي الجاثليق ويعدونه بحرم المعارضين وعزلهم، ثم يقرّرون أن «الشرقيين لا يمكنهم رفع دعواهم على بطريركهم أمام البطاركة الغربيين، وان كل دعوى لا تقدَّم أمام هذا البطريرك تكون عائدة إلى محكمة المسيح»[٤٦].

وإذ ذاك دعاهم الجاثليق داديشوع إلى النهوض وقبل مقترحاتهم وأيّد الإجراءات التي اتّخذوها بحق العصاة المعارضين، وعفا عن الذين غرّر بهم لبساطتهم.

وهكذا انتهى هذا المجمع الذي، مع كونه وليد الصدف، له أهمية عظمى بالنظر إلى تأكيد استقلال الكنيسة الفارسية وعدم قبولها وصاية «الآباء الغربيين» على الكنيسة الشرقية.

ولكن لِمَ هذا التحرّر من وصاية «الآباء الغربيين» الذين ساعدوا الشرقيين دومًا على حلّ مشاكلهم؟ يخال لي أن الأسباب التي حدت آباء هذا المجمع الشرقي إلى الإقدام على هذه الخطوة الخطيرة عديدة، منها:

١. كان آقاق مطران آمد آنذاك في العاصمة الفارسية لبعض شؤون تخص الأمبراطوريتين الشرقية والغربية. ويبدو أن الأساقفة الشرقيين المعارضين لسلطة الجاثليق داد يشوع قدموا احتجاجهم إلى آقاق وعرضوا له وجهة نظرهم التي نالت تأييد آقاق والبلاط الفارسي. وكان وجود آقاق في المداين قد حال دون انعقاد المجمع فيها، فعقد في حاضرة العرب البعيدة عنها والمستقلة عنها بعض الشيء. لقد أراد آباء المجمع أن يبطلوا مفعول تدخل الغربيين في شؤونهم، هذا التدخل الذي كان سيجري هذه المرة لصالح المعارضين.

٤٥) المجامع الشرقية، ص ٢٩٢.

٤٦) المجامع الشرقية، ص ٥١، ٢٩٦.

الجديد أن يكتسب عطف رؤساء الديانة المزدية ليكونوا سندًا له في حكمه. فأخذ يستميلهم إليه ويتبع نصائح رئيس لهم يدعى «ميهر شابور»، ووضع قواته الملكية تحت امرتهم. فانتهز المجوس هذه الفرصة المؤاتية وشرعوا ينتقمون من المسيحيين ويضطهدونهم ويسومونهم شر العذابات[٣٤]. ويذكر تيودوريطس بين الشهداء الذين قُتلوا في هذا العهد: هرمزد وسورين وبنيامين. وإلى هذا العهد أيضًا يرقى استشهاد «ميهرشابور» ويعقوب المقطع ويعقوب الكاتب وفيروز البيلافاطي[٣٥].

ولم يكن موقف المسيحيين ازاء هذه التنكيلات متسمًا دومًا بالشجاعة والإقدام. فمنهم من تراجعوا وجحدوا إيمانهم، ومنهم من فروا واختبأوا[٣٦]. وقد استفاد سكان المقاطعات المتاخمة للأمبراطورية الرومانية فالتجأوا إلى الغرب خوفًا من الاضطهاد. ولكن المجوس اقتفوا آثارهم وحرضوا القبائل الرحل من تبعة ملوك الفرس على ملاحقتهم، فقتلوا عددًا غفيرًا من الهاربين. وطلب الفرس إلى الرومان أن يسلموهم الهاربين من رعايا مملكتهم. إلاّ أن الأمبراطور الروماني رفض ذلك الطلب وساءه تصرف الفرس تجاه المسيحيين وأعلن عليهم الحرب سنة ٤٢١. ويظهر ان كفة الرومان رجحت في هذه الحرب. ولكن تاودوسيوس عرض عقد الصلح مع بهرام الخامس. فابرمت معاهدة صلح بين المملكتين دامت مئة سنة، تعهد الفرس بموجبها باحترام حرية العقيدة للمسيحيين في مملكتهم مقابل احترام الرومان لحرية المعتقد للمزديين القاطنين في بلدانهم. وهكذا فقد بطل الاضطهاد رسميًا في المملكة الفارسية، ولو أن المسيحيين لم ينعموا بحرية كاملة وان عددًا آخر منهم استشهدوا حتى بعد سنة ٤٢٢.

مجمع داد يشوع (٤٢٤)

حينما توفي الجاثليق يهبالاها في الأشهر الأولى من سنة ٤٢٠، ظهر ثلاثة أشخاص يتنافسون على الكرسي الجاثليقي في المشرق، وهم: معنا وفرابخت وداد يشوع.

---

٣٤) طالع الوصف الذي يكتبه عن هذه العذابات تيودوريطس أسقف قورش. التاريخ الكنسي ٥. ٣٨: ب.ي. ٨٢. عمود ١٢٧٢ - ١٢٧٣؛ لابور. المسيحية في الأمبراطورية الفارسية. ص ١١٠؛ سير الشهداء والقديسين ٤. ص ٢٥٥ - ٢٥٧؛ التاريخ السعردي ١. ص ٢٢٠.

٣٥) سير الشهداء والقديسين ٤، ص ١٨٩-٢٠١. ٢٥٣-٢٦٢؛ السمعاني. أعمال الشهداء الشرقيين ١. ص ٢٣٣-٢٥٢.

٣٦) المجامع الشرقية. ص ٤٥ و٢٨٨.

أما «معنا» فكان مطران فارس. وقد اختير جاثليقًا تحت تأثير القائد الفارسي «ميهر نرسي». ولكن الملك يزدجرد غضب عليه على أثر حادث الكاهن «هشو»، الذي ورد ذكره سابقًا. لأن «معنا» أبى أن يشجب عمل «هشو»، ولذا فقد نفي إلى بلاد فارس وجرد من لقب الجاثليق. وكان ذلك قبل شهر آب سنة ٤٢٠، أي قبل موت الملك يزدجرد[٣٧].

وإذ ذاك خلا الجو لـ«فرابخت» الذي تبوأ كرسي الجثلقة بمساعدة أحد القواد. ولكن الأساقفة لم يرضوا به رئيسًا، وأفلحوا في تنحيته وعزله عن هذا المنصب. ولم يكتفوا بذلك، بل أسقطوا اسمه واسم سلفه «معنا» من لائحة الجثالقة الشرعيين[٣٨].

أما الشخص الثالث فكان «داد يشوع» (٤٢١–٤٥٦).

فبعد أن عزل فرابخت، تقدّم صموئيل أسقف طوس من خراسان من الملك بهرام واستأذنه بانتخاب جاثليق، فسمح لهم بذلك. وكان لصموئيل حظوة كبيرة لدى الملك الفارسي، «لأنه كان قد حفظ بحسن تدبيره حدود البلاد في طوس وخُراسان من تطرق الأعداء ودخولهم أرض فاس»[٣٩]. وأسفر اجتماع المطارنة، الذي قد تشير إليه قصة الشهيد يعقوب الكاتب[٤٠]، عن انتخاب داد يشوع جاثليقًا[٤١].

إلاّ أن هذا الانتخاب لم ينل رضى فئة من المطارنة الذين شكّلوا حزبًا معارضًا. وكانوا أحد عشر بزعامة «بطي» أسقف هرمزارد اشير[٤٢]، وشرعوا ينكرون رئاسة كرسي ساليق، ولم يرضخوا لقرار العزل الذي أصدره أو جدّده الجاثليق داديشوع ضدهم منذ تقلده الرئاسة. إلاّ أنهم في هذه المرة لم يلجأوا إلى حكم «الآباء الغربيين»، كما كانت العادة سابقًا، بل رفعوا شكواهم إلى «غرباء متنفذين»، أي إلى الوثنيين المقربين إلى الملك، بل إلى الملك نفسه. ولم يقفوا عند هذا الحد، بل أصدروا بدورهم حكمًا يقضي بعزل داد يشوع وإسقاطه من منصبه، زاعمين ان انتخابه غير شرعي، ومتهمين اياه

---

٣٧) طالع عنه ماري في المجدل، ص ٣٣–٣٦؛ صليبا، ص ٢٧–٢٨؛ التاريخ السعردي ١، ص ٢١٦–٢١٨؛ ابن العبري، التاريخ الكنسي ٢، ٥٣ وحاشية ٢؛ لابور، ص ١٩٩ وحاشية ٢.

٣٨) راجع ماري، ص ٣٦؛ صليبا، ص ٢٨؛ ابن العبري ٢، ٥٧؛ لابور، ص ١١٩–١٢٠.

٣٩) راجع صليبا، ص ٢٨.

٤٠) سير الشهداء والقديسين ٤، ص ١٩٢.

٤١) ماري، ص ٣٦–٤١؛ صليبا، ص ٢٨–٢٩؛ التاريخ الكنسي لابن العبري ٢، ٦٠؛ السمعاني في المكتبة الشرقية ٣، ١، ص ٢١٤.

٤٢) المجامع الشرقية، ص ٤٤، ٢٨٧.

يهبالاها مع ألقابه العديدة. فهو «جاثليق بيث لافاط ونصيبين وفارس وأرمينية وفرات ميشان وحدياب وبيث كرماي...»[٢٣].

وبينما كان الجاثليق مع آقاق عند الملك في «فيه ارداشير»، توجه إليهما الأساقفة للسلام عليهما، ثم وجهوا إليهما رسالة يطلبون منهما فيها أن يصادقا على مقررات المجامع الرومانية. وكانت هذه الرسالة مزدانة بتواقيع أحد عشر مطرانًا وأسقفًا، من بينهم مطرافوليط بيث لافاط ونصيبين وكرخ ليدان. ويبدو من خلال هذه الوثيقة أن مفعول مجمع مار اسحق (٤١٠) لم يكن طويل الأمد، وان التنافس على الكراسي الأسقفية ظهر من جديد. وينتقد مار يهبالاها عمل مار اسحق عن طرف خفي، ولكنه يعزو اخفاقه هذا إلى الظروف العصيبة التي مرّ بها. فيهبالاها لا يلغي مقررات مجمع ساليق الأول، بل يؤيدها ويدعو الأساقفة إلى احترامها والتقيد بها ودعمها بما صدر من المقررات في المجامع الغربية.

ولكن ما هي النتائج التي أسفر عنها مجمع يهبالاها؟ إن هذا المجمع، والحق يُقال، لم يُضِف مكسبًا جديدًا هامًا إلى مكاسب الكنيسة الشرقية ولم يسن أي قانون... وتوفي يهبالاها بعد هذا المجمع بفترة وجيزة، وذلك سنة ٤٢٠، على أثر نوبة قلبية انتابته من جراء خلاف حدث بينه وبين «معنا» مطران فارس[٢٤].

اضطهاد يزدجرد الأول

توفي الجاثليق مار يهبالاها قبل أن يرى الاضطهاد ينهال على الكنيسة من جديد[٢٥]. فإن المجوس لم يروا بعين الرضى ازدهار المسيحية وتقدمها وتكاثر عدد الأسقفيات في البلاد الفارسية[٢٦] وتهافت الناس على الدين المسيحي، وكان منهم من ينتمي إلى أعرق الأسر الإيرانية[٢٧]. وحاول الملك بشتى الوسائل صد هذا المد الذي أفزعه، ورد المهتدين إلى دينهم الأصلي، أي الزرادوشتية. ولكنه لم ينكث العهد الذي قطعه سنة ٤١٠، إلى أن اضطره إلى ذلك تعسف بعض المسيحيين وغيرتهم الخرقاء. ففي مدينة

---

٢٣) الموضع عينه، ص ٣٧، ٢٧٦.

٢٤) ماري في المجدل، ص ٣٣.

٢٥) ماري، ص ٣٢؛ صليبا، ص ٢٧؛ م. ش. ٣، ١؛ ص ٣٧٦.

٢٦) المجامع الشرقية، ص ٢٧٦؛ م. ش. ٣، ١؛ ص ٣٤٥.

٢٧) سير الشهداء والقديسين ٤، ص ٢٥٣–٢٦٢.

هرمزارداشير في مقاطعة هوزستان، قام كاهن اسمه «هشو» (هوشع) بتدمير معبد للنار ملاصق للكنيسة. وكانت هذه بداية المخاض للمسيحيين. فقد أمر الملك على الفور بإحضار مطران المدينة «عبدا» مع الكاهن «هشو» وزميله اسحق مع الكاتب افرام والشماس الرسائلي فافا والعلمانيين دادوق ودورتان وفافا اخي المطران[٢٨]. وحينما سألهم الملك عن سبب إقدامهم على تدمير معبد النار، انبرى «هشو» يدافع عن شرعية عمله بكل جرأة. وتواصل المصادر اليونانية سرد هذه الحوادث وتقول ان الملك دعا الأسقف عبدا إلى إعادة بناء المعبد. وحينما رفض لاقى الموت وقضى شهيدًا[٢٩].

وإلى هذا العهد أيضًا يرقى استشهاد مار نرسي الراهب[٣٠] الذي كان من بيث رازيقايي - وهي راي الواقعة في ماداي العليا - والذي لقي مصرعه في المداين في الموضع المدعو «سليق حروبتا». ويظن لابور[٣١] ان قصة نرسي هي من أروع القطع في الأدب السرياني... ثم وجّه الملك ضربات أخرى إلى فئات من المسيحيين. وهكذا فإن قصة فيروز من بيث لافاط الذي قُتل في عهد بهرام الخامس تظهر هذا الملك بمظهر مضطهد أفسد في نهاية حياته ما أنجزه من الأعمال الحميدة طيلة حياته[٣٢]. واستشهاد «طاطاق» خادم الملك الذي كان أصله من حدياب، ومصرع عشرة شهداء من بيث كرماي في ساليق وقطيسفون يشيران أيضًا إلى العنف الذي اتسمت به خاتمة حياة يزدجرد الأول[٣٣]. إلاّ أن الموت قبض روحه في صيف عام ٤٢٠، بينما كان في بلاد خراسان.

اضطهاد بهرام الخامس (٤٢١-٤٣٨)

بعد موت يزدجرد الأول، ظهر منافسون عديدون على العرش. ولكن ابنه بهرام الخامس الملقب بـ«كور» - أي الحمار الوحشي - هو الذي اعتلى العرش، وذلك بمؤازرة المنذر ابن النعمان الأعور (الأكبر - الأول - السائح) ملك الحيرة. وكان بهرام كور قد تربى في صباه في الحيرة برعاية النعمان الأكبر (٤٠٣ - ٤٣١). وأراد العاهل

---

٢٨) طالع قصتهم في بيجان ٤، ص ٢٥٠-٢٥٣.

٢٩) تيودوريطس، التاريخ الكنسي ٥. ٣٨؛ الباترولوجية اليونانية ٨٢، عمود ١٢٧٢.

٣٠) طالع قصته في بيجان ٤، ص ١٧٠ - ١٨٠؛ التاريخ السعردي ١، ص ٢١٨.

٣١) لابور، المسيحية في الأمبراطورية الفارسية، ص ١٠٨-١٠٩.

٣٢) سير الشهداء والقديسين ٤، ص ٢٥٣-٢٦٢.

٣٣) الموضع عينه، ص ١٨١-١٨٨.

برؤسائهم على اختلاف مراتبهم وارتباط هؤلاء الرؤساء برئيسهم الأعلى على جاثليق المشرق الجالس على كرسي ساليق. وقد حفظت هذه القوانين في مخطوطات عديدة تتفاوت في القدم، ونشرها الأب يوحنا شابو مع ترجمتها الفرنسية في باريس سنة ١٩٠٢. ويتطرق القانون الأول إلى كيفية انتخاب الأساقفة والصفات الضرورية للمنتخَبين. أما القانون الأخير، فيتناول الرتبة الكهنوتية وسمو مقامها، ثم يحدد المقاطعات الكبرى في الكنيسة الشرقية وهي:

١. ساليق، وهي كرسي الجاثليق الذي تمتد سلطته المباشرة إلى أسقف كشكر الذي يُعتبر ساعده الأيمن في إدارة شؤون الكنيسة الشرقية.
٢. بيث لافاط (جنديسابور). وهي أولى المطرافوليطيات.
٣. نصيبين، وتمتدّ هذه الأبرشية إلى منطقة بيث عربايي كلها.
٤. فرات ميشان، وهي منطقة البصرة الحالية.
٥. حدياب، وهي منطقة أربيل الحالية.
٦. كرخ سلوخ، أي كركوك الحالية.

الجاثليق أحا (٤١٠-٤١٥)

توفي مار إسحق الجاثليق سنة ٤١٠، وذلك بعيد ارفضاض المجمع الذي عقده. وخلفه «أحا» في الرئاسة، وكان من دير قني وهو تلميذ مار عبدا القديس. وبينما يصف لنا ماري زهده[١١]، يروي لنا صليبا نفوذه على بلاط يزدجرد[١٢]، لأنه أفلح في إقناع «بيهور» ابن أخي يزدجرد المتولي على منطقة فارس، بالعدول عن مناوأة عمه ملك الملوك. وكلا المؤرخين ينسبان إلى الجاثليق أحا زيارة أضرحة الشهداء والبحث عن ذخائرهم وتقصّي أخبارهم. ويقول التاريخ السعردي ان أحا «عمل كتاباً فيه أخبار من استشهد من الشهداء بالمشرق»[١٣]. إلاّ أن المجدليين يختلفان في تاريخ موته. فبينما يقول ماري ان مدته كانت «سبع سنين وأشهر»، يقول صليبا انها كانت «أربع سنين واستناح

١١) طالع المجدل. ص ٣١.
١٢) المجدل. ص ٢٥-٢٦.
١٣) التاريخ السعردي ١. ص ٢١٣.

ودُفن في المداين». ولكنه في الواقع انتُخب جاثليقًا في نهاية سنة ٤١٠ وتوفي في مطلع عام ٤١٥. وهذا ما يؤيده ايليا النصيبيني أيضًا[١٤].

مجمع يهبالاها (٤٢٠)

أُقيم مار يهبالاها جاثليقًا خلفًا لأحا. ويقول عنه ماري[١٥] انه كان هو أيضًا تلميذًا لمار عبدا، وقد أرسله هذا للتبشير عند الوثنيين، فهدى منهم خلقًا كثيرًا، ثم بنى ديرًا على الفرات وضمن فيه الصلاة المتواصلة[١٦] ودامت رئاسته على الكنيسة خمس سنين وتوفي قبيل موت يزدجرد الملك سنة ٤٢٠[١٧]. ويظهر ان انتخابه جرى وفق رغبة الملك الذي أيده وأرسله في السنة التاسعة عشرة لملكه سفيرًا إلى الأمبراطور الروماني تاودوسيوس الثاني، وذلك «لأجل السلام والصلح بين الأمبراطوريتين»[١٨]. وفي القسطنطينية، أظهر يهبالاها استقامة إيمانه[١٩]. فسر الملك بذلك وأعطاه هدايا كثيرة ونفيسة، فعاد إلى الشرق حيث عكف على تجديد كنيسة ساليق وتوسيعها[٢٠]. وهناك أعمال فيروز الشهيد تروي لنا[٢١] ان ماروثا رافق مار يهبالاها لدى عودته إلى البلاد الفارسية، وان يهبالاها عند رجوعه شفى ابنة الملك الفارسي بأعجوبة باهرة.

وفي سنة ٤١٩/٤٢٠، أوفد الأمبراطور الروماني تاودوسيوس أسقف آمد آقاق سفيرًا إلى ملك الملوك، فانتهز يهبالاها فرصة حضور آقاق في الديار الفارسية لكي يعقد مجمعًا جاءت أعماله في سلسلة المجامع الشرقية. ويلمح مجمع داديشوع إلى وجود خلافات حول الرئاسة في الشرق، مما دعا إلى عقد هذا المجمع[٢٢]. ولكن أعمال مجمع مار يهبالاها لا تنوه بأي خلاف، إنما تعرض الأمور وكأنها سائرة سيرها الاعتيادي، ويظهر فيه

---

١٤) طالعه في التاريخ الكنسي لابن العبري ٢. ٥١ حاشية ١.

١٥) المجدل، ص ٣٢.

١٦) التاريخ السعردي ١، ص ٣٢.

١٧) طالع السمعاني في المكتبة الشرقية ٣. ١، ص ٣٧٠.

١٨) المجامع الشرقية، ص ٣٧، ٢٧٧.

١٩) ماري في المجدل، ص ٣٢؛ صليبا في المجدل، ص ٢٧.

٢٠) التاريخ السعردي ١، ص ٢١٤-٢١٦.

٢١) سير الشهداء والقديسين ٤، ص ٢٥٦.

٢٢) المجامع الشرقية، ص ٢٨٧-٢٩٣.

تواقيع أشهر أساقفة سورية وما بين النهرين ، منهم فرفيريوس أسقف (بطريرك) أنطاكية ، وآقاق أسقف حلب ، وفقيدا أسقف الرها ، وأوسابيوس أسقف تلا ، وآقاق أسقف آمد[٧] . وبالاتفاق مع مار إسحق ، نقل ماروثا من اليونانية إلى الفارسية الرسالة الموجهة إلى الملك وقرأها أمامه ، ثم طلب إليه هو ومار إسحق بأن يأمر بعقد مجمع شامل لأساقفة الكنيسة الشرقية . فلبى الملك رغبتهم ، وأصدر أوامره باستدعاء مطارنة نصيبيين وحدياب وبيث كرماي وبيث هوزايي وميشان وكشكر ، مع الأساقفة التابعين لهذه المقاطعات الكبرى . ويقول كتاب المجامع ان عدد الأساقفة الذين استُدعوا إلى هذا المجمع بلغ أربعين أسقفًا . ولكننا لا يسعنا تأكيد ذلك ، لأن عدد الموقعين على قرارات المجمع لا يتجاوز ٣٨ توقيعًا وان بعضًا منهم أثبتوا تواقيعهم في عهد متأخر عن المجمع ، وإن أسماء غيرهم قد امحت من لائحة الموقعين[٨] .

ولدى مطالعتنا مجمع مار إسحق ، لا يتسنى لنا أن نميز بوضوح عدد الجلسات التي عُقدت خلاله . إنما يمكننا تتبع ماجريات الأمور ونقول إن الأساقفة أقبلوا إلى العاصمة الساسانية في مطلع كانون الثاني سنة ٤١٠ ، واجتمعوا للمرة الأولى في الكنيسة الكبرى في عيد الدنح (عماد الرب) ٦ كانون الثاني ، وتليت على مسامعهم الرسالة التي وجهها «الآباء الغربيون» إلى الملك يزدجرد . ويظهر ان الرسالة كانت تحتوي شجبًا لأعداء إسحق المناوئين لرئاسته الشرعية . ولذا فإننا نرى أن إسحق يظهر في المجمع بصفته الرئيس الأعلى الذي يعترف به أساقفة الفرس ، وذلك منذ الجلسة الأولى الرسمية التي عقدت في مستهل شهر شباط . فيمكننا أن نعتبر جلسة ٦ كانون الثاني الجلسة التحضيرية التي تهدف إلى تصفية الأجواء وإقصاء المعارضين أو الحد من نفوذهم . وقد نالت مقررات هذه الجلسة تأييد الأساقفة ورضى ملك الملوك نفسه .

افتتح المجمع ، إذن ، أولى جلساته الرسمية يوم الثلاثاء ١ شباط سنة ٤١٠ بصلوات رفعها الآباء لأجل حياة ملك الملوك . ثم قُرئت الرسالة التي وجّهها «الآباء الغربيون» والتي ترتكز على أعمال المجمع النيقاوي . فرضي بها كل الآباء المجتمعين وذيلوها بتواقيعهم . ثم عكف الحاضرون على تنظيم شؤون تتعلّق بالإدارة الكنسية . فقرروا ألا يكون أكثر من أسقف واحد لكل مدينة ، وأن يُقام الأساقفة الجدد من قبل ثلاثة أساقفة آخرين وبتأييد

---

٧) المجامع الشرقية ، ص ١٨ والترجمة ، ص ٢٥٥ .

٨) راجع ما يقوله الأب يوحنا شابو في ص ٦١٦ من كتاب المجامع وفي ص ٢٥٧ حاشية ١ .

مطرافوليط المقاطعة، وذلك بالرغم من بعد المقاطعات، وأن توحد الأعياد والصوم الكبير، وألاّ تُقام الذبيحة الإلٰهية إلاّ على مذبح واحد في كل مكان، الخ...

ويبدو أن المجمع لم يدم مدة طويلة. إلاّ أنه أسفر عن نتائج إيجابية هامة للكنيسة الشرقية. ولدى ارفضاض المجمع، توجّه ماروثا واسحق إلى البلاط وطلبا مواجهة الملك وقدّما له تقريرًا عما جرى في المجمع، فأبدى الملك رضاه وشاء تأييد مقررات المجمع وإظهار حسن نيته تجاه المسيحيين. ففوض شخصين من المقربين إليه، هما خسرو-يزدجرد، الوزير الأكبر، وميهر شابور وهو من الأسرة المالكة. فاستدعيا الأساقفة إلى البلاط ووجّها اليهم الخطاب نيابة عن الملك، وأكّدا الحرية للمسيحيين في ممارسة دينهم وتشييد كنائسهم، وأثبتا إسحق في الرئاسة على المسيحيين في كل المشرق، وأبديا استعداد السلطة الحاكمة لوضع قوة في خدمة السلطة الكنسية للقضاء على كل مقاومة تحاول النيل من سلطة إسحق أو من احترام ماروثا.

وهكذا انتهى المجمع في غمرة فرح شمل المسيحيين الشرقيين عامة. ثم عاد كل من الأساقفة إلى كرسيه لاطلاع المؤمنين على مقررات المجمع والعمل على تنفيذها. وأصبحت المسيحية، التي كانت في الأمس القريب موضع الاضطهاد، ديانة يعترف ملك الملوك بوجودها وشرعيتها في نطاق أمبراطوريته، وصار لهذه الديانة كنيسة منظمة تشمل عدة مقاطعات كبرى خاضعة لكرسي ساليق، وأصبح إيمان نيقية العنصر الذي يوحّد المعتقد في الشرق والغرب.

أما الذين لم يخضعوا لمقررات هذا المجمع فقد عُزلوا وحُرموا، ومن بينهم باطي أسقف مشمهغ[9] ودانيال. وأما في مقاطعة شوش فقد حافظ بعض الأساقفة على موقفهم المتحرر تجاه سلطة ساليق، منهم اغابيطس وماري وبرشبثا وشيلا ويزديداد، فتركوا في مناصبهم، ولكن حذرت عليهم الرسامات، واحتفظ الجاثليق بحق تعيين خلف لهم بعد موتهم[10].

... يُعتبر مجمع مار إسحق أول مجمع هام في الكنيسة الشرقية، لأنه انطلاقًا من قوانين المجمع النيقاوي (٣٢٥) ومن صورة الإيمان التي أقرّ بها الآباء الثلثمائة والثمانية عشر، سن واحدًا وعشرين قانونًا، تطرق فيها إلى الحياة المسيحية ونظم علاقات المؤمنين

---

٩) وتسمى أيضًا سماهيج. وهي جزيرة في الخليج العربي بين البحرين وعمان (طالع شابو في المجامع الشرقية. ص ٦٧٧.

١٠) المجامع الشرقية. ص ٣٣ والترجمة. ص ٢٧٢.

الأساقفة ، لا سيما أولئك الذين كانوا من منطقة هوزستان (الأهواز) . وفي سنة ٤٠٨ ، عاد ماروثا ثانية إلى البلاد الفارسية ، وذلك إما لاطلاع الملك الفارسي ، على مجيء تادوسيوس الثاني إلى الحكم في المنطقة الرومانية (٤٠٨–٤٥٠) ، وإما لتهدئة الأساقفة الثائرين على الجاثليق والطامعين في الرئاسة . وهكذا فقد حصل من ملك الملوك على تثبيت إسحق في الرئاسة وعلى الدعوة إلى عقد مجمع للكنيسة الشرقية في مطلع عام ٤١٠ وبحضور ماروثا نفسه كممثل لأساقفة الغرب ، وكشخص له مكانة خاصة ودور فعال في تسيير أمور الكنيسة الشرقية وتوجيهها بحسب مقررات المجامع المسكونية السابقة لا سيما مجمع نيقية[٢] . ودامت إقامته في الشرق هذه المرة ثلاث سنوات ، أي من سنة ٤٠٨ إلى ما بعد سنة ٤١٠ . واستغل هذه الفرصة أيضًا لتقصّي أخبار شهداء أرض المشرق ولجمع الكثير من ذخائرهم والعديد من الأناشيد التي قيلت في إطراء أمجادهم ووصف جهادهم . وقد نقل ماروثا هذه الذخائر إلى مدينة ميافرقين التي سميت من ثمة « مدينة الشهداء » (مذينث ساهدي) . واستأثرت به رحمة الله قبل سنة ٤٢٠ ، ابان انعقاد مجمع يهبالاها . إذ ان آقاق الآمدي هو الذي مثل « الآباء الغربيين » في هذا المجمع[٣] .

الجاثليق إسحق (– ٤١٠)

إن هذا الجاثليق هو خير ممثل للكنيسة الشرقية في مطلع القرن الخامس وكان أصله من بلاد كشكر ويمت بصلة القربى إلى تومرصا[٤] ، وأصبح جاثليقًا لكرسي المشرق في السنة الأولى لحكم يزدجرد الأول ، حينما تخلى سلفه « قيوما » عن كرسي الجثلقة لصالحه . ودامت رئاسة اسحق احدى عشرة سنة ، وتوفي بعيد سنة ٤١٠ . ولم تكن حياة إسحق كلها موسومة بالراحة والهناء . فقد ناوأه قوم من أساقفته وتجرأوا على الوشاية به لدى الملك الفارسي . إلاّ أن ماروثا استدرك الأمر قبل استفحاله واستطاع أن يبرئ ساحة إسحق في المجمع الذي عقده سنة ٤١٠ .

---

٢) المجامع الشرقية . ص ١٨ والترجمة . ص ٢٥٥ ؛ ماري في المجدل . ص ٣٠–٣١ ؛ صليبا في المجدل . ص ٢٣ – ٢٥ .

٣) المجامع الشرقية . ص ٣٨ والترجمة ص ٧٧ . طالع أيضًا عن ماروثا كتاب مختصر تواريخ الكنيسة تأليف لومون والترجمة العربية للخوري يوسف داود . الموصل ١٨٧٣ . ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

٤) ماري . ص ٣٠ ؛ صليبا . ص ٢٣ ؛ ابن العبري ؛ التاريخ الكنسي ٢ . ٤٧–٥٢ ؛ المجامع الشرقية ؛ ص ٢٥٤ . حاشية ١ .

يزدجرد الأول (٣٩٩–٤٢٠)

إن الشخص الثالث الذي ساهم في إعادة النظام والسلام إلى كنيسة المشرق كان ملك الملوك يزدجرد الأول الذي تبنى منذ بداية حكمه سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياسة أسلافه الساسانيين. فإنه عقد صلحًا مع الرومان وأحسن إلى المسيحيين، ولم يعتبرهم كغرباء في مملكته. ولا تجد المصادر المسيحية عبارات وافية للثناء على ألطاف هذا الملك، ولو أن صليبا يدعوه «يزدجرد الأثيم»[٥]. وقد يشير صليبا بذلك إلى نهاية عهده الذي اتسم بشيء من العنف تجاه المسيحيين. وقد جلب هذا اللطف سخط المجوس عليه، حتى ان تقاليدهم تمثله بأبشع الصور، لا سيما بعد أن استطاع ماروثا أن يكسب ثقته ويبرئه من صداع لازمه مدة طويلة وينجي ابنه من براثن الشيطان، حتى ان المؤرخ سقراطس يظهر لنا هذا الملك على وشك اعتناق الدين المسيحي[٦]. إلاّ أن المنية حالت دون ذلك. ولكن في هذا القول مبالغة ظاهرة. فان يزدجرد، مع ميله إلى الحلول السلمية، كان يتسم أيضًا بقساوة الملوك الساسانيين التقليدية. وقد ظهرت هذه القساوة في نهاية عهده، كما سنرى، حينما انقلب عدوًا لدودًا للمسيحيين، لا يتردّد في اضطهادهم، بغية الحد من نفوذهم المتزايد، ولإخماد سورة غضب المجوس المتصاعد عليه.

مجمع ساليق (مار إسحق) – ٤١٠

تفتتح أعمال هذا المجمع بإطراء أمجاد الملك يزدجرد الأول الذي حقق في الشرق ما قام به قسطنطين الكبير في الغرب قبل مئة سنة بإعلانه مرسوم ميلانو الشهير سنة ٣١٣. فإن يزدجرد أيضًا أصدر أمرًا في بلاده كلها بأن تبنى من جديد كل الكنائس المهدومة، وأن يُطلق سراح كل الذين كانوا رهن السجون لأجل دينهم المسيحي، وأن تُمنح الحرية لجميع رجال الدين. ويعود الفضل في هذا القرار إلى ماروثا الذي أقبل إلى المنطقة الفارسية حاملاً رسائل من «الآباء الغربيين»: كانت الأولى منها تخول ماروثا صفة رسمية لدى يزدجرد ولدى الأساقفة الشرقيين. وكانت الثانية موجهة إلى الملك يزدجرد نفسه. أما الثالثة فكانت تتضمن توجيهات إلى الجاثليق مار إسحق. وكانت هذه الرسائل تحمل

---

٥) المجامع الشرقية، ص ١٨ والترجمة. ص ٢٥٤؛ صليبا في المجدل، ص ٢٢.

٦) سقراطس، التاريخ الكنسي ٧، ٨.

حصيلة الاستنتاج ، قد يكون مطابقًا للحقيقة أو مخالفًا لها لأن الغموض يسود هذه الفترة أيضًا ، وقد رأينا ان اسميهما يذكران حتى قبل الجاثليق فافا[43] . وهذا ما حدا بالبعض إلى الشك في وجود هذين الشخصين والارتياب في الدور الذي يُنسب إليهما في كنيسة المشرق . وهناك نص ورد في مجمع داد يشوع (سنة ٤٢٤) يقول عن الجاثليق إسحق الأول : « بواسطته جُددت رئاسة الكهنوت على الشعب المسيحي ، وكانت قد بطلت منذ اثنتين وعشرين سنة . وبالدالة التي أعطاه الله عند الملك رفع شأن الكنيسة بتجديد الرئاسة »[44] . وقد يشير هذا النص إلى ان رئاسة أسلافه – أيًا كانوا – لم تكن شاملة ، بل كانت تقتصر على أبرشية ساليق وحدها .

مهما يكن من أمر ، فإن تاريخ الفترة الممتدة ما بين موت « بربعشمين » ومجيء اسحق يسوده الغموض . ونحن لا نريد أن نجازف في تحديد هذه التواريخ التي تتطلّب دراسة خاصة عميقة قد تسفر عن نتائج ايجابية .

* * *

ورغم هذه الفترة العصيبة التي مرت بها الكنيسة الشرقية ، فقد أنجبت هذه الكنيسة أشخاصًا كان لهم القدح المعلى في مضمار العلوم والآداب الآرامية . فإن الجاثليق في مار شمعون برصباعي زودها بتراتيل شجية تأخذ بمجامع القلوب . ويعقوب افراهاط الحكيم الفارسي (– بعد ٣٤٦) وضع الأسس الأولى للاهوت الشرقي في بيناته الشهيرة ، وماروثا الميافرقيني (– ٤٢٠) نظم سير الشهداء ووضع لهم أناشيد عذبة تشيد بمآثرهم وتخلد ذكراهم وتغذي تقوى المؤمنين مدى الأجيال . وكفى القرن الرابع فخرًا انه احتضن القديس افرام الملفان (٣٠٧–٣٧٣) الذي أقرت له النصرانية بالإمامة وهو في قيد الحياة وتناشدت شعره وأقبلت على تسبيح العزة الإلهية بأناشيده العذبة[45] .

---

٤٣) طالع إيليا الدمشقي في المكتبة الشرقية للسمعاني ٢ . ص ٣٩١ .

٤٤) المجامع الشرقية ص ٤٨ ؛ والترجمة الفرنسية . ص ٢٩٢–٢٩٣ .

٤٥) راجع كتاب أدب اللغة الآرامية للمؤلف ، ص ٦٦–١٠١ .

الفصل الخامس

الكنيسة الشرقية في القرن الخامس

خيم السلام في ربوع الكنيسة الشرقية منذ أن تبوأ الملك يزدجرد الأول عرش الأمبراطورية الفارسية سنة ٣٩٩. وكان لماروثا، أسقف ميافرقين، ولإسحق جاثليق المشرق، دور هام في استتباب النظام والسلام داخل الكنيسة وفي علاقاتها بالسلطة الحاكمة.

ماروثا الميافرقيني

أجل لقد كان ماروثا الرجل الذي اختارته العناية الإلهية ليكون حلقة وصل بين الأمبراطوريتين الرومانية والفارسية. فإنه كان من المنطقة الرومانية ومن عائلة عريقة حكمت منطقة سافيت المجاورة لآمد (ديار بكر)، وكان يمت بصلة إلى الشرق بثقافته ولغته، ويتفهم مشاكل الكنيسة الشرقية. وكانت مهنة الطب التي مارسها خير واسطة لنيل الحظوة لدى البلاط الفارسي[1]. فقد جاء إلى المشرق مرتين على الأقل، وذلك سنة ٣٩٩ وسنة ٤٠٨. فكان مجيئه الأول إلى الشرق في بدء حكم يزدجرد الأول حاملاً إليه تهاني الملك الروماني. وإذ ذاك تم انتخاب إسحق، في مجمع خاص، جاثليقاً لساليق سنة ٣٩٩. إلاّ أن هذا الانتخاب صار موضوع الجدال والاحتجاج لدى بعض

١) طالع حياته المفصلة وكتاباته في أدب اللغة الآرامية للمؤلف. ص ٩٥-١٠١.

اردشير الثاني (٣٧٩–٣٨٣)

تولى الملك بعد شابور الثاني أخوه أردشير وحذا حذوه في معاداته للرومان واضطهاده للمسيحيين، وكان قد قتل من هؤلاء خلقًا كثيرًا حينما كان حاكمًا على مقاطعة حدياب وبيث كرماي ومنفذًا لأوامر أخيه الطاغية شابور الثاني[٣٠].

شابور الثالث (٣٨٣–٣٨٨)

خلف أردشير الثاني وغير خطته متبعًا طريق السلام. وكان على اتصال مع تاودوسيوس الأول الروماني (٣٧٩–٣٩٩)، وأرسل إليه سفراء وهدايا كثيرة ونفيسة من اللآلئ والحرائر ومن مطايا أصيلة لجر عربته الملوكية.

بهرام الرابع كرمنشاه (٣٨٨–٣٩٩)

ازدادت في عهده هذه العلاقات الطيبة رسوخًا وتعاون مع الرومان لدرء خطر الهونيين[٣١] الزاحفين من المناطق الشمالية على كلتا الأمبراطوريتين. وقد استفاد المسيحيون من هذه العلاقات، رغم ما يقوله ابن العبري[٣٢] انه بعد موت تموزا (تومرصا) لم يشأ أحد أن يخلفه على كرسي المداين، «ذلك لأن بهرام ابن شابور كان عدوًا للمسيحيين». وأظن ان ابن العبري لم يميز بهرام الرابع المسالم عن بهرام الخامس الذي جدد الاضطهادات إذ ان كل شيء يحدونا إلى القول أن بهرام الرابع لم يستأنف الاضطهاد بصورة رسمية شاملة ضد المسيحيين[٣٣] ولو ان هناك من ينسب إليه قتل خادمه «بختيشوع» لأجل إيمانه بالمسيح إلاّ أن صليبا يضع هذا الحادث في عهد الجاثليق تومرصا. وهذا ما يتيح لنا القول انه استشهد في عهد شابور الثاني[٣٤]. أما ماري فيسميه «ابن بختيشوع»،

---

٣٠) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٣٢٥–٣٤٧.

٣١) هون أو الهياطلة أقوام آسيوية جاؤوا من سيبيريا أو من أواسط القارة (منغوليا)، وبلغوا شواطئ الدانوب نحو سنة ٤٠٥، وهاجموا الأمبراطورية الرومانية ونهبوها مع أتيلا. أما الهون البيض فهم أقوام تركية مغولية الأصل جاؤوا من جبال التاي واحتلوا بعض المناطق من إيران الكبرى سنة ٥٠٢–٥٣٠ م. وقاوم الهنود زحفهم.

٣٢) ابن العبري، التاريخ الكنسي ٢، ٦٥.

٣٣) التاريخ السعردي ١، ص ١٩٤.

٣٤) طالع المجدل، ص ٢١.

ويظهر في المجدل انه خادم الجاثليق ومساعده في إقامة الكنائس، وليس خادمًا للملك[٣٥].

إعادة تنظيم الكنيسة

شرعت الكنيسة الشرقية في استعادة قوتها، بعد أن خفت عنها وطأة الاضطهاد. ولكننا الآن إزاء مشكلة مستعصية. فمن هم الرؤساء الذين تعاقبوا على كرسي المداين بعد الجاثليق «بربعشمين» الذي استشهد سنة ٣٤٦؟

نعلم أن هناك فترة كان خلالها كرسي المداين شاغرًا، وان هناك شخصين سبقا اسحق الأول في الرئاسة على هذا الكرسي. وهما: تومرصا (ويسمى تموزا أيضًا)، وقيوما اللذان يذكرهما ماري[٣٦] وصليبا[٣٧] وابن العبري[٣٨]. أما تاريخ رئاستيهما فيشكل عقبة كأداء تزداد تعقيدًا لدى قراءة «مجدل» صليبا خصوصًا. ويقول ايليا النصيبيني[٣٩] ان المسيحيين استطاعوا ان يقيموا لهم رئيسًا أعلى منذ عهد شابور الثالث (٣٨٣-٣٨٨). لنفرض جدالاً أن تومرصا هو الرئيس الأول الذي أقامه المسيحيون بعد الاضطهاد، وان مدته كانت «سبع سنين وشهور»[٤٠]، أو «ثماني سنين وشهور»[٤١]، أو «ثماني سنين»[٤٢]، أي من نحو سنة ٣٨٤ إلى سنة ٣٩٣/٣٩٢، وان الكرسي خلا بعده سنة ونصف سنة أو سنتين، كما يقول صليبا، فيكون، والحالة هذه، اختيار «قيوما» لهذا المنصب في نحو سنة ٣٩٥. وبعد أن قام هذا بمهمة الرئاسة مدة أربع أو خمس سنين، تنازل عنها لإسحق الذي ارتقى سدة الجثلقة في مطلع عهد يزدجرد الأول (٣٩٩).

أما تاريخ بدء رئاسة اسحق فثابت، لأن المؤرّخين يجمعون على أن رئاسته دامت ١١ سنة وانه توفي في نهاية سنة ٤١٠ أو في مطلع سنة ٤١١. وأما تاريخ سلفيه فليس إلاّ

---

٣٥) المجدل لماري. ص ٢٨.
٣٦) المجدل. ص ٢٨-٣٠.
٣٧) المجدل. ص ٢١-٢٣.
٣٨) التاريخ الكنسي ٢. ٤٢.
٣٩) طالعه في التاريخ الكنسي لابن العبري ٢. ٤٢ حاشية ٢.
٤٠) ماري في المجدل. ص ٢٨.
٤١) صليبا في المجدل. ص ٢١.
٤٢) ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢. ٤٢.

١. الجاثليق مار احا (٤١٠-٤١٤)

الذي بذل جهوده في تدوين أعمال الشهداء في منطقة «فارس» بنوع خاص[١٩]. ويقول عنه ماري: «انه طاف قبور المستشهدين بسبب المسيح ايام شابور وكتب قصصهم وعمل كتابًا في أخبار الشهداء وما في سبب قتل كل منهم...»[٢٠].

٢. مار ماروثا أسقف ميافرقين (- ٤٢٠)

الذي أرسل مرات بسفارة إلى المنطقة الفارسية حيث اهتمّ بجمع ذخائر الشهداء وأخبارهم. ويقول عنه ماري أيضًا: «وجمع ماروثا من عظام الشهداء الذين استشهدوا بالمشرق شيئًا كثيرًا ونسخ كل كتاب وحده لهم وحمل ذلك معه، فخلف بميافرقين في كرسيه بعضه ومضى بالباقي إلى المغرب وفرقت في البيع»[٢١].

فأية مجموعة من هذه الأعمال وصلتنا؟

هل هي المجموعة التي حصل عليها ماروثا ثم قام بتنسيقها؟

من الجدير بالملاحظة أن سمعان عواد السمعاني[٢٢] ينسب إلى ماروثا مجموعة هامة من هذه الأعمال مع الخطابات الواردة في مقدمتها كتوطئة لها[٢٣]. وهذا هو الرأي السائد في المشرق[٢٤]. أما الغربيون فإنهم يميلون بالأحرى إلى نسبتها إلى مار احا الجاثليق[٢٥].

فما هو إذن دور ماروثا في تدوين هذه الأعمال؟ هل نقل أو جمع القصص المكتوبة عن الشهداء؟ لا يمكننا البت في كون ماروثا المؤلف للأعمال التي فيها وردت كلمة «اضطهادنا»، ونحن نعرف أن ماروثا كان يعيش في المنطقة الغربية أي الرومانية[٢٦]،

---

١٩) التاريخ السعردي ١، ص ٢١٣.

٢٠) راجع المجدل، ص ٣١.

٢١) الموضع عينه.

٢٢) أعمال القديسين الشهداء الشرقيين والغربيين (باللاتينية)، روما ١٧٤٨، ص ٤٧.

٢٣) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٥٧-٣٩٦.

٢٤) طالع الموضع عينه، ص ٥٧، حاشية ٣ وهو يستند إلى ما جاء في جدول عبد يشوع الصوباوي الذي ينسب إلى ماروثا كتاب الشهادات. السمعاني في المكتبة الشرقية ٣، ١، ص ٧٣؛ ادي شير، كلدو وآثور ٢، ص ٦٦-٦٨.

٢٥) راجع لابور، المسيحية في الأمبراطورية الفارسية، ص ٥٢-٥٣.

٢٦) المجامع الشرقية، ص ٢٧٢-٢٧٣.

وليس في المنطقة الفارسية حيث جرى الاضطهاد. ثم ان النصوص الأخيرة هي من أعمال شاهد عيان، إذ جاء فيها ما نصه: «أما الشهداء الأخيرون الذين كتبنا شهاداتهم وموتهم وأحكامهم، فمنهم من استشهدوا في أيامنا وقد رأيناهم. أما الذين سبقونا فقد كتبنا أخبارهم بالتأكيد نقلاً عن الشيوخ من الأساقفة والكهنة الصادقين ومن المؤمنين الذين رأوهم بعيونهم والذين عاصروهم»[٢٧]. وهذا أمر حاسم. فإن الشهداء الأخيرين الذين ينوه بهم هذا النص يرقى عهدهم إلى سنة ٣٧٩، أي إلى آخر عهد شابور الثاني. أما ماروثا فلم يأتِ إلى المنطقة الفارسية إلاّ في عهد بهرام الرابع (٣٨٨)، أو بالأحرى في عهد يزدجرد الأول (٣٩٩)[٢٨]. فإذا كان ماروثا كتب من جديد أخبار الشهداء وقصصهم، فإن النص الوارد ذكره لا يمكن أن يكون من وضعه. أما إذا اقتصر عمله على جمع النصوص القديمة وتزويدها بالمقدمات، فقد يكون ماروثا هو الذي قام بجمع هذه الأعمال وتنسيقها.

بعد الاضطهاد الكبير

بينما كانت الاضطهادات تحصد المسيحيين حصدًا، تارة بعنف وضراوة وطورًا بتؤدة ورخاوة. كانت شوكة الأمبراطورية الفارسية تقوى وسلطتها تمتدّ، حتى إنها تمكنت من استرجاع المقاطعات التي كان الرومان قد اقتطعوها منها سنة ٢٩٧ في عهد ملكهم دوقليطيان. وقد اشتدّ ضغطهم على الرومان، حتى اضطر هؤلاء إلى تسليم نصيبين للفرس سنة ٣٦٣. وكان لهذه النكسة الخطيرة وقع عميق في نفوس سكانها المسيحيين الذين هاجر معظمهم إلى الرها. ومن جملتهم القديس افرام الملفان الذي أسّس مدرسة لهؤلاء النازحين في الرها سميت بمدرسة الفرس[٢٩]. إلاّ أن شابور الثاني مُني ببعض الإخفاق في نهاية حياته، وتوفي سنة ٣٧٩، بعد أن حكم سبعين سنة اتسمت بالعنف واصطبغت بالدماء.

---

٢٧) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٣٩٦.

٢٨) طالع الباترولوجية السريانية ١، ٢، ص ٦٨٣، تيسران في معجم اللاهوت الكاثوليكي ١٠ عمود ١٤٣. ١٤٦–١٤٧؛ سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٥٥٩–٥٦٠ حيث قيل ان ماروثا ارسل إلى المنطقة الفارسية في عهد يزدجرد.

٢٩) طالع عن مار افرام ومدرسة الفرس، أدب اللغة الآرامية للمؤلف، ص ٧٦–٨٨.

وفي خريف ٣٤١ أُلقي القبض في ساليق على مار شاهدوست الذي خلف مار شمعون برصباعي على كرسي المداين وعلى ١٢٨ شخصًا من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات وقد استشهد هؤلاء في ٢٠ شباط ٣٤٢. أما مار شاهدوست فسيق إلى بيت لافاط حيث قُطع رأسه خلال الصيف[١٢].

وفي نهاية سنة ٣٤٤، خلال إقامة الملك في ساليق، أُلقي القبض على ١٢٠ شخصًا من الاقليروس وقُتلوا في ٦ نيسان ٣٤٥، بعد أن أمضوا في السجن ستة أشهر. فيها بذلت الشريفة يزداندوخت الاربيلية قصارى جهد نفسها في الاعتناء بهم ثم في دفن أجسادهم بعد استشهادهم[١٣]. وفي شباط ٣٤٥ أُلقي القبض على «بربعشمين» وهو ابن أخت مار شمعون وخلف مار «شاهدوست» على كرسي المداين، وزجّ به في السجن مع ١٦ شخصًا من اقليروسه. وظلوا رهن الاعتقال مدة نحو سنة ثم اقتيدوا إلى كرخ ليدان حيث استشهدوا في ٩ كانون الثاني ٣٤٦. وبعد استشهاد بربعشمين، ظلت الكنيسة الشرقية بدون راعٍ مدة أربعين سنة تقريبًا، إلى ما بعد وفاة شابور الثاني[١٤].

ومنذ سنة ٣٤٣ كان الاضطهاد مستمرًا تقريبًا في المناطق الشمالية من المملكة الفارسية، لا سيما في بيث كرماي (كركوك) وحدياب (اربيل)، وذلك لوجود القوات الفارسية هناك على خطوط المجابهة مع القوات الرومانية. ويطول بنا البحث إذا أردنا التحدث عن جماهير الشهداء الذين قضوا ضحية هذا الاضطهاد في مختلف المقاطعات الفارسية. وبوسع القارئ أن يجد سير بعض منهم في سلسلة سير الشهداء والقديسين التي نشرها الأب بولس بيجان، أو في كتاب سير أشهر شهداء المشرق الذي وضعه المطران أدي شير، مقتبسًا حوادثه من الكتاب الأول، أو في الجزء الأول من شهداء المشرق الذي أعدَّه المؤلف ونشره في بغداد سنة ١٩٨٥.

وفي سنة ٣٦٠ استولى شابور على بلدة «فنك» التي كانت القلعة الحصينة لمقاطعة بيث زبدى. وعلى أثر اضطراب حدث فيها سنة ٣٦٢، أجلى الملك الفارسي تسعة آلاف

---

١٢) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٢٧٦–٢٨٠؛ التاريخ السعردي ١، ص ٩٩–١٠١؛ ابن العبري، التاريخ الكنسي ٢، ٣٧–٣٩؛ شهداء المشرق ١، ص ٢٦٨–٢٧١؛ ماري، ص ١٩–٢٠؛ صليبا، ص ١٩–٢٠؛ ادي شير، كلدو وآثور ٢، ص ٧٤.

١٣) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٢٩١.

١٤) الموضع عينه، ص ٢٩٦–٣٠٣؛ التاريخ السعردي ١، ص ١٠٩–١١٢؛ ابن العبري، التاريخ الكنسي ٢، ٣٩–٤١.

من سكانها إلى المناطق الفارسية السفلى[15].

وكان المسيحيون أنفسهم يستغلون الاضطهاد أحيانًا للانتقام من إخوانهم المسيحيين. ففي سنة ٣٧٤ مثلاً وشى شماسٌ بعمه عبد يشوع مطران منطقة كشكر متهمًا إياه بمراسلة الأمبراطور الروماني وباطّلاعه على أسرار الدولة الفارسية. وأدت هذه الوشاية إلى قتل المطران وعدد كبير من الكهنة والعذارى[16].

وكان استشهاد «عقبشما» أسقف حنيثا الشيخ ورفاقه سنة ٣٧٩ خاتمة المطاف لهذه الحقبة الرهيبة والرائعة معًا لكنيسة المشرق[17].

أما عدد الضحايا الذين سبقوهم إلى المجد، فلا أحد يعرفه بالتأكيد. ويقول المؤرّخ سوزمين ان الذين عرفت أسماؤهم وحدهم يربو عددهم على ١٦٠٠٠ شهيد[18]. ويقول المسعودي (+ ٩٥٦)، في كتابه التنبيه والإشراف (ص ٢٠٧) ان عددهم بلغ ٢٠٠ ألف شهيد!

* * *

وإذا فقدت كنيسة المشرق العديد من رؤسائها وأبنائها في الاضطهاد الأربعيني، فإن هذا الاضطهاد عجز عن إخماد أنفاسها والقضاء عليها. فإنها خرجت من هذه المحنة الدامية ناصعة جميلة، راسخة في إيمانها، ثابتة في مبادئها وشجاعة في المجاهرة بالقيم السامية والأخلاق العالية. وحقًا لقد أصبح الدم الغزير الذي ارتوت منه أرض فارس بذرًا خصبًا للمسيحيين الذين ما ان خمد الاضطهاد حتى راحوا يستعيدون كيانهم وينظمون شؤونهم وينشرون هذه الديانة التي تعذّر على السيوف والحراب القضاء عليها.

سير الشهداء

يعزى تسجيل أعمال الشهداء وتنظيمها في سلخ القرن الرابع ومطلع القرن الخامس إلى شخصين بصورة رئيسية:

---

١٥) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٣١٦-٣٢٤.

١٦) الموضع عينه، ص ٣٣٢-٣٤٦.

١٧) الموضع عينه، ص ٣٥١.

١٨) راجع سوزومين، التاريخ الكنسي ٢، ١٤: الباترولوجية اليونانية ٦٧ عمود ٩٦٩. طالع أيضًا في هذا الصدد ما كتبه عنهم ماروثا، المروج النزهية ١، الموصل ١٩٠١، ص ١٢١-١٤٩.

وحينًا باحتقاره النار والشمس ، وآخر برفضه السجود لملك الملوك. وكان شمعون بحكمته ودرايته يفند ويدحض هذه الادعاءات كلها ويعرب عن ولائه للملك واحترامه للقوانين العادلة. أما الجائرة منها ، فلا طاقة له على تنفيذها ، ولا سيما انه قد أُقيم رئيسًا روحيًا على النصارى وليس جلادًا أو جابيًا للأموال والضرائب[٤]. وتردد الملك في القضاء على شمعون ، نظرًا إلى مكانته المرموقة وإلى هيبته وعلمه الذي أعجب به الملك[٥].

إلاّ أن المجوس واليهود لم يكفّوا عن تحريض الملك على المسيحيين. وقد تربصوا فرصة غضب الملك عليهم ليوقعوا بهم ويهدموا بيعهم ويشرّدوا شعبهم...

وسيق شمعون ورفاقه من المداين إلى كرخ ليدان في مقاطعة الأهواز حيث كان الملك يقيم آنذاك. وهناك في بلاط الملك كان الأمين كوشتازاد يدين هو أيضًا بالمسيحية ، ولما أحس الملك بذلك ، أفرغ كنانة جهده في إقناعه بالعدول عن هذا المعتقد ، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح. بيد أن كوشتازاد تظاهر أخيرًا بالسجود للشمس تحت ضغط عظماء الدولة. ولكنه ما إن سمع بوصول قافلة الأسرى وعلى رأسهم جاثليق المشرق ، حتى خضته نعمة قوية أثارت فيه عواطف الندامة الشديدة على كفره وجحوده. ولما طلب أن يواجه شمعون ، أبى هذا أن يلتقي به لكونه جاحدًا جبانًا. فانزوى كوشتازاد في بيته وعكف على الصلاة ولبس المسوح وافترش الرماد ، واستمر في البكاء على جحوده طيلة يومين ، إلى أن دعي شمعون إلى المثول بين يدي الملك للاستجواب. وهناك جرت مناظرة بديعة بين الملك وشمعون حول معتقد النصارى والتهمة الباطلة التي أُلصقت بشمعون زورًا وبهتانًا[٦]. ولم يفلح الملك في إفحام الجاثليق ، بل أمر بإعادته إلى السجن. وإذا بشمعون يلتقي لدى خروجه بكوشتازاد الذي أراد التبرك من الحبر الأسير ، ولكنه لم يتلقَّ منه إلاّ زجرًا دفع به إلى المجاهرة بدينه المسيحي ، ثم إلى الاستشهاد[٧]. وجرى هذا في خميس الأسرار ١٣ نيسان سنة ٣٤١. أما شمعون ورفاقه فقد أمضوا تلك الليلة أيضًا في السجن وهم يستعدون للاستشهاد بصلوات متواصلة ، ثم أقاموا القداس على أيديهم ، إذ لم يستطع أحد أن يأتيهم بالأواني المقدسة ، خوفًا من

---

٤) سير الشهداء والقديسين ٢ ، ص ١٦١ ؛ التاريخ السعردي ١ ، ص ٩٠.

٥) الموضع عينه ، ص ١٦٠ ؛ التاريخ السعردي ١ ، ص ٨٧.

٦) الموضع عينه ، ص ١٥٩-١٦٧ ؛ شهداء المشرق ١ ، ص ٢٠٧-٢١٣.

٧) سير الشهداء والقديسين ٢ ، ص ١٦٧ ؛ شهداء المشرق ١ ، ص ٢١٣-٢١٩.

المضطهِدين. وأخذ شمعون يحرضهم ويشجعهم على الإقدام على الاستشهاد. وهناك قال انشودته البديعة التي مطلعها: «بعين الفكر والحب...»، وطلب إلى الرب قائلاً: «اعطنا يا رب أن نتألم نحن أيضًا في هذا اليوم ونشرب فيه نظيرك كأس الموت من أجل اسمك القدوس حتى لا يبقى على الأرض إلاّ من يقول: ان شمعون واخوته انقادوا ليسوع ونظير يسوع قُتلوا يوم الجمعة في الرابع عشر من نيسان[8]. ففي صباح الجمعة العظيمة أمر الملك بإخراج المعترفين من سجنهم، ثم دعاهم إلى السجود للنار. ولما رفضوا، أمر بضرب أعناقهم بالسيف، فشرع السيافون يقودون عشرة عشرة منهم إلى الموت، والجاثليق واقف كالبطل الصنديد يشجعهم على بذل دمائهم في سبيل المسيح وهو يقول: «ولو انكم تنزعون الآن ثيابَكم الخارجية». وفي الأخير تقدّم هو أيضًا برباطة جأش ومد عنقه للسيف ونال إكليل الشهادة.

وكان بين زمرة الشهداء كاهنان، هما حنانيا وعبد هيكلا، فلما بلغ دور حنانيا ليمد عنقه للسيف اعترته رجفة شديدة لشيخوخته المتقدمة وللهلع الذي استحوذ عليه أمام هذه المجزرة الرهيبة. وإذا بصوت يناديه مشجّعًا: «لا تخف يا حنانيا، لا تخف. اغمض عينيك قليلاً فترى نور المسيح»[9]. وكان هذا صوت «فوسي» رئيس صناع الملك. وقد استشهد هو أيضًا في اليوم التالي بعد استجواب طويل وعذاب أليم. ولحقت به ابنته الراهبة مرتا في أحد القيامة وقُتلت في المكان نفسه الذي فيه نال أبوها إكليل الشهادة[10]، بعد مناظرة افحمت فيها الملك وطغمته.

وكان استشهاد شمعون برصباعي بدء اضطهاد عنيف دام عشرة أيام لم يشفقوا فيه على أحد. فكل من صرح بكونه مسيحيًا ذاق الموت دون استجواب أو محاكمة. فهرعت طوابير الشهداء إلى الموت بشوق وفرح وكأنهم ذاهبون إلى عرس...، إلى أن حلّ الأحد الجديد الذي يلي قيامة الرب. وخلفت هذه المجازر الرهيبة في كرخ ليدان وضواحيها جثثًا لا تُحصى ومنظرًا تقشعر لهوله الأبدان. وإذ ذاك أمر الملك بالتريث في القتل وبإيلاء الاضطهاد صيغة قضائية رسمية، لا سيما بعد أن لاحظ أن أمينه «ازاد» أيضًا قضى شهيدًا[11]. استمرت كنيسة المشرق ترزح تحت وطأة الاضطهاد خلال السنين اللاحقة.

---

٨) شهداء المشرق ١، ص ٢٢٤.

٩) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

١٠) الموضع عينه، ص ٢٣٣ - ٢٤٠.

١١) الموضع عينه، ص ٢٤١ - ٢٥٤.

هيأ حملة كبيرة ضد الفرس ، وأعد كنيسة متنقلة لإقامة الصلوات أثناء الحملة. إلاّ أن المنية عاجلته في ٢٢ أيار سنة ٣٣٧ ، قبل أن ينفذ ضد الفرس خططه الحربية الواسعة النطاق. وانتهز شابور هذه الفرصة ، فزحف على المقاطعات الشرقية وحاصر مدينة نصيبين مدة ٦٣ يومًا. ولكنه ما إن أحسّ بقدوم قسطنطين الثاني (٣٣٧-٣٦١) ، حتى ترك المدينة وعاد إلى بلاده يجر أذيال الخيبة والفشل. وقد عُزي الأمر حينذاك إلى صلوات القديس يعقوب أسقف المدينة أو إلى صلوات القديس افرام الملفان[١]. فاحتدم شابور غيظًا أمام هذه النكسة واستنفر قوات الأمبراطورية برمتها. وإذ لم يكن في خزينة الدولة ما يسد نفقات هذه القوات ، فرض شابور ضرائب باهظة على الأهلين ، لا سيما على المقاطعة البابلية الغنية.

وجاء في أعمال مار شمعون برصباعي أن شابور «كتب رسالة من بيث هوزايي إلى حكام بيث اراميي جاء فيها – حالما تطلعون على أمرنا هذا نحن الآلهة في كتابنا هذا الذي أرسلناه طيًا ، عليكم أن توقفوا شمعون زعيم النصارى وألاّ تخلوا سبيله إلى أن يوقّع سندًا فيه يتعهد بجباية ودفع جزية الراس مضاعفة وضرائب مضاعفة من شعب النصارى الذين يسكنون في أرضنا نحن الآلهة وتحت سلطتنا. لأننا نحن الآلهة نتعرض للضيقات والحروب ، وهم يتمتعون بالراحة والهناء. انهم يقطنون بلادنا وهم موالون لقيصر عدونا»[٢]. وكان هذا السبب الأخير الدافع الحقيقي إلى الاضطهاد.

ولما تلقى شابور جواب مار شمعون برصباعي ، وفيه أعلن الجاثليق عن عدم إمكانه تلبية رغبة الملك ، حرق عليه الارم وثار ثائره وقال في سورة غضبه «إن شمعون يريد تحريض تلاميذه وشعبه على القيام بثورة على مملكتي. انه يريد جعلنا عبيدًا لقيصر ، ولذا فهو لا يريد أن يطيع أوامري». وساهم اليهود في إذكاء نار الحقد في قلب الملك على المسيحيين قائلين له «إن أرسلت أنت ملك الملوك وسيد الأرض كلها رسائل جليلة وحكيمة إلى القيصر مع هدايا فاخرة ومواهب نفيسة ، فإنها لا تلقى استحسانًا في نظره.

---

١) طالع التاريخ السعردي ١. ص ٨٧.

٢) سير الشهداء والقديسين ٢. ص ١٣٦. طالع أيضًا عن مار شمعون برصباعي. سير الشهداء والقديسين ٢ ، ص ١٢٨-٢٠٨ ؛ شهداء المشرق ١ ، ص ١٩٣-٢٣٤ ؛ سوزومين ، التاريخ الكنسي ٢ ، ٩ و١٠ ؛ ابن العبري ، التاريخ الكنسي ٢. ٣٣-٣٥ ؛ التاريخ السعردي ١ ، ص ٨٦-٩٥ ؛ ماري في المجدل ، ص ١٦ ؛ صليبا في المجدل. ص ١٥-١٩ ؛ ادي شير ، كلدو وآثور ٢. ص ٤٣-٤٤ ، ٦٨-٧٠ ؛ أدب اللغة الآرامية ، ص ٦٦-٦٩.

أما إذا وجّه إليه شمعون رسالة في قصاصة ورق حقيرة ، فإنه يتناولها بكلتا يديه راكعًا وينجز أمره بكل اهتمام. وبالإضافة إلى ذلك فليس سر في مملكتك ما لم يطلع شمعون قيصر عليه»[٣].

أجل، لقد كان المسيحيون عرضةً للتعسف والاحتقار في الأمبراطورية الفارسية، وكانوا على علم بما يجري وراء الحدود الفارسية وبالحرية الدينية التي كان ينعم بها إخوانهم في الأمبراطورية الرومانية. فكانوا من ثمة دومًا يتوقون إلى العيش في ظل هذه الأمبراطورية لينعموا بشهرة انطاكيا وروما الخيالية القديمة ثم روما الجديدة (بيزنطية). وطالما اشتاقوا إلى رؤية الجحافل الرومانية تدخل وادي دجلة تتقدّمها الرايات الخفاقة تحمل الشارات المقدسة. فأنّى لهم أن يجدوا الراحة والهناء في مملكة تضمر لهم العداء، رغم ولائهم وطاعتهم للسلطات الحاكمة؟ انهم كانوا دومًا يُحسبون غرباء ودخلاء، بل خونة متآمرين، هم أهل البلاد الأمناء المسالمون! فإن الظنون كانت دومًا تحوم حول إخلاصهم، والضربات تنهال عليهم بين الفينة والفينة، إلى أن أدّت البربرية بشابور وطغمته إلى الرغبة في استئصال شأفتهم والقضاء عليهم قضاءً مبرمًا. وإذا به يتذرّع بحجج واهية للتنكيل بهم. فأعلن عليهم اضطهادًا عنيفًا دام نحو أربعين سنة وأودى بحياة الألوف منهم.

الاضطهاد الأربعيني

تضاربت الآراء حول السنة التي فيها بدأ شابور الثاني اضطهاده الكبير ضد المسيحيين. ولكننا استنادًا إلى المعلومات الواردة في سير الشهداء الذين قضوا في هذا الاضطهاد يتسنى لنا القول ان هذا الاضطهاد جاء على أثر المرسوم الذي فيه فرض شابور الضرائب الباهظة على المسيحيين بنوع خاص، لسند مجهوده الحربي ضد الرومان. ولما لم يستطع المسيحيون دفع هذه الضرائب، تعرّضوا للاضطهاد والتنكيل، وذلك في ربيع عام ٣٤١. وكان مار شمعون برصباعي ورفاقه المئة والثلاثة في الدفعة الأولى من الذين راحوا ضحية هذا الاضطهاد الهائل. فقد ألقي القبض عليهم وزُجّ بهم في غياهب السجون. ثم أخذت الاستنطاقات تتوالى عليهم، وبالأخص على الجاثليق العظيم. فتارة يتهمونه بالخيانة ضد الملك، وطورًا بالتمرد على أوامره القاضية بدفع الجزية مضاعفة،

---

٣) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ١٤٣.

مهما يكن من أمر ، فإن الأزمة التي خضت الكنيسة الشرقية في مطلع القرن الرابع أسفرت عن تثبيت الرئاسة لكرسي المداين وعن ارتباط أقوى بينه وبين سائر الكراسي في الكنيسة الشرقية ، وعن وعي أعمق للمسؤولية القيادية التي عُهدت إلى هذا الكرسي الذي أخذ شيئًا فشيئًا بزمام السلطة واحتلّ المقام الأول في المنطقة الفارسية . وكان من الطبيعي لعاصمة الفرثيين ، وقد أصبحت الآن عاصمة الفرس الساسانيين ، أن تصبح أيضًا العاصمة المسيحية للشرق ورائدة الفكر المسيحي ، ليس في ما بين النهرين فحسب ، بل في الجهات الأخرى أيضًا القاصية منها والدانية...

ملاحظة

ان لقب « البطريرك – وهي لفظة يونانية تعني الأب العام – لم يظهر إلاّ بعد المجمع الخلقيدوني (سنة ٤٥١) ، وقد أُعطي في بادئ الأمر للكراسي الرئيسية : روما – القسطنطينية – الإسكندرية – أورشليم – أنطاكيا . وقد تبنّته أيضًا كنيسة المشرق في فترة ما بين هذا التاريخ ومنتصف القرن السادس . لذا فلا يجوز استعماله مطلقًا قبل هذا التاريخ . ويكون استعماله قبل هذا التاريخ دلالةً على عدم قِدَم هذه النصوص أو على تحريف طرأ عليها على أيدي كتبة متأخرين . وتجدر الملاحظة أن رؤساء كنيسة المشرق احتفظوا فيما بعد بلقبهم الأول مع اللقب الجديد : الجاثليق البطريك : « قاثوليقا بطريركس » ، كما نقول حتى اليوم في صلواتنا الطقسية .

الفصل الرابع

الاضطهادات

الأسباب

لم يتعرّض المسيحيون القاطنون في الأمبراطورية الفارسية للاضطهاد العنيف طالما كانت الأمبراطورية الرومانية تدين بالوثنية. ولكن ما ان صدر مرسوم ميلانو سنة ٣١٣، الذي فيه أعلن الملك قسطنطين الكبير شرعية الديانة المسيحية في امبراطوريته، بل تشجيعه لها ثم انتماءه إليها، حتى تغير موقف الفرس من رعاياهم المسيحيين وأخذوا يرنون إليهم شزرًا ويكنّون لهم كراهية ويضمرون لهم الشر والعداء. وإذ لم يكن للفرس آنذاك سوى ملك صغير السن لا يستطيع مجابهة خصومه الرومان، فقد ظلت العلاقات طيبة أو فاترة بين الأمبراطوريتين واستمر المسيحيون ينعمون براحة نسبية. ويُقال ان الملك قسطنطين كتب رسائل إلى شابور الثاني يهنئه فيها على حسن معاملته للمسيحيين العائشين في مملكته ويوصيه بهم خيرًا.

شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩)

إلاّ أن الحالة تغيّرت حينما بلغ شابور الثاني أشده. فأخذ يطالب الرومان بإعادة المقاطعات الخمس التي اقتُطعت من المملكة الفارسية في عهد غاليريوس ملك الرومان (٣٠٥-٣١١). وسرعان ما اتخذت هذه الخصومات طابعًا دينيًا بين الأمبراطورية الفارسية الوثنية والأمبراطورية الرومانية المسيحية. ويقال ان قسطنطين الكبير

المداين، إنما احتجاجًا على تصرفات فافا الشخصية وأساليبه التعسفية وفظاظته في معاملة أقرانه أساقفة المشرق. وأخذ المعارضون يطعنون في سيرة فافا وكبريائه وعدم التزامه بالقوانين الكنسية ورسامته أسقفين لكرسي واحد[٦]...

وإذ ذاك عقد الأساقفة مجمعًا فيه قرّروا إدانة فافا واعفاءه من منصبه. ولدينا وثيقتان ترويان هذه الأحداث. جاءت إحداهما في كتاب المجامع الشرقية[٧]، حيث يمتدح مجمع داديشوع فافا الجاثليق وينحي باللائمة على معارضيه، منكرًا عليهم حق إدانة الجاثليق. أما الوثيقة الأخرى، فقد وردت في أعمال ميلس[٨]. ويوجز المطران أدي شير هذه الوثيقة في كتاب شهداء المشرق ويقول: «ثم نزل (ميلس) إلى المداين، وكانت أحوال النصارى في المداين مبلبلة جدًا بسبب الجاثليق فافا بن عجي سلف القديس مار شمعون برصباعي. فإنه كان يتكبّر ويتطاول على كهنته وشمامسته ويحتقرهم. وكان قد عقد فيها مجمعًا من أساقفة بلادنا لتدبير أحوال النصرانية ورفع الشكوك. وكان ذلك سنة ٣١٤. فدخل القديس ميلس المجمع. ولما عاين ما كان عليه فافا من التكبر، انتصب قائمًا في الوسط وقال: «مالي أراك تتجرّأ على اخوتك وأعضائك فتحتقرهم وتتطاول عليهم كمن لا إله له. أنسيت قول ربنا القائل في إنجيله الطاهر: إنما الأكبر فيما بينكم ليكن خادمًا لكم؟» قال فافا وقد جاشت في صدره عوامل الغضب. «أأنت يا جاهل تعلمني كأنّني أجهل فريضتي؟». فاضطرب ميلس وأخرج حالاً الإنجيل الذي في مزوده فوضعه أمام فافا على وسادة وقال له. «إن كنت غير راضٍ أن تتعلّم مني، لأني إنسان، فدونك إنجيل ربنا الموضوع أمامك فمنه تعلّم». فتجرأ فافا ورفع يده بغضب وضرب الإنجيل وقال: «تكلّم يا إنجيل تكلّم». فلما رأى منه ميلس هذه الجسارة الوقحة ازداد هياجًا فأسرع إلى الإنجيل ورفعه وقبّله ووضعه على عينيه وقال بأعلى صوته مخاطبًا فافا: «من حيث انك بتكبّرك قد تجرأت على أقوال ربنا المحيية، فهوذا ملاكه يضرب أحد شقيك بالفالج، ولا تموت من ساعتك، بل تبقى موضوعًا لعلامة العجب والخوف لكثيرين». وللحال نزل من السماء شيء نضير برق فضربه على شقه فيبسه. وبقي فافا على تلك الحالة المرة اثنتي عشرة سنة، أي حتى مماته وهو يقاسي ما لا يوصف من العذاب الأليم».

---

٦) ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢، ٣٠؛ ماري في المجدل، ص ٨.

٧) كتاب المجامع الشرقية الذي نشره شابو في باريس مع ترجمته الفرنسية سنة ١٩٠٢، ص ٤٦.

٨) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٢٦٦ – ٢٦٨؛ شهداء المشرق ١، ص ٢٦٢–٢٦٣؛ شهداء المشرق ١. بغداد ١٩٨٥، ص ١٥٩ – ١٦٠.

وقد أسفر هذا المجمع عن إعفاء فافا من منصبه ورسامة مار شمعون برصباعي جاثليقًا على المداين. وينقل لنا ابن العبري تقليدًا جاء بموجبه أن فافا لم يُعفَ من منصبه. لأن الآباء لم يروا في نوبة الشلل الذي انتابه قصاصًا إلهيًا. بل نتيجة لسورة غضب أثّرت في أعصابه[9]. مهما يكن من أمر، فإن فافا لم يرضخ لهذه الإجراءات التي اتّخذها الآباء الشرقيون ضده، بل رفع شكواه إلى «الآباء الغربيين» وطالب بحقه في الرئاسة وبعدم شرعية المجمع الذي أدانه. وكان تدخل هؤلاء الآباء لصالح فافا. إذ أثبتوا حق كرسي المداين في الرئاسة وأضافوا إلى ذلك بيانًا يعلنون فيه ان فافا لا يمكن إدانته من قبل أساقفته ولا من قبل الغرب، لأن «إدانته تعود فقط إلى المسيح الذي اختاره». وهذا ما يردّده أيضًا مجمع داديشوع سنة ٤٢٤[10]، الذي يقول إن الحكم الذي صدر بحق فافا أُلغي. وان الذين أصدروه عُزلوا عن مناصبهم الكنسية. حاشا بعضًا منهم قُبلت أعذارهم، ومن جملتهم مار شمعون برصباعي الذي أظهر أنه نال الدرجة مدفوعًا[11]. ولذا فقط حافظ على الدرجة الأسقفية مع الحق في خلافة فافا بعد موته.

لقد لاحظ البعض ارتباطًا بين هذه الأحداث والبينة الرابعة عشرة المنسوبة إلى أفراهاط الحكيم الفارسي (+ بعد ٣٤٦). فيرى الأب حنا فيي ان الأوصاف الواردة في هذه البينة تلائم الجاثليق فافا: «واحد من اخوتنا» الذي كان سابقًا «مزينًا بالتاج»، وقد أقامه المسيح ليكون وكيلاً على بيته، ثم رفضته مقاطعته لسوء إدارته ولكبريائه وتطاوله. ولكنه فرض على شعبه «قيودًا وسلاسل» أقسى بمساعدة خارجية (إشارة إلى الآباء الغربيين). ثم ترد في هذه البينة دعوة إلى الاعتدال في رعاية الشعب وسياسة الرؤساء، ودعوة ثانية إلى الأساقفة والشعب لتذكيرهم بالطاعة الواجبة نحو الرئيس، ولتحريضهم على الصبر والاحتمال. أما «لابور»، فيرى أن الأوصاف تطابق مار شمعون برصباعي أو خلفه شاهدوست، وهو يميل إلى الأول، نظرًا إلى الأوصاف الخارجية الواردة في البينة (قامة فارعة. طلعة بهية. الخ...). ونظرًا إلى الضرائب المفروضة في بدء الاضطهاد الأربعيني.

---

٩) طالع التاريخ الكنسي لابن العبري ٢. ٣٠.

١٠) راجع المجامع الشرقية. ص ٤٦. والترجمة الفرنسية. ص ٢٩٦.

١١) طالع لابور. المسيحية في الأمبراطورية الفارسية في العهد الساساني (بالفرنسية). باريس ١٩٠٤. ص ٢٤-٢٨؛ الأب حنا فيي. تاريخ كنيسة العراق (بالفرنسية). لوفان ١٩٧٠. ص ٧٤.

على جابي الضرائب في المناطق الرومانية[1]، ويعني «العام» أو «الشامل».

انطاكيا وساليق

ما مدى تدخّل انطاكيا في شؤون ساليق الكنسية؟

حينما تطرّق مجمع نيقية إلى تحديد رئاسة روما والاسكندرية وتعيين الأبرشيات الخاضعة لهما، ذكر أيضًا في القانون السادس «الحقوق القديمة» التي تتمتع بها أنطاكيا مع «سائر الأبرشيات»، دون توضيح هوية هذه الأبرشيات. **فهل من تدخل مباشر** لكنيسة أنطاكيا في شؤون الكنيسة الفارسية؟ إننا أمام حالتين أتى أساقفة (بطاركة) أنطاكيا إلى المملكة الفارسية. فقد جاء ديمتريانس أسيرًا إلى كونديشابور سنة ٢٥٧، كما ذكرنا، ولكنه لم يمارس سلطته، حتى على رعاياه في المنفى، إلاّ بعد موافقة السلطة الدينية المحلية على ذلك. أما اثناسيوس الجمال، بطريرك انطاكيا السرياني (٥٩٥–٦٣١)، فأتى إلى المداين في السنين الأولى من بطريركيته لتقديس الكنائس الثلاث التي أقامها كسرى الثاني ابرويز إرضاءً لزوجته مريم ابنة الملك موريقي الروماني. ولكنه لم يأتِ بصفة رئيس على الكنيسة الشرقية، ولم يحظَ باستقبال الرؤساء.

إلاّ أنه كان هناك نوع من الارتباط بين كنيسة أنطاكيا وكنيسة المشرق لا سيما في القرون الثلاثة الأولى. وكان هذا الارتباط يتوقف على أن يثبت أسقف (بطريرك) أنطاكيا ويؤيّد جاثليق البلاد الفارسية. وهذا أمر يبدو جليًا في قصة «احادابويه» الذي توجّه إلى أنطاكيا بصحبة «يهبيشوع»، لكي ينال احدهما الرسامة هناك. ولكنهما اعتُبرا جاسوسين في أنطاكيا ولقي يهبيشوع من جراء ذلك حتفه مصلوبًا على باب كنيسة الرسل، أما أحادابويه فقد هرب إلى القدس حيث اقتبل الرسامة[2]. أما إبراهيم الكشكري (١٥٩–١٧١). فكان يعيش في أنطاكيا، وهناك تمّ اختياره وجرت رسامته، ثم أُرسل إلى المشرق[3]. ولكن سرعان ما ضعفت هذه الروابط ثم زالت، وذلك لصعوبة المواصلات والأخطار الكثيرة الناجمة عنها بالنظر إلى العداء بين الأمبراطوريتين الفارسية والرومانية. وكان اختلاف الكنيستين في المعتقد منذ القرن الخامس العامل الكبير في تباعدهما، بالإضافة إلى امتداد أبرشية المشرق الذي اقتضى فصلها إداريًا. وهناك أيضًا

---

١) تاريخ أوسابيوس القيصري ٨، ١١ و١٠، ٥.

٢) المجدل لماري بن سليمان. ص ٦–٧.

٣) ماري، ص ٥–٦.

«مقرّرات مجمع نيقية» التي تولي الكنيسة الشرقية نوعًا من الكيان الذاتي الذي أسفر عن استقلال تام في القرن الخامس. حتى ان البطريرك اثناسيوس الجمال يعترف بأن بطريرك أنطاكيا لم يكن له حق، حتى قبل سنة ٤٨٤، أن يرسل أساقفة إلى المنطقة الشرقية، وذلك «بسبب مقرّرات مجمع نيقية»[4]. وهناك مؤرّخون كثيرون (ماري، ابن الطيب، عبديشوع الصوباوي الخ...) يقولون ان الآباء الغربيين (أنطاكيا)، على أثر حادث «احادابويه»، أوفدوا الرسالة الأولى إلى الكنيسة الشرقية، فيها يمنحونها نوعًا من الاستقلال بالنظر إلى هذه الأخطار. وهذا ما يصرّح به يوحنا برفنكايي (القرن ٧) إذ يقول: «قبل هذا الزمان (أي قبل عهد قسطنطين الكبير)، مُنحت حقوق الكرسي البطريركي السوري لكنيسة كوخي في المشرق. وذلك نظرًا إلى العداوة القائمة بين مملكتي الشرق والغرب اللتين كانتا في حروب مستمرة. فكان كثير من الأساقفة يلقون مصرعهم في طريق ذهابهم إلى الغرب أو عودتهم منه إلى الشرق، بسبب بعد البطريرك. فإنهم كانوا يتهمونهم بالتجسس، ولكنهم بالحقيقة كانوا عطاشًا إلى دم القديسين. أما «الآباء الأساقفة»، ففي غمرة حزنهم على مقتل زملائهم، أمروا أن يكون البطريرك في كنيسة كوخي مسلطًا على شؤون الشرق، كما تأمر القوانين الكنسية»[5]. وقد جرى هذا التخويل، بحسب يوحنا برفنكايي، قبل سنة ٣٠٩. وهناك من يُرجع تاريخ الرسالة التي وجّهها أساقفة المغرب إلى إخوانهم في المشرق إلى عهد «شلحوفا» (٢٢٠–٢٤٠) الذي خلف احادابويه في إدارة كرسي المشرق. ولقد برهنت الدراسات الحديثة عن عدم وجود صلة رئاسية بين كرسي أنطاكيا وكرسي المشرق.

الجاثليق «فافا» وقضيته

ظل كرسي المداين شاغرًا بموت شلحوفا مدة طويلة إلى أن أُقيم فافا سنة ٣١٠ مطرافوليطًا أو جاثليقًا عليه. وأراد فافا أن يوحّد كنيسة المشرق تحت زعامة كرسي ساليق وأن ينظّم الرئاسة الكنسية في المنطقة الفارسية. ولكنه لقي معارضة عنيفة من الأساقفة، وكان يتزعمهم «ميلس» مطران شوش. وانضم إلى المعارضة مار شمعون برصباعي نفسه الذي كان اركذياقونًا لفافا. بيد أن مناوأتهم هذه لم تكن احتجاجًا على زعامة كرسي

---

٤) طالع ابن العبري. التاريخ الكنسي ٢. ١١٩.

٥) يوحنا برفنكايي. طبعة منكنا في الموصل ١٩٠٨. ص ١٢٣–١٢٤؛ ماري في المجدل. ص ٦–٧

الفصل الثالث

تنظيم الكنيسة الشرقية

شهد القرن الرابع أحداثًا حاسمة للكنيسة الشرقية التي ازدادت وعيًا لكيانها وأخذت توحّد رئاستها وتتغلّب على العقبات التي اعترضت طريقها. وليست قضية «فافا» سوى احدى هذه المشاكل التي عكرت جو الكنيسة في مطلع القرن الرابع. وما ان تنفست الصعداء في عهد الجاثليق مار شمعون برصباعي، حتى انقضّ عليها الاضطهاد الأربعيني الذي أثاره الملك شابور الثاني الفارسي.

كرسي ساليق

عاش المسيحيون، حتى نهاية القرن الثالث، جماعات يرئسها أساقفة وتربطها بعض العلاقات بانطاكيا. أما ارتباطهم ببعضهم فلم يكن على صعيد الرئاسة الكنسية، مهما قيل عن الدور الذي لعبته كنيسة المداين بصفتها الكرسي الذي أسسه مار ماري. فإن هذه العلاقات كانت على صعيد المحبة المسيحية ووحدة العقيدة. وكانت كل من هذه الجماعات المسيحية تتمتع باستقلال يكاد يكون كاملاً بالنسبة إلى غيرها. وحتى بالنسبة إلى كرسي ساليق نفسه.

ولكن سرعان ما أخذ نفوذ أسقف المداين في الازدياد، حتى اعتبر نفسه المسؤول الأول والأعلى لاخوته أساقفة المشرق، وتبنى لقب «الجاثليق» وهو اسم كان يُطلق مدنيًا

وفارس وفرثية وهوزستان واثورستان (منطقة بابل) وفي جميع البلدان الأخرى حيث توجد ممتلكات أبينا وأجدادنا الأقدمين...».

أسكن شابور الأول هذه السبايا في المدن الفارسية القديمة أو مدن جديدة شيدها تخليدًا لاسمه ولانتصاراته. ومن بين هذه المدن الحديثة مدينة «كونديشابور» التي أقامها الملك بعد أن كانت جملة أنقاض، وشيدها بمساعدة الأسرى الرومان، ومن بينهم «ديمتريانس» (بطريرك انطاكيا والأمبراطور الروماني الأسير «فاليريانس» الذي ساهم أيضًا بمهندسيه في إقامة السد المدعو إلى الآن باسمه «بندي قيصر» أي سد قيصر.

وفي تلك الفترة شُيّدت كنيستان في «ايران-شاهر»، وهي رواردشير التي أصبحت بعدئذٍ مركزًا لمطرافوليط فارس، كنيسة للبيزنطيين وأخرى لسكان كرمان أي الفرس. وكان الأولون يحتفلون بالليتورجية باللغة اليونانية بينما يحتفل بها الآخرون بالسريانية. فهل كان البيزنطيون السابقين إلى هذه المنطقة، أم انهم ساهموا في تقوية المسيحية ودعم جهود اخوانهم الفرس المسيحيين الموجودين هناك قبلهم؟

ومن بين سبايا شابور، جاءت قوافل كبيرة من سنجار وبيث عربايي وبيث زبدى وقردو وأرزن وارمينية ومن أمكنة أخرى مختلفة[7]. وكثيرون منهم سيذهبون ويسكنون في «كرخ ليدان» الحديثة العهد. وسيقومون بدور فعال في مؤاساة المؤمنين أو دفن الشهداء خلال الاضطهاد الأربعيني. «فبعد ان استشهد شمعون برصباعي أخذ جسده أناس من المسبيين الرومان الساكنين في كرخ ليدان»[8]، إذ انه «كان في المدينة أساقفة ومؤمنون لم يتعرّضوا للاضطهاد لأن المدينة كانت قد أُقيمت حديثًا وكان الملك يريد أن يسود فيها السلام مع سكانها المسبيين الجدد»[9]. وحينما حلّ الدمار بكرخ ليدان، ذهب هؤلاء المسبيون وسكنوا في مدينة شوش المجاورة[10].

هرمزد الأول (٢٧٢-٢٧٣)

لم يلقَ المسيحيون خلال حكم هرمزد الأول القصير المدى تعسفًا أو اضطهادًا. إلاّ أن هناك حدثًا ينذر بقرب العاصفة. فان المجوسي «كرتير» الذي كان يضمر للمسيحيين

---

٧) راجع الباترولوجية السريانية ٢، ١، عمود ٨٣١-٨٣٢.

٨) سير الشهداء والقديسين ٢، ص ٢٠٦.

٩) الموضع عينه، ص ٢٠٧.

١٠) التاريخ السعردي ١، ص ٧٨.

حقدًا دفينًا وعداءً شديدًا أصبح «موبيدًا» أي رئيس الشعبة الدينية لدى المجوس وأخذ نفوذه في التصاعد والازدياد.

بهرام الأول (٢٧٣–٢٧٦)

في عهد هذا الملك شرع «كرتير» في تنفيذ خططه العدوانية ضد المسيحيين. وقد شن في المرحلة الأولى اضطهادًا سافرًا على المانويين الذين رأى فيهم خطرًا يهدد الديانة الزرادوشتية، ريثما يتسنى له الإيقاع بالمسيحيين عامة.

بهرام الثاني (٢٧٦–٢٩٣)

تربى هذا الملك في منطقة جيلان الواقعة بالقرب من بحر قزوين، وكان والده حاكمًا هناك. وقد أشرف على تربية بهرام أساتذة مسيحيون علموه الأخلاق الرفيعة ولقنوه حتى اللغة السريانية. ولقيت فيه تلك التعاليم تجاوبًا حسنًا. فكان في مستهل عهده مسالمًا ومتفهمًا للمسيحيين، حتى انه استطلع بعض الأساقفة عن معتقداتهم، وكان له زوجة مسيحية هي «قنديرة» الرومانية. إلاّ أنه بعد عشر سنين أمضاها في الحكم، انقلب على المسيحيين تحت تأثير «كرتير» الذي حصل منه على مرسوم يقضي بملاحقة المسيحيين وكل الذين يدينون بمذاهب مناوئة للديانة الزرادوشتية. وهكذا فقد شمل الاضطهاد زوجة الملك المسيحية نفسها وهُدم عدد من الكنائس. ولكن هذا الاضطهاد خمد في السنين الأخيرة من عهد هذا الملك.

بهرام الثالث ونرسي (٢٩٣–٣٠٣)

لم يحكم بهرام الثالث سوى أشهر قلائل. أما نرسي فقد عمل خلال حكمه على إعادة الأوضاع إلى حالتها الطبيعية وسمح للمسيحيين بتشييد كنائسهم المهدومة وبإقامة شعائر دينهم. فإن نفوذ «كرتير» أخذ في التضاؤل حتى أُعفي أخيرًا من منصبه.

هرمزد الثاني (٣٠٣–٣٠٩)

استأنف هذا الملك الاضطهاد ضد المانويين تحت تأثير المجوس. ولكنه لم يلحق أي أذى بالمسيحيين الذين واصلوا نشاطهم وشرعوا ينظّمون شؤون كنيسة المشرق ويرسّخون كيانها.

بالرفق والتسامح تجاه المسيحيين ، ومنهم من ينقلب عليهم مضطهدًا ، تحت تأثير رجال الدين المزديين.

اردشير الأول (٢٢٦-٢٤١)

هو الذي قضى على السلالة الارشاقية وأسس المملكة الساسانية. واننا لا نعرف شيئًا كثيرًا عن موقفه تجاه المسيحيين. ورغم أنه يعلن نفسه عابدًا «لمزدا» وتظهر علامة النار المقدسة على النقود التي ضربها فهو يحترم كنيسة «كوخي» وقد ضمها إلى المدينة الجديدة التي شيدها تجاه قطيسفون وسماها «فيه اردشير».

شابور الأول (٢٤١-٢٧٢)

هو أكبر ملك في السلالة الساسانية في القرن الثالث. وكان في بدء عهده متسامحًا تجاه الديانة المسيحية. ولكنه لم يصدر قط مرسومًا يقضي بشرعية هذه الديانة في مملكته ، مهما قيل في هذا الشأن. فكان يعطف على المسيحيين نظرًا إلى التعسف والظلم والاضطهادات التي كانوا يتعرضون لها من قبل الفئة الزرادوشتية التي كان نفوذها آخذًا في التصاعد بزعامة الموبيد «كرتير». إلاّ أن شابور لم يتردّد في قتل احدى زوجاته المسماة «اسطاسا» لاهتدائها إلى المسيحية[٣]. وبعد ذلك ، حين شعر الملك بأن زوجته «شيراران» - وهي اخته الحقيقية - تميل إلى المسيحية تحت تأثير راهب حررها من نفوذ الشيطان ، نفاها إلى منطقة «مرو» حيث ازوجها من شخص من السلالة الساسانية اسمه «شيروان». فاعتنقت الديانة المسيحية هناك وأخذت تساعد على نشرها في تلك المنطقة وأقامت كنيسة في مرو بمؤازرة الراهب «برشبا» أو برشويا (ابن الجلاء) الذي كان قد شفاها والذي أُقيم مطرانًا لهذه المقاطعة.

وفي مقدمة المصادر التي تطلعنا على هذه الحقبة يأتي تاريخ دانيال بر مريم أو بر طوبانيثا مطران تحل الذي عاش في منتصف القرن السابع. إلاّ أن هذا التاريخ فُقد ولم يبقَ منه سوى شذرات جاءت في التاريخ السعردي (بعد سنة ١٠٣٦)[٤].

---

٣) طالع التاريخ السعردي ١. ص ١٤٣.

٤) لا سيا الجزء الأول من التاريخ السعردي. ص ١٠-١٢.

واذا اتسم عهد شابور الأول بالتسامح تجاه المسيحيين ، فهو قد ساهم من حيث لا يدري في انتشار المسيحية في المنطقة الفارسية بواسطة السبايا الذين أتى بهم من المنطقة الرومانية في حروبه الكثيرة وغزواته الموفقة . فقد غزا منطقة انطاكيا مرتين وجلا العديد من سكانها إلى البلاد البابلية (العراق الجنوبي) وإلى سائر المناطق الفارسية . وكان بين السبايا « ديمتريانس » مطران (بطريرك) انطاكيا نفسه الذي نُفي إلى « كونديشابور » — أي بيث لافاط في منطقة الأهواز — سنة ٢٥٧ . وكان شابور قد أسس هذه المدينة حديثًا وسماها باسمه . وكان معظم هؤلاء السبايا من المسيحيين الذين أخذوا ينشرون ديانتهم حيثما حلوا وينظمون شؤونهم الكنسية ويتغلغلون في شتى المجالات الاجتماعية .

أجل ، لقد أسهم السبايا الرومان إسهامًا واسعًا في نشر الديانة المسيحية في المناطق الشرقية . فإن هؤلاء المسيحيين الرومان أو « اليونان » لم يتخلوا عن ديانتهم رغم الشدائد الكثيرة التي ألمت بهم في أرض الغربة . وهذا ما يرن صداه في صلواتنا الطقسية حيث نخاطب الشهداء ونقول : « إنكم انتقلتم من بلاد إلى أخرى ، ولكنكم لم تتخلوا عن ربكم » . والأسماء التي وردت في سير الشهداء من منطقة بابل أو من منطقة قردو تشير إلى أصلهم الروماني . وقد اعتلى بعض منهم مناصب مرموقة في البلاط الفارسي ، أمثال « قنديرة » الرومانية زوجة بهرام الثاني التي سيدور الحديث عنها .

ويقول التاريخ السعردي[٥] انه بفضل هؤلاء السبايا ازداد عدد المسيحيين في المملكة الفارسية وكثرت فيها الأديرة والكنائس . ومن الجدير بالذكر ان نزوح جماعات رومانية إلى الشرق يرقى إلى عهد أسبق . فمنذ سنة ١١٧–١٣٨ ، وفي عهد ادريانس الروماني وارطبان الارشاقي ، ادى اضطهاد في المملكة الرومانية إلى مغادرة الأسقف « تقريطي » للمنطقة الرومانية ومجيئه إلى كرخ بيث سلوخ[٦] . إلاّ أن معظم السبايا جلبت إلى المشرق في عهد شابور الأول ، خلال غزواته الثلاث الموفقة في المنطقة الرومانية ، سنة ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩–٢٦٠ . وقد وردت على لسان شابور هذه العبارة المحفوظة في « نقشي روسطم » : « اننا استولينا على كل الناس وأتينا بهم سبايا وأسكناهم في مملكتنا ايران

---

٥) طالع التاريخ السعردي ١ ، ص ١١ ، ١٢ .

٦) سير الشهداء والقديسين ٢ ، ص ٥١٢–٥١٣ .

السرياني (+ ١١٩٩) وماري بن سليمان (القرن ١٢) وصليبا بن يوحنان الموصلي (القرن ١٤) وابن العبري (+ ١٢٨٦)... ، بالإضافة إلى ما جاء في كتابات ترتليانس (القرن الثاني) عن وجود مسيحيين في هذه المناطق إذ يقول : «أليس بالمسيح آمن كل الأمم : الفرثيون والماديون والعيلاميون والذين يسكنون في ما بين النهرين»؟[٤٦] ولو ان ترتليانس يبدو لنا وكأنه ينقل هنا العبارة الواردة في سفر اعمال الرسل. وبالإضافة أيضًا إلى الشهادة التي يدلي بها ديونيسيوس الإسكندري عن وجود كنائس مسيحية في ما بين النهرين قبل عهده ، أي قبل منتصف القرن الثالث.

دور اليهود

لا بدّ ان الجماعات اليهودية المنتشرة آنذاك في المناطق الشرقية والممتدة إلى بلاد بابل (الجلاء) لعبت دورًا في انتشار المسيحية وفي الفكر المسيحي في بلاد فارس. وهذا التأثير واضح في أقدم طبقات ليتورجياتنا الشرقية التي تكونت أقدمها في منطقة الرها. إلاّ أن المؤرّخين المسيحيين لا يشدّدون على هذا الدور ، لأن معظمهم كتبوا في العهود التي فيها أخذ عداءُ اليهود يتجلّى ضدّ المسيحيين وتزداد مقاومتهم لهذه الديانة الجديدة التي تهدّد ديانتهم ، ومن ثمة أخذوا يتعاونون مع الحكام الوثنيين ضد المسيحيين (لا سيما في عهود الاضطهادات الكبيرة في القرن الرابع).

---

٤٦) راجع ادي شير ، كلدو وآثور ٢ . ص ٥ .

الفصل الثاني

العهد الساساني

عاشت الكنيسة الشرقية قرنها الأول والثاني في المنطقة الفارسية تحت ظل تسعة ملوك فرثيين من السلالة الارشاقية. ولا تتوفر لدينا معلومات ثابتة عن علاقة الملوك الفرثيين بالديانة المسيحية إنما أخذت المسيحية في عهد هذه السلالة تنتشر في شتى أنحاء ما بين النهرين، حتى بلغت البلاد البابلية الجنوبية نفسها.

وفي ٢٨ نيسان سنة ٢٢٤ م أطاح ارداشير الأول بالحكم الارشاقي وأسّس السلالة الساسانية التي ستحكم البلاد أكثر من أربعة قرون. وقد فوجئ الساسانيون بانتشار المسيحيين في شتى أرجاء بلادهم وبتغلغلهم في مختلف ميادين الحياة. واضطروا إلى اتخاذ موقف تجاه هذه الديانة الجديدة التي تهدد معتقداتهم الوثنية وما فيها من الخرافات الكثيرة. ويمكننا أن نطلع على موقف هذه السلالة على ضوء المعلومات التي جاءت في التاريخ السعردي[1] وفي كتابتين، إحداهما لشابور الأول والأخرى لموبيد كرتير، وقد حُفظتا في «نَقشَى روسطُم»[2]. وإذا ألقينا نظرة على الملوك الساسانيين نجد منهم من يتحلى

---

١) نشر المطران ادي شير هذا التاريخ مع ترجمته الفرنسية في سلسلة الباترولوجية الشرقية. في جزئين ينقسم كل منهما إلى قسمين: ٤، ٢ لسنة ١٩٠٨؛ ٥، ٢ لسنة ١٩١٠؛ ٧، ٢ لسنة ١٩١١؛ ١٣، ٤ لسنة ١٩١٩. وقد طُبع هذا القسم الأخير بعد استشهاد المطران الكبير.

٢) «نقشى روسطم» بالقرب من برسيبوليس الإيرانية الواقعة أطلالها على بعد ٥٠ كم من مدينة شيراز الحالية. راجع مجلة تاريخ الديانات (بالفرنسية) ١٦٥، ٢ لسنة ١٩٦٤، ص ١٦٥-٢٠٢.

التي أتى عليها الفيضان سنة ۲۰۱ . لقد ظهرت المسيحية في الرها ثانية بعد أن شملها الغموض والخفاء خلال القرن الثاني الميلادي.

د) يوليوس الافريقي

عاش يوليوس في مطلع القرن الثالث . وهو يقول في تاريخه انه رأى في بلاط أبجر ملك الرها (۱۷۹-٢١٤) برديصان المسيحي الغنوسي الذي وصلتنا من مدرسته الكتابات السريانية الأولى. ونحن نعلم أن هذا الملك هو أبجر التاسع . إلاّ أن يوليوس لا يقول شيئاً عن تنصر الملك. ومع هذا فبوسعنا أن نستنتج بأن المسيحية كانت منتشرة في الرها وقد تسربت حتى في البلاط نفسه.

هـ) برديصان وكتاب شرائع البلدان

إن مؤلف كتاب «شرائع البلدان» هو فيلبس أحد تلاميذ برديصان ، وقد كتبه بين سنة ١٩٦ و ٢٢٦ ، وهو على غرار حوار يدور بين الأستاذ (برديصان) ونفر من تلاميذه حول الله والخطيئة والشر والحرية والقدر وقوة الشرائع ، الخ... وقد وردت معلومات ضمن موضوع القدر حول المسيحية وعادات المسيحيين. فجاء فيه : «... ماذا نقول عن ملتنا النصرانية الجديدة التي أنشأها المسيح في كل مكان وناحية . اننا حيثما وُجدنا نُعرَف بمسيحيين نسبة إلى اسم المسيح... وان الأخوة الذين في بلاد الفرثيين لا يأخذون امرأتين ، والذين في فارس لا يتزوجون ببناتهم ، والذين في ماداي لا يهربون من أمواتهم ولا يقبرونهم وهم أحياء ولا يلقونهم للكلاب لكي تفترسهم ، والذين في أورهاي (الرها) لا يقتلون نساءهم واخواتهم الزانيات بل يتجنبونهن مفوضين أمرهن لدينونة الله والذين في حطارا (الحضر) لا يرجمون اللصوص»[٤٢] . وجاء أيضًا في هذا الكتاب ان الملك أبجر (التاسع) آمن بالديانة المسيحية وأبطل بعض العادات الوثنية السائدة في مملكته.

و) دياطسرون ططيانس

جمعه ططيانس بين سنة ١٥٠ و ١٧٠ في روما باليونانية. وحينما عاد إلى الشرق ، ترجمه إلى الآرامية.

---

٤٢) برديصان ، طبعة فرنسيس نو ، باريس ١٨٩٩ ، ص ٢٩ ؛ ادي شير ، كلدو وآثور ٢، ص ٥.

إن وجود دياطسرون (الانجيل الموحد) في النصف الثاني من القرن الثاني وسعة انتشاره في ما بين النهرين يدل دلالة واضحة على وجود المسيحية في هذه المنطقة. وهذا الإنجيل نفسه يستند إلى ترجمة آرامية للإنجيل، إن لم تكن كاملة، فهي على الأقل جزئية، أجريت لاستعمال المسيحيين السريان. وكون ططيانس منحرفاً عن الدين المسيحي الصحيح – ومن ثم مناوأة الكنيسة لإنجيله الموحد – يدل أيضاً على ان المسيحية كانت قد انتشرت منذ عهد طويل في هذه المنطقة، حتى أدى ذلك إلى الانحراف عند قوم، إذ إن الديانة لم تبدأ بالهرطقة[٤٣].

ز) سقراطس وسوزومين[٤٤]

كلا هذين المؤرخين يشهدان على التقادم التي كانت تقرب «لكنيسة مار توما الرسول في الرها» ويذهب سوزومين إلى أبعد من ذلك فيقول «ان هذه المدينة (الرها) قبلت الإيمان بالمسيح منذ البدء».

ح) برحذبشبا عربايا[٤٥]

حينما يتكلّم برحذبشبا عربايا، في كتابه سبب تأسيس المدارس، عن التقليد الجاري في مدرسة الرها، يقول ان المفسرين كانوا يعتمدون – قبل انتشار شرح المفسر الكبير، أي تيودوروس المصيصي – كتابات القديس افرام التي هي نقل لتعاليم أدي مؤسس الجماعة المسيحية الأولى في الرها.

... وهناك مؤرّخون آخرون عديدون تكلموا عن وجود المسيحية في الرها وفي ما بين النهرين، ومنهم توما المرجي (القرن ٩) وايشوعدناح البصري (القرن ٩) وميخائيل

٤٣) طالع عن ططيانس، أدب اللغة الآرامية، ص ٤٦–٤٨.

٤٤) وُلد سقراطس المؤرخ في القسطنطينية في نحو سنة ٤٠٨ وصار فيها محامياً. وكتب تاريخاً كنسياً بسبعة أجزاء نشر في سلسلة الباترولوجية اليونانية [٦٧، ٢٩–٨٤٢] ويتطرق فيه إلى الفترة ما بين سنة ٣٢٣ و٤٣٩. وتوفي سقراطس بعد سنة ٤٤٠م. أما سوزومين فكان من أصل فلسطيني. ثم أصبح هو أيضاً محامياً في القسطنطينية وكان معاصراً لسقراطس وكتب تاريخاً كنسياً بتسعة أجزاء نشر في سلسلة الباترولوجية اليونانية [٦٧، ٨٣٣–١٦٣٠] وهو شبيه بتاريخ سقراطس بل منسوج على منواله. ويتطرّق إلى الفترة ما بين سنة ٣٢٣ و٤٢٣، ومات هذا المؤرخ بعد سنة ٤٤٤.

٤٥) توفي في نحو سنة ٦٣٠، ونشر كتابه في الباترولوجية الشرقية ٤، لسنة ١٩٠٧، ص ٣١٩–٤١٠.

لكن القيمة التاريخية لمجيء مار ماري إلى العاصمة الفرثية مرتبطة بقدم كنيسة «كوخي» التي ستصبح بعدئذٍ مقر «الجاثليق» في المشرق... وهناك مؤرّخون يرجئون تأسيس كنيسة ما بين النهرين إلى نهاية القرن الثاني أو مطلع القرن الثالث. ذلك لأن الوثائق التاريخية لا تزوّدنا بمعلومات واضحة وأكيدة بهذا الشأن.

السلك الهادي

إلاّ أن هناك إشارات جغرافية وردت عند معظم الكتبة من شأنها أن تسلّط الأضواء على موضوعنا. في الواقع، نلاحظ أن جميع الكتبة يقدّمون «كوخي» بصفتها ساليق الجديدة. فإلى ما بعد الفتح الإسلامي، لم تكن كوخي الواقعة شرقي ساليق الهلينية منفصلة عن المدينة القديمة إلاّ بوادٍ تتخلّله بعض المستنقعات. وكذا الشأن مع المدينة التي شيّدها الساساني الأول ارداشير في نحو سنة ٢٣٠ والتي تدعوها المصادر السريانية «ماحوزا» والإيرانية «فيه ارداشير»، والتي سماها العرب بعد ذلك «بهرشير». إلاّ أن الحالة لم تكن هكذا دومًا. فإن الوادي الفاصل بين ساليق القديمة الهلينية وبين كوخي لم يكن إلاّ المجرى القديم لنهر دجلة. وكان النهر قد غيّر مجراه بين سنة ٧٩ و١١٦ واتّخذ مجرى آخر يفصل بين كوخي وقطيسفون. ولدينا نص قديم أورده كتاب المجدل لماري بن سليمان (القرن ١٢) يقول ان ماري جاء إلى قطيسفون وليس إلى ساليق. وهذا ما يعكس الحالة الراهنة قبل تغيير دجلة مجراه الأول. ويشير هذا النص إشارة واضحة إلى ان ماري جاء إلى قطيسفون بين سنة ٧٩ و١١٦، وان كنيسته الأولى أُقيمت بين أكواخ العمال عند التل الواقع جنوبي قطيسفون وشرقي دجلة. وهذا ما يتيح لنا القول ان المسيحية بدأت انتشارها في العاصمة الأرشاقية منذ نهاية القرن الأول أو في مطلع القرن الثاني على أبعد تقدير. وهكذا يمكننا أن نقول حقًا إن مار ماري هو «رسول الحق الذي بشّر الأول في المشرق بمعرفة الإله الأوحد» كما تقول عنه كتبنا الطقسية، وانه «شفيع المشرق» ومؤسّس الكنيسة في المداين[٣٩].

---

٣٩) راجع كتاب التراجيم السنية للأعياد المارانية ١، الموصل ١٩٠١، ص ٢٥٣.

وإذا تصفحنا كتابات المؤرّخين الأقدمين، نلاحظ فيها تارة تلميحات عابرة إلى دخول المسيحية إلى ما بين النهرين، وطورًا إشارات واضحة إلى وجودها ورسوخ قدمها في هذه المنطقة. ومن بين هذه الشهادات نخص بالذكر الأهم.

أ) كتابة أبرسيوس

وكان أبرسيوس أسقفًا على جيرابوليس في نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث. وفي الرحلة التي قام بها إلى المنطقة الواقعة ما وراء الفرات، أي إلى نصيبين وغيرها من المدن المجاورة، وجد هناك أخوة له مسيحيين[٤٠].

ب) أوسابيوس القيصري

كتب المؤرّخ الشهير أوسابيوس في الربع الأول من القرن الرابع عن القضية الفصيحة قائلاً: «إن كنائس مقاطعة ما بين النهرين ومدنها وافقت هي أيضًا على القرار الذي اتخذته سائر الكنائس الغربية بشأن الاحتفال بعيد الفصح يوم الأحد»[٤١]. وكان ذلك في عهد البابا فكتور (١٨٩–١٩٩م) وفي السنة العاشرة لحكم الأمبراطور كومودس (١٨٠–١٩٣). وهذا يدل على أن الكنيسة أو الكنائس في ما بين النهرين كان لها أهمية ورأي يُؤخذ به في نحو نهاية القرن الثاني.

ج) تاريخ الرها

انه تاريخ تمّ جمعه في سلخ القرن السادس الميلادي عن الوثائق المحفوظة في الخزانات الرهاوية، وهو يبدأ بسنة ٢٠١م، وهي السنة التي فيها طغى نهر ديصان بفيضان عارم ودمر «كنيسة للمسيحيين». ثم يواصل هذا التاريخ قائلاً: في سنة ٢٠٢، وضع الأسقف نونا أساس كنيسة الرها. وهذه إشارة إلى وجود أسقف في الرها في مطلع القرن الثالث وان الكنيسة التي أسسها لم تكن الأولى في الرها، إنما أقامها عوض الكنيسة

٤٠) طالع كتابته في معجم الآثار المسيحية ١. عمود ٦٦–٨٧.

٤١) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري ٥. ٢٣.

ولكن ملكًا من أبناء أبجر طلب إلى أجاي أن يصنع له طوقًا من ذهب ، فامتنع أجاي لانشغاله بخدمة المؤمنين الروحية . وإذ ذاك ثار ثائر الملك ، وأرسل رجاله فكسروا ساقي أجاي بينما كان جالسًا في الكنيسة يشرح الكتب المقدسة للمؤمنين[28] . ويبدو من الوثائق الأخرى ان أجاي بشّر هو أيضًا بلاد فارس كلها وآثور وأرمينية وبلاد ماداي ونواحي بابل وبيث هوزايي وجيلان وحتى حدود الهند وجوج وماجوج والبلدان المجاورة . وهناك نصوص تذكر أجاي وتنسب إليه تبشير هذه البلدان ، بينما تضرب صفحًا عن ذكر مار ماري[29] . إلاّ أن التقليد الشرقي عامة يعتبر أجاي رسول الرها أكثر منه رسول المنطقة الفارسية .

٤ . ماري

هو تلميذ أدي ، وكان مزدانًا بمحبة الله والسيرة الفاضلة . واقتبل الرسامة من أدي نفسه الذي أرسله إلى منطقة المشرق ، إلى بلاد بابل ، وأمره بأن يبشّر هناك بكلمة الرب[30] . وقد ورد ذكر لماري في أقدم التقاويم[31] ، دون أي ذكر لأدي ولا تظهر جولة أدي التبشيرية في ما بين النهرين السفلى إلاّ في الوثائق المتأخرة ، حيث يقرن اسمه باسم ماري بصفتهما « رسولَي المشرق » .

وفي مقدمة الوثائق التي تطلعنا على مار ماري ونشاطه الرسولي تأتي أعماله التي طبعت في الجزء الأول من سلسلة « سير الشهداء والقديسين » . ولكن لنا مآخذ عديدة على هذه الأعمال من شأنها أن تلقي فينا الشك والارتياب تجاه هذه الوثيقة . فإنها تجعل من « فافا » الذي عاش في نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع خلفًا مباشرًا لماري . وهذا ما يحدونا الى اعتبار النص متأخرًا في عهد فافا . ويلاحظ المطران أدي شير[32] في هذه القصة ما يضطرنا إلى إرجاعها إلى القرن الثامن أو التاسع . فقد وردت فيها مثلاً عبادة الأشجار

---

٢٨) راجع أيضًا التاريخ المغمور لسنة ٨٤٦ الذي طُبع في لوفان سنة ١٩٠٤ والترجمة ص ١٣٥ ؛ مختصر القوانين الرسولية لعبديشوع الصوباوي التي نشرها الكردينال ماي ، ص ٢ .

٢٩) طالع مثلاً تاريخ ميخائيل السرياني الذي نشره شابو وترجمه إلى الفرنسية بأربعة أجزاء في باريس سنة ١٨٩٩-١٩٢٤ ، ١ ، ص ١٤٧-١٥١ وهو يزودنا بلائحة ١٢ رسولاً و ٧٠ مبشرًا ، معتمدًا ابن الصليبي .

٣٠) راجع أعمال ماري في سير الشهداء والقديسين ١ ، ص ٤٣-٩٤ ؛ شهداء المشرق ١ ، ص ١٤-٤٠ .

٣١) البيروني مثلاً ، سنة ٩٧٣-١٠٤٨ .

٣٢) تاريخ كلدو وآثور ٢ ، بيروت ١٩١٣ ، ص ٣ .

والشياطين. ونحن نعلم أن الفرثيين في عهد الرسل كانوا يكرمون الشمس والنار وبعض الأصنام[٣٣].

هل جاء ماري إلى المداين؟

تقول أعمال ماري: «أنه نزل إلى مدينة ساليق المبنية على دجلة»[٣٤]، فاجتمع عبدة الأصنام وعبروا إلى قطيسفون عند الملك ارطبان الذي كان يحكم على قطيسفون وعلى كوخي... فأرسل الملك في اثر الطوباوي، فاعبروه من جهة ساليق إلى حيث كان الملك ارطبان جالسًا[٣٥]. «ويقول ماري بن سليمان في المجدل: » (ان مار ماري)... نصر الناس ببابل والأهواز وسائر كور دجلة وفارس وكشكر وأهل الراذانيين... وتوجّه إلى مدينة سليق وهو شرقي المداين وقطيسفون غربيها[٣٦]، وهناك أسّس مار ماري كنيسة «كوخي»، و«السبب في تسمية بيعة المداين كوخي لأنها كانت أكواخ لأكرة ماردنشاه رئيس قطيسفون، ولما شفى مار ماري ابنته استوهبها منه»[٣٧].

ولم يقتصر نشاط مار ماري التبشيري على المداين وحدها بل شمل مناطق أخرى واسعة من المشرق. فقد بشّر نصيبين وأرزن وحدياب وداسن وزوزان وكوار، ولكنه أرسل تلميذه «طوميس» لتبشير هذه المناطق الثلاث الأخيرة. واتى ماري إلى شهر قرد، ثم انطلق إلى درار الواقعة في بيث كرماي، ومن هناك انحدر إلى بيث رادان ومنها ذهب إلى ساليق وقطيسفون ثم إلى دير قني جنوبي المداين. وبعدئذ ذهب إلى كشكر المسماة واسط ثم إلى ميشان (ويسميها ماري في المجدل دستميسان) ثم إلى بيث هوزايي ومنها إلى بيث فرسايي (فارس). وأخيرًا، بعد أن أكمل سعيه وأنجز مهمته الرسولية، عاد إلى دير قني حيث توفي ودُفن[٣٨].

* * *

---

٣٣) سير الشهداء والقديسين ١. ص ٥٩؛ شهداء المشرق ١. ص ١٩-٢٠.

٣٤) سير الشهداء والقديسين ١. ص ٦٩؛ شهداء المشرق ١. ص ٢٦.

٣٥) الموضع عينه ص ٧٩-٨٠؛ وشهداء المشرق ١. ص ٣٣.

٣٦) ماري في المجدل. ص ٧.

٣٧) الموضع عينه. ص ٥.

٣٨) طالع مجلة بين النهرين. العددان ٦٩-٧٠. ١٩٩٠. ص ٥٩-٧١؛ ديرقي.

د) بركة المسيح لمدينة الرها :

يضع كاتب «التعليم» على فم المسيح أو في رسالته إلى الملك أبجر هذا القول : «وستكون مدينته مباركة ولن يقوى عليها عدو». وتجدر الملاحظة ان هذه البركة لم ترد في تاريخ أوسابيوس. ولكن معظم الكتبة السريان – أمثال القديس أفرام ويعقوب السروجي – والأرمن واليونان واللاتين يذكرون هذه البركة «المزعومة». ويظهر أنها ناتجة عن الامتيازات التي حصل عليها أبجر ملك الرها. وقد سببت هذه البركة خيبة أمل كبيرة عند الكتبة الشرقيين لدى سقوط الرها ودمارها في منتصف القرن الثاني عشر، وأدت ببعضهم إلى التشكيك في العناية الإلهية وفي وعود المسيح.

* * *

ولكننا الآن إزاء مشكلة تعاقب الأساقفة على كرسي الرها. فإن معظم الأعمال والمؤرخين يقولون أن أجاي خلف ادي. وهذا أمر لا نريد التشكيك في صحته. أما أن يأتي بعد ادي الأسقف «فالوط»، ثم يتبعه «عبشلاما» ويليه «برسميا» الذي هدى شربيل رئيس كهنة الوثنيين إلى الديانة المسيحية ثم استشهد كلاهما في عهد الأمبراطور «طريانس»[٢٥]، فإن هذا الأمر لا يمكننا قبوله. وذلك لأن فالوط عاش في نهاية القرن الثاني وان برسميا استشهد في عهد داقيوس الروماني (٢٤٩–٢٥١) وليس في عهد طريانس، كما تزعم قصته. فإن هذه القصة لم تكتب إلاّ بعد مجمع نيقية (٣٢٥).
هناك احتمالان للخروج من هذا المأزق : إما أن لا يكون فالوط الخلف المباشر لأجاي، نظرًا إلى الفترة الفاصلة بينهما والتي تُقدّر بقرن واحد. فيكون هناك، والحالة هذه، أساقفة آخرون لم يحفظ لنا التاريخ أسماءهم. وأما ان يكون فالوط الخلف الأول لأجاي إذا افترضنا انقطاعًا في سلسلة أساقفة الرها وتقهقر الديانة المسيحية هناك بعد فترة اهتداء الملك أبجر الخامس وشعبه إليها. وهذا قد لا يكون بعيدًا عن الاحتمال. إذ إن التاريخ يقدّم لنا نماذج كثيرة لمثل هذا التراجع عن الاندفاع الأول والسقوط في الفتور والرجوع إلى التقاليد القديمة. وهذا ما تؤيّده الوثائق الرهاوية نفسها حينما تروي لنا قصة فيضان نهر ديصان سنة ٢٠١، وفيها يظهر الملك وثنيًا والمدينة كذلك، مع قلة تدين بالمسيحية وتمتلك كنيسة هناك دمرها هذا الفيضان. ثم بعد فترة وجيزة تعود المدينة

---

٢٥) طالع سير الشهداء والقديسين ١، ص ٩٥–١٣٠؛ شهداء المشرق ١، ص ٤٢–٦٨.

وملكها إلى الديانة المسيحية. وإذا بعلامة النجوم الثلاثة والهلال التي كانت تعلو نقود الرها وتاج ملكها تخلي المكان لشارات مسيحية أكيدة، وهكذا يكون فالوط ثم عبشلاما وبرسميا قد تعاقبوا على كرسي الرها في الفترة الواقعة بين سنة ١٩٠ وسنة ٢٥٠م.

فليس إذن ثمة ما يدفعنا إلى الشك في التقليد القائل بمجيء أدي إلى الرها وبالتبشير فيها فقد كانت الرها مركزًا لمقاطعة اسروينا ومحطة هامة في طريق القوافل السائرة من الأقطار الشرقية وإليها. ومن جهة أخرى لم تكن الرها بعيدة جدًا عن أنطاكيا، منطلق الرسالات المسيحية. وكانت فيها جالية يهودية مرتبطة بأورشليم دينيًا، وكانت لغتها الآرامية هي اللغة التي يتكلّم بها الرسل مع اختلاف طفيف. فنظرًا إلى هذه الاعتبارات وإلى الرسالة الشاملة التي أُنيطت بالرسل وخلفائهم: «إذهبوا إلى العالم كله... بشّروا الخليقة كلها...»، كان من الطبيعي أن تحظى مدينة كهذه ببشرى الخلاص منذ عهد الرسل أو تلاميذهم... أما أن تكون المسيحية في الرها قد حافظت على حيويتها باستمرار في القرنين الأولين، فهذا أمر لا يمكننا البت فيه، إذ ليس ثمة وثيقة تطلعنا على نشاط الكنيسة أو تنظيمها في الرها في هذين القرنين، ولا ترقى معلوماتنا إلى أبعد من نهاية القرن الثاني أو مطلع القرن الثالث.

٢. احى

يظهر هذا الشخص بصفة تلميذ لأدي ومرافق لماري. وقد ورد ذكره مرارًا عديدة في كتاب المجدل، حيث يقول عنه ماري بن سليمان: «... وتوجّه أحي وماري إلى نصيبين وعمّدا أهلها وأنفذ ماري إلى المشرق وأحي الى قردي وبازبدى... وأدي قصد مع أحي ومار ماري بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب... وأحي السليح بعد عودة ادي إلى الرها مضى إلى الجبل والأهواز وتخوم السند وما قرب أجوج وماجوج وعاد إلى قردى وبازبدى وبين النهرين وعاد إلى الرها»[٢٦].

٣. أجاي

يزوّدنا كتاب «سير الشهداء والقديسين»[٢٧] بمعلومات نفيسة عن أجاي، ويقول إنه كان يصنع ثيابًا حريريّة وخوذات للملك. وقد خلف أدي في الرها واقتبل منه الرسامة.

---

٢٦) طالع كتاب المجدل. ص ٢-٣.

٢٧) الجزء الأول ص ٥١. حاشية ٢؛ طالع أيضًا شهداء المشرق ١. ص ١٣-١٤.

كلوديوس في عهد الأمبراطور الروماني طيباريوس ، ورسائل الملك أبجر إلى طيباريوس ، وجواب المسيح على أبجر وبركته للرها ...

ما هو نصيب التاريخ من هذه الوثيقة؟

إن معظم المؤرّخين والنقّاد يجمعون على القول إن تعليم ادي في صيغته الحالية متأخر عن تاريخ أوسابيوس القيصري ، وهم يفترضون بالإجماع وجود وثائق رهاوية كانت أساسًا ونواة أولى للتعاليم اللاحقة . وأوسابيوس نفسه استقى معلوماته من وثائق في الرها . فهو يقول في سياق كلامه عن تدي (ادي) :

«لقد كمل وعد المسيح بواسطته (ادي) . ولديك شهادات على ذلك في كتابات استُقيتْ من مذكرات في الرها التي كانت مملكتها ما تزال قائمة . فان الأضابير الموجودة هناك تضمنت ما قام به الأقدمون حتى ابجر . وما جرى إلى الآن محفوظ أيضًا هناك»[21] .

وفي موضوع آخر يقول أوسابيوس متكلّمًا عن رسالة تدي :

«كما قلنا ذلك نقلاً عن كتاب وُجد هناك... وقد قيلت هذه الأمور نقلاً عن روايات الأقدمين»[22] . وكان أوسابيوس مطّلعًا على الرسائل التي قيل انها تبودلت بين أبجر والمسيح .

فكل شيء يحدونا إذن إلى القول ان الوثائق الرهاوية كانت النواة الأولى . ثم جاء أوسابيوس القيصري في النصف الأول من القرن الرابع واستفاد منها لتكوين تاريخه الشهير ، فيما يخص نشأة المسيحية في ما بين النهرين . وقد نقل هذه الوثائق كما هي على وجه التقريب . وبعد زمان جاء كاتب آخر وأراد أن يولي هذه الكتابات طابعًا تقويًا مثيرًا ، فأضاف إليها روايات وأساطير عديدة . ولم تكن رسامة «فالوط» نفسه إلاّ إحدى تلك الألاعيب التقوية ، أراد بها الكاتب أن يربط المسيحية في ما بين النهرين بكرسي أنطاكيا من جهة بواسطة «سرابيون» وبكرسي روما من جهة أخرى بواسطة «زفيران» . وكانت حصيلة ما جمعه هذا الكتاب ما نطلق عليه اسم تعليم ادي الذي فيه امتزجت الأسطورة بالنواة التاريخية .

---

٢١) طالع أوسابيوس القيصري ، التاريخ الكنسي ، ١ ، ١٣ ، ص ٦٨ .

٢٢) الموضع عينه ، ٢ ، ١ ، ص ٧٩–٨٠ .

الأساطير

أ) اسطورة اكتشاف الصليب :

وفيها التباس واضح بين هيلانة أم الملك قسطنطين الكبير وهيلانة أخرى كانت أميرة في ما بين النهرين ، ويتكلّم عنها أوسابيوس[٢٣] معتمدًا ما جاء في كتابات المؤرّخ اليهودي الشهير فلافيوس يوسيفوس . وإذا بصاحب تعليم ادي ينسب اكتشاف الصليب ، على حين غرة ، إلى هيلانة ملكة ما بين النهرين (حدياب) . وهذه إشارة بينة على أن « التعليم » لم يكتب قبل القرن الرابع ، أي بعد اكتشاف الصليب المقدس بجهود القديسة هيلانة أم الملك قسطنطين المظفر .

ب) أسطورة صورة المسيح :

إنها أسطورة استنبطتها مخيلة المسيحيين انطلاقًا من التقاليد القائلة بأن القديسة فيرونيكا (وارينة) التي مسحت وجه يسوع المتألم على طريق الجلجلة حظيت بصورة هذا الوجه المقدس مطبوعة على منديلها[٢٤] . وإذا بهذا المنديل يصل إلى الرها . وتقول التقاليد ان هذه الصورة كانت موضوع الإكرام فيها حتى القرن التاسع ، ثم نقلت إلى القسطنطينية . وفي القرن الثالث عشر أهداها الأمبراطور إلى دوق جنوى .

ج) رسائل أبجر إلى طيباريوس الأمبراطور الروماني :

إنها رسائل مسهبة تتسم بطابع العنف والصرامة . وكل ما فيها ينفي صحة نسبتها إلى الملك أبجر . فإن هذا الملك لم يتجاسر على المجيء إلى يسوع ، وخاف أيضًا من الرومان أن يرسل جنوده إلى فلسطين للانتقام لدم المسيح ، فكيف يقدم الآن على توجيه كتابات عنيفة اللهجة إلى الأمبراطور الروماني ؟ فيظهر أن صاحب « التعليم » ، حينما وجد ذكر طيباريوس في الرسالة التي وجّهها أبجر إلى المسيح أراد أن يقلّد الرسالة التي وجّهها قسطنطين الكبير إلى الملك شابور الثاني الفارسي في القرن الرابع ، فيه يوصيه بالرفق بالمسيحيين القاطنين في الأمبراطورية الفارسية .

---

٢٣) الموضع عينه ٢ ، ١٢ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

٢٤) راجع سير الشهداء والقديسين ١ . باريس ١٨٩١ . ص ٦ ؛ شهداء المشرق ١ . ص ١٠ وهو يقول ان المصورين الذين أرسلهم أبجر الملك لرسم صورة المسيح أخفقوا في عملهم . فأخذ يسوع منهم منديلاً وطبقه على وجهه فطبعت عليه صورته مثلما كانت . فأتوا بالمنديل إلى أبجر الملك .

إلى بلاد الهند وبشّر فيها وقضى نحبه هناك[14]. ويقول المؤرّخ أوسابيوس القيصري ان القديس توما الرسول بشّر بلاد الفرثيين أيضًا لدى عبوره فيها في طريقه إلى الهند[15].

أما ما قيل عن القديس بطرس الرسول من أنه بشّر البلاد البابلية فناتج عن سوء فهم لما جاء في رسالته الأولى: «تسلم عليكم الكنيسة المختارة في بابل»[16]. فقد ظنّ الشرقيون ان القديس بطرس يتكلّم هنا عن بابل العراق وان الرسول قد تلمذ هذه البلاد حقًا، فراحوا ينسجون حول هذا الظن جملة من الأساطير، كأسطورة كنيسة شمعون الصفا في الموصل، فهي تزعم ان القديس بطرس اجتاز يومًا الموصل وشفى ابن صاحب المعصرة التي كانت في موضع هذه الكنيسة سابقًا، فشكره هذا وجعل بيته كنيسة على اسم القديس الكبير[17]. وقد يكون مصدر هذه الأسطورة اكتشاف بقايا مكبس للسمسم تحت الكنيسة سنة ١٨٦٤. وتتصل الأسطورة من جهة أخرى بالتقليد الشرقي، فسمت فئة من الشرقيين بطاركتها باسم مار شمعون (بطرس). إلاّ أن الوثائق التاريخية تجمع على ان زعيم الرسل توجّه نحو الغرب انطلاقًا من انطاكيا، ثم استشهد في روما وان بابل المذكورة في رسالته ليست سوى إشارة إلى العاصمة الرومانية التي منها وجّه رسالته، وسماها الرسول كذلك لكونها يومئذٍ مركزًا لعبادة الأوثان والفواحش والموبقات، شأن بابل القديمة الوثنية.

جولة في الوثائق

هناك وثائق عديدة تطلعنا على بدء المسيحية في ما بين النهرين وتنسب هذا التبشير إلى أحد التلاميذ، لا سيما إلى أدي وأحي وأجاي وماري. فلنلق نظرة خاطفة على ما قيل عنهم في هذه الوثائق.

١٤) طالع مقالة الأب هامي اليسوعي في مجلة الشرق السرياني ٨، ص ٤١٣–٤٢٤؛ طالع أيضًا أعمال توما في سير الشهداء والقديسين ٣. باريس ١٨٩٢. ص ١–١٧٥.

١٥) أوسابيوس القيصري، التاريخ الكنسي. طبعة بيجان. باريس ١٨٩٧، ص ١٥١.

١٦) ١ بطرس ١٣/٥.

١٧) طالع مجلة النجم الكلدانية ١ لسنة ١٩٢٩، ص ١٤٩؛ سليمان الصائغ، تاريخ الموصل ٣، جونيه ١٩٥٦، ص ٩٧–٩٩؛ الأب حنا فيي. الموصل المسيحية. بيروت ١٩٥٩، ص ١١٢؛ الأب يوسف حبي، مجلة بين النهرين الموصلية ١. لسنة ١٩٧٣، ٥٩–٧٨.

١. تعليم ادي

ان هذا « التعليم » في صيغته الحالية محفوظ في مخطوطات لا ترقى إلى أبعد من القرنين الرابع والخامس ، وهو في هذه الصيغة يحتوي على أكثر مما يذكره عنه اوسابيوس القيصري في تاريخه[١٨] . ودونك موجز ما جاء في هذا « التعليم » :

ان ملك الرها أبجر الخامس « أوكاما » (الأسود) ابن معنو[١٩] ، حينما سمع من أحد أشراف مملكته بالعجائب والمعجزات التي يجترحها يسوع في فلسطين ، رغب في الذهاب إليه . إلاّ أن العداوة القائمة بينه وبين الرومان حالت دون تحقيق رغبته . فأوفد إلى يسوع رجالاً ، يطلب إليه أن يأتي ويشفيه من مرضه العضال (داء الملوك) وأن يشاطره ملكه . وحينما وصل رسل الملك إلى فلسطين ألفوا يسوع في بيت أحد رؤساء اليهود يدعى « كماليد » وقدّموا إليه رسالة الملك . ففرح يسوع بهذه البادرة ، ولكنه أسف لعدم إمكانه تلبية رغبة الملك والذهاب إليه . لأن رسالته موجّهة إلى فلسطين أولاً ، وعلى رسله ألاّ يخرجوا من هذه البلاد قبل صعوده إلى السماء . ولكنه أردف قائلاً للموفدين إنه سيعهد إلى أحد رسله بالذهاب ، بعد صعوده إلى السماء ، إلى الملك لكي يشفيه . وقد ألقيت هذه المهمة بعدئذٍ على عاتق ادي أحد الاثنين والسبعين ، فذهب بعد العنصرة إلى الرها وشرع يبشّر فيها ويجري العجائب . وما إن سمع الملك بتلك الأعمال المدهشة حتى تذكّر وعد المسيح له . فاستدعى ادي وأكرم مثواه . وشفى أدي الملك من دائه العضال ومنحه العماد مع ذويه وكثير من اليهود والوثنيين . ولما أشرف ادي على الموت ، عين تلميذه أجاي خلفًا له على كرسي أسقفية الرها . ثم مات ودُفن بإكرام بالغ في مقبرة ملوك الرها[٢٠] .

وقد تخلّلت هذه الوثيقة روايات أخرى عديدة ، كرواية المنديل الذي انطبعت عليه صورة المسيح المتألم ، ورواية اكتشاف الصليب المقدس بواسطة هيلانة أو بروتونيقي امرأة

---

١٨) وُلد أوسابيوس القيصري سنة ٢٦٣ وتوفي سنة ٣٣٩ . وكتب تاريخه الشهير بعد سنة ٣٢٥ وقد نشره الأب بولس بيجان اللعازري في باريس سنة ١٨٩٧ .

١٩) استوى أبجر أوكاما (الأسود) على عرش الرها مرتين : سنة ١٠ – ٧ ق . م . وسنة ١٣ – ٥٠ م .

٢٠) طالع في هذا الشأن أيضًا سير الشهداء والقدّيسين ١ . باريس ١٨٩٠ . ص ٤٥ – ٥١ ؛ كتاب سيرة أشهر شهداء المشرق ١ . الموصل ١٩٠٠ . ص ١٣ ؛ كتاب المجدل لماري بن سليمان . ص ١ – ٣ وهو يقول ان ادي أتى أيضًا إلى حزة والموصل وباجرمي ؛ مشيحا زخا المنحول طبعة الفونس منكنا . الموصل ١٩٠٧ . ص ٢ وهو يقول ان ادي هو الذي رسم « فقيذا » الأسقف الأول لحدياب . معجم التاريخ والجغرافية الكنسية [بالفرنسية] ١ لسنة ١٩١٣ . عهود ١١٣ – ١١٤ . الخوري حنا قريو . في مجلة النجم الكلدانية الموصلية ٦ لسنة ١٩٣١ . ص ٢٩١ – ٢٩٧ .

نشأة المسيحية في الرها وما بين النهرين

ان دخول المسيحية إلى ما بين النهرين موضوع بحث ونقاش. فليس ثمة براهين قاطعة تؤكّد أو تنني دخولها إلى هذه المنطقة منذ القرن الأول الميلادي، أي منذ عهد الرسل أو تلاميذهم. وهناك من يقول إن المجوس. الذين انطلقوا من بلداننا هذه أو من البلاد الفارسية إلى بيت لحم ليكرموا المسيح في ميلاده، أصبحوا رسلاً وبشّروا بهذا الحدث الفريد لدى عودتهم إلى أوطانهم، بعد أن تزوّدوا ببعض قطع من قمط يسوع الطفل لليمن والتبرّك. كما يقول سليمان البصري[٥] في الفصل ٣٩ من كتاب النحلة (دبوريثا). ويذكر سفر أعمال الرسل بين الحاضرين في أورشليم يوم العنصرة «الفرثيين والماديين والعيلاميين وسكان ما بين النهرين...»[٦]. وقد شاهدوا النتيجة الباهرة التي ظهرت على الرسل من جراء حلول الروح القدس عليهم. ألم يلق هذا الحديث العظيم أي تجاوب في نفوسهم؟ أم انهم أصبحوا النواة الأولى للمسيحية في أوطانهم، ثم أقبل الرسل وسقوا هذه البذرة الصغيرة بكرازتهم ودمائهم، فنمت وازدهرت وأثمرت؟

ولكن ليس في حوزتنا نص كتابي يؤكّد دخول المسيحية إلى منطقة الرها وإلى ما بين النهرين أو يشير إليها إشارة واضحة. لذا فإننا نضطر إلى اللجوء إلى التقليد الجاري في كنيستنا الشرقية وإلى كتابات المؤرّخين، ونسعى في اكتشاف الحقيقة من خلالها.

ماذا يقول التقليد؟

إن التقليد الجاري في كنيسة ما بين النهرين يؤكّد أن الرسل الذين بشّروا هذه المنطقة هم أربعة: توما الرسول، ثم أدي وتلميذاه اجاي وماري. ولقد تكوّن هذا التقليد ابتداءً من القرن الرابع وشق طريقه إلينا وهو يزداد رسوخًا خلال الأجيال.

فنرى في قصة البطريرك يهبالاها الثالث المغولي. ان رفيقه الربان صوما. لدى ذهابه إلى روما، يرد على الأسئلة ببساطته الرائعة ويقول ان كنيسته قد أسّسها مار توما وادي وماري، وانهم ما يزالون متمسكين بتعاليم هؤلاء المبشّرين الأولين[٧]. وكان المؤمنون في

---

٥) سليمان البصري كاتب سرياني شرقي. وُلد في نهاية القرن الثاني عشر وأُقيم مطرانًا على البصرة في الربع الأول من المئة الثالثة عشرة (طالع كتاب أدب اللغة الآرامية للمؤلف، بيروت ١٩٧١، ص ٤٣٤ –).

٦) أعمال الرسل ٢/٩.

٧) طالع قصة مار يهبالاها، طبعة بيجان، باريس ١٨٩٥، ص ٥٧–٥٨.

مدينة مراغا ، احدى العواصم المغولية شرقي بحيرة أورمية ، يكرمون ذخائر ادي وماري ، وذلك في نحو سنة ١٣٠٠ م. ويؤكّد سليمان البصري هذا التقليد ، وينقل إلينا مجمل ما جاء في تعليم ادي وأعمال ماري ، قائلاً ان أدي ثم أجاي بشّرا الرها وما بين النهرين[٨] ، وقد نسبت الليتورجيا الشرقية القديمة إلى مار أدي ومار ماري اللذين يرد ذكرهما بنوع خاص في الصلوات الطقسية بعد اسم توما الرسول.

* * *

ولكن هل ثمة رسول واحد أم رسل عديدون قاموا بتبشير ما بين النهرين؟

فإن ماري بن سليمان[٩] يقول : « ان ادي السليح عبراني من السبعين الذين صحبوا سيدنا المسيح أرسله توما أحد الإثني عشر إلى المشرق وتبعه ماري تلميذه بعد صعود سيدنا إلى السماء بثلاثين سنة »[١٠]. فهو إذن يعزو التبشير الأول إلى ادي. ولكنه يستدرك قائلاً : « ونتنائيل بن تلمي ولبي الملقب بتدي وتوما من الاثني عشرة (هكذا) وادي وماري واحد من السبعين تلمذوا المشرق واستقامت أمور النصرانية على أيديهم أحسن استقامة »[١١].

أما صليبا بن يوحنان الموصلي[١٢] فيذكر أن ماري أسّس كرسي المشرق ولكنه تلمذ أيضًا البلاد التي كان ادي « رفيقه » قد تلمذ فيها ، وانه « أقام في التلماذ بعد ماري ادي ورفيقه ثلاثة وثلاثين سنة »[١٣].

فنلاحظ إذن ان معظم الذين كتبوا أو تكلّموا عن تنصر ما بين النهرين يعتبرون توما رسولها الأول والدافع إلى تبشيرها. ولقد بات الأمرُ أكيدًا الآن ان توما الرسول ذهب

---

٨) كتاب النحلة ، الفصل ٤٨.

٩) ماري بن سليمان كاتب سرياني شرقي عاش في القرن الثاني عشر. وضع موسوعة أسماها كتاب المجدل لا تشغل سلسلة بطاركة المشرق المطبوعة في روما سنة ١٨٩٩ إلا جزءًا صغيرًا منه.

١٠) طالع المجدل ، طبعة جيسموندي ، روما ١٨٩٩ ، ص ١.

١١) الموضع عينه ، ص ٢.

١٢) وُلد صليبا في سلخ القرن الثالث عشر. وفي نحو ١٣٣٢ عكف على دراسة « المجدل » لماري بن سليمان وأضاف إليه أسماء ثمانية بطاركة ونقّح الكتاب وحذف منه أمورًا كثيرة. ومن الجدير بالذكر ان هذا « المجدل » يُنسب خطأً إلى عمرو بن متى الطيرهاني الذي أجرى عليه بعض التنقيحات بعد صليبا.

١٣) طالع صليبا في المجدل ، طبعة جيسموندي ، روما ١٨٩٦ ، ص ١ - ٢.

لقد **نُشرت** هذه الصفحات تباعًا في مجلة **الفكر المسيحي** الموصلية. ونزولاً عند رغبة الكثيرين، نضمها الآن في كتاب خاص سهل التداول على القراء المتعطشين إلى معرفة تاريخهم العريق، ليطلعوا على التراث الديني والعلمي الذي خلفته لهم الأجيال المسيحية السابقة.

وفي دراسة هذا التاريخ، نعتمد المصادر القديمة، بمقدار توفّرها لدينا، مستعينين بما أجراه عليها المؤرّخون والناقدون من دراسات عميقة، لا سيما في هذين القرنين الأخيرين، حيث تهافت العلماء والمؤرّخون على الوثائق القديمة يقتلونها درسًا وتمحيصًا ويسلّطون عليها أضواء النقد الصارم والتحليل العلمي الدقيق، فاكتشفوا ما فيها من العريق الأصيل ونبذوا المنحول الدخيل.

أما التقاليد المحلية، فسنقف منها موقف الحذر والتحفظ، لأنها لا تنقل إلينا دومًا الحقيقة التي نتوخاها في بحوثنا التاريخية، لا سيما واننا نلاحظ ان هذه التقاليد تتعدّد أحيانًا وتختلف حول موضوع واحد أو شخص واحد. فعلى المؤرّخ أن يختار الأقرب منها إلى الحقيقة والأدنى منها إلى المصادر القديمة الأصيلة. لأن كل فئة راحت تنسج عبر الأجيال حول كنيستها الخاصة قصصًا وأساطير كثيرة لا تمت إلى الحقيقة والواقع بصلة، إنما هي وليدة خيال خصب أو عاطفة دينية جياشة تمخضت عن أمور مذهلة وأعمال مدهشة نسبتها إلى أبطالها، فصاغت منهم أناسًا أقرب إلى الخيال منهم إلى الواقع الإنساني...

وقد بذلنا الجهد للتمييز بين التاريخ والأسطورة وحاولنا تجريد التاريخ من العناصر الأسطورية العالقة به، وتلافي التعصب المذهبي والاندفاع العاطفي الذي غالبًا ما يشوّه الحقائق، فقلنا الحقيقة حتى إذا كانت علينا، وبذلنا قصارى جهدنا في أن تكون هذه الأبحاث التاريخية موضوعية وبعيدة عن الجدل العقيم وموسومة بطابع المحبة والاحترام للناس وآرائهم.

الفصل الأول

فجر المسيحية

أسّس المسيح كنيسته على الأرض لتواصل عمله الخلاصي بين البشر وتنشر البشرى التي تولي الناس السعادة والسلام. وأوصى المسيح رسله قائلاً: «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم»[1]، «إذهبوا في الأرض كلها، واعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعين»[2]، «وتكونون لي شهودًا في أورشليم واليهودية كلها والسامرة حتى أقاصي الأرض»[3]... وامتثالاً لهذه الوصية راح الرسل- بعد أن نالوا موهبة الروح القدس وامتلأوا قوة من العلاء- يجوبون البلدان وينادون بالمسيح وإنجيله ويدعون الناس إلى الانضواء تحت راية المخلص.

وسرعان ما دخلت الديانة المسيحية إلى مدينة انطاكيا بواسطة الرسل الذين اتّخذوا هذه المدينة التجارية الكبرى قاعدة لانطلاقهم شطر الغرب في الكرازة والتبشير. وفي انطاكيا أطلق اسم «المسيحيين» أول مرة على أتباع يسوع الناصري[4]. وجاءت شهادات كثيرة في سفر أعمال الرسل تشير إلى أهمية انطاكيا في انتشار المسيحية.

---

١) متى ١٩/٢٨.

٢) مرقس ١٥/١٦.

٣) أعمال الرسل ٨/١.

٤) أعمال الرسل ٢٦/١١.

© جميع الحقوق محفوظة . الطبعة الثالثة ١٩٩٢
دار المشرق ش م م – ص.ب. ٩٤٦ ، بيروت

ISBN 2-7214-7010-8

التوزيع : المكتبة الشرقية
ص.ب. ١٩٨٦ ، بيروت – لبنان

تصميم الغلاف :
جان قرطباوي

هذا تاريخ للكنيسة الشرقيّة، عساه يساهم في توضيح بعض معالم هذه الكنيسة ويلقي الأضواء على الأحداث والأشخاص ويساعد على تقييم مجرى الأمور ووضعه في إطاره الحقيقي، فيكون، رغم إيجازه، دليلاً لأبناء هذه الكنيسة إلى معرفة تاريخهم بما يعتوره من الضعف حينًا ومن البطولات أحيانًا.

إنّ التاريخ للأمّة بمثابة العمر للإنسان، فكلّما تقدّم الإنسان في سنيه ازداد خبرة بالحياة، إن هو أراد أن يعتبر بِعِبَر الحياة في مراحلها السابقة. وكذا الشأن مع التاريخ الذي قيل إنّه أكبر معلم للبشرية.

أجل. إن التاريخ تجربة البشرية وحصيلة معطياتها يتيح للإنسان استقراء الظواهر والأحداث وتحليلها ومقارنتها وإدراك طبيعة السنن والقوانين التي تحكم نشاط الجماعات البشرية وتطور الحضارات وعوامل سقوطها.

وعلى المؤرّخ أن يتلافى النظر إلى تاريخ العالم كأحداث عمودية وكعالم جامد مسطح، بل أن ينظر إليه كحركة حية متطورة تأخذ شتى الاتجاهات والأبعاد، فيتدبرها افقيًا بكل عناصرها وأبعادها. وعليه أن يعايش التاريخ انطلاقًا من تجاربه النفسية والفكرية والعقيدية لكي يدرك جوهر التاريخ ويقدّم لمعاصريه عصارة هذه التجارب بعبارات تنبض حيوية وتتدفّق نورًا. أما المعايشة التاريخية فتعني أن المؤرّخ يحيل التاريخ إلى عملية حيوية ويخلصه من التجريد ويدخل إلى صميم الحدث، لا أن يقف خارج الأسوار وينظر من بعيد. ذلك لأن التاريخ ليس حصيلة أحداث خارجية فحسب، بل هناك القوى الداخلية والطاقات الروحية والحيوية للإنسان في عملية تقييم مجرى التاريخ وتحديد مصيره.

الأب ألبير أبونا

تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية

الجزء الأول

مِن انتشار المسيحيّة حتى مجيء الإسلام

الطبعة الثالثة
منقّحة ومزيدٌ عليها

دار المشرق
بيروت

ܟܬܒܐ ܗܢܐ ܐܝܬܘܗܝ ܕܓܘܪܓ
ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܪܐܙ ܣܘܪܝܝܐ.

Ex Libris

George bar Anton d'beth Kiraz

1995

تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية

من انتشار المسيحيّة حتى مجيء الإسلام

تاريخ الكنيسة

الأب ألبير أبونا

تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية

الجزء الأول

من انتشار المسيحية حتى مجيء الإسلام

دار المشرق
بيروت